موسوعة الإمام علي عليه السلام

الفقيه
محمد جواد مغنية

الجزء الثالث

دار التيار الجديد
دار الجواد

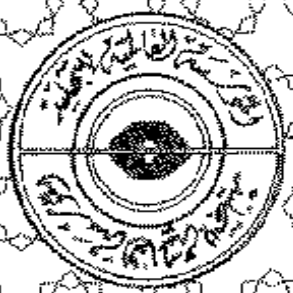

موسوعة
الإمام علي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الفقيه
محمد جواد مغنيّة

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٣٢٧٠ ع
التاريخ ٢٥/١/٢٠٠٥

موسوعة
الإمام علي عليه السلام

يحتوي هذا الكتاب على كل ما كتبه
محمد جواد مغنيّة في الإمام علي عليه السلام

الجزء الثالث

دار التيار الجديد
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب ٥٨١٣ ـ ١٤
بيروت لبنان ٥٢٠٧٠ ـ ١١

دار الجواد
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب ٥٨١٣ ـ ١٤
بيروت لبنان ٥٢٠٧٠ ـ ١١
DAR AL JAWAD@HOTMAIL.COM

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة للناشر
١٤٢٥ هـ ـــ ٢٠٠٤ م

دار التيار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع
تلفون ٠١/٥٤٤٠٩٠ ـ ٠٣/٥٧٨٨٥٠ ـ فاكس ٠١/٥٤١٩٣٠
الشياح ـ شارع معوض ـ بيروت ـ لبنان

فضائل
الإمام علي

علمُه ـــ جُودُه ـ شجَاعتُه ـ صَلاتُه
ـ بَلاَغَتُه ـ حُرُوبُه وغير ذلك

مقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة على صفوة الخلق، وخاتم النبيين وآله وصحبه الهادين المهديين.

وبعد:

فإن الحديث عن آل الرسول، عليه وعليهم أفضل الصلوات، سهل يسير، وصعب مستصعب، سهل على من أراد أن يسرد ما تواتر على الألسن، ودوّن في كتب الفضائل والمناقب، وصعب إذا حاول الكشف عما فيها من كنوز وأسرار، وما تهدف إليه من غايات سامية، ومقاصد رفيعة، لأن الحديث عن كل أولئك، بل عن بعضها يحتاج إلى رصيد ضخم من العلم الصحيح والخلق الكريم.

ومما يؤسف له أن كثيراً من الذين كتبوا عن أهل البيت لا يملكون غير الحب والولاء، وبديهة أن الحب شيء، والعلم شيء آخر، وهل يسوغ لمن يحب الرسول الأعظم أن يكتب في السيرة النبوية؟!. ولمن يؤمن بالقرآن أن يكتب في التفسير، وإن كان جاهلاً؟!. إن في آثار أهل البيت، وبخاصة أمير المؤمنين أنواعاً من

العلوم والمعارف، وكنوزاً من الأسرار والحكم لا يبلغها الإحصاء، ولا شيء منها لدى الخاصة من شيعتهم إلا الفقه، بله العامة! أما غير الفقه والتشريع فاعتقد أن السُتر لم تكشف عنه حتى الآن.

والغريب أن الذين كتبوا ـ منا ـ عن آل الرسول ما زالوا منذ عهد الشيخ المفيد يكررون ما قاله هذا الشيخ الجليل من مئات السنين لفظاً ومعنى، وترتيباً وتبويباً، دون أن يأخذوا بعين الاعتبار ظروف التطور لعقول الناس وأذواقهم وثقافتهم، ودون أن يبذلوا أي جهد في الدراسة والتحليل عى ضوء ما جد من تغيرات وأحداث، أن الكتابة عن العظماء لم تعد مجرد نقل، وسرد كرامات، فقد انتقلت إلى استخراج العبر والمثل من حياة العظيم، وتوجيه القارىء إليهما، وإغرائه بهما، من حيث يدري، ولا يدري.

ولو كان لغير الشيعة مثل علي وأولاده[1] لملأوا الكون بمفاخرهم ومآثرهم، ومنذ أمد غير بعيد قرأنا كتاباً ضخماً للحفناوي وضعه في أبي سفيان الأموي، لأن النبيﷺ قال يوم فتح مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» ومن قبله قال الشيخ الخضري في محاضراته: «أن قول الرسول من دخل دار أبي سفيان فهو آمن لشرف عظيم لم ينل أحد مثله للآن». هذا، مع العلم بأن النبي قال يومذاك: «من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن أغمد سيفه فهو آمن» أي وإن لم يدخل داراً بالمرة، وبالرغم من كل ذلك فإن شرف أبي سفيان عند الخضري والحفاوي لم ينل مثله أحد من الأولين والآخرين، حتى على الذي حمله النبي على منكبه، وكسر الأصنام التي ألّهها وعبدها أبو سفيان!.

---

(١) أي لو دان غير الشيعة بالولاء لعلي كما تدين الشيعة، وإلا فعلي للجميع.

ومهما يكن، فلست ادعي أن لدي من الرصيد ما يحسن السكوت عنه لدراسة آثار أهل البيت، كلا، ثم كلا، فإن تتبعي لها حملني على الاعتقاد بأن معرفتها كما هي لا تتيسر إلا لمن كان من ذاك البيت الذي أذهب الله عنه الرجس، وطهره تطهيراً، أو بلغ من العلم والإيمان مبلغ سلمان الذي قال عنه الرسول الأعظم: «سلمان منا أهل البيت» ولكن سيري المتواصل، وعكوفي على آثارهم ثلاثين سنة أو أكثر انتهى بي إلى شاطىء اليم، فاغترفت غرفة سطرتها في هذه الصفحات، واقسم أن ما من إنسان، أي إنسان، يتفهم كلمات آل الرسول، ويتدبر معانيها إلا تركت في نفسه قبساً من نور الله، من حيث لا يحس ولا يشعر.

وقد عنيت عناية خاصة بحروب الإمام مع النبي وبعده، وعرضتها عرضاً موجزاً وواضحاً، لأن أكثر القراء يرغبون في الوقوف على حقيقتها، ويصعب عليهم الرجوع إلى المطولات، والصبر على أسلوبها القديم، هذا إلى أن حروب الإمام تبرز شخصيته بأظهر معانيها، وتعبر عن ثقته بالله وبنفسه، وعن زهده في الدنيا، وتواضعه، وعن جلده وصبره على العواصف والصعوبات، وعن حبه للخير والسلم، وعطفه وحنانه، حتى على أعدى أعدائه والد خصومه، كما تقدم حروب الإمام أصدق الشواهد وأعدلها على أنها كانت من أجل «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ومن أجل الضعفاء، وآلام المعوزين.

ثم إن من جملة ما نهدف إليه من هذا الكتاب أن نثبت أن بين السنة والشيعة روابط عديدة وقوية لا رابط واحد، وأنه لا يحاول فصم هذه الروابط إلا من يريد أن يقدم الإسلام والمسلمين ضحية لأهوائه وأغراضه، ولا شيء أدل على ذلك من أن الآيات

والأحاديث التي استدل بها الشيعة على تقديس آل الرسول هي نفسها الآيات والأحايث التي استدل بها السنة على ذلك، حتى كأن أحدهما أخذ عن الآخر. أو أنهما قد استقيا من ينبوع واحد، وهذا عين اليقين وبالتالي، فإن هذه أمثلة من «فضائل علي» وليست حصراً ولا إحصاءاً كيف؟! وقد قال الرسول الأعظم:

«إن الله جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر»[1].

والله سبحانه المسؤول أن يجعل ثوابي - وإياك أيها القارىء - ثواب من قرأ، وكتب، واستمع، ونظر بالنبي وإله الطاهرين، والصلاة عليهم أجمعين.

---

(١) ذكره أخطب خوارزم، واستدل الشيخ المظفر على صحة هذا الحديث بالشواهد والأرقام من كتب السنة. انظر دلائل الصدق ص ٣٢٠ وما بعدها ج ٢.

لماذا نوالي أهل البيت؟

ما يجوز على أهل البيت وما لا يجوز:

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ما جاءكم منا مما يجوز أن يكون في المخلوقين، ولم تعلموه، ولم تفهموه فلا تجحدوه، وردوه إلينا، وما جاءكم عنا مما لا يجوز أن يكون في المخلوقين، فاجحدوه، ولا تردوه إلينا.

اعتاد الناس منذ القديم أن ينسبوا إلى العظماء من المناقب والخوارق ما لا عهد لهم بها ولا علم، وقد يتجاوزن الحد، وينسبون إليهم ما لا يجوز عليهم بحال، من ذلك ـ وعلى سبيل المثال ـ ما نسب إلى الإمام عليه السلام أنه ركب فرساً، وصعد إلى السماء، وأصحابه ينظرون إليه.

وبالرغم من أن عظمة أهل البيت لا تقف عند الحد المألوف بين الناس، فإنها لا تتعدى صفات المخلوقين، ولا تتجاوز حدود الإنسانية ومستواها، لذا حذر الإمام الصادق، أن يرفعهم أحد فوق البشر، وينسب إليهم ما يشعر بالغلو من قريب أو بعيد.

وقد روى الرواة عنه في هذا الباب عدة أحاديث بأساليب شتى، منها قوله: «حذروا شبابكم من الغلاة لا يفسدوهم، فإن الغلاة شر خلق الله، يصغرون الله، ويدعون الربوبية لعباده» وكيف

تنسب الربوبية إلى إنسان لم يكن عظيماً إلا لأنه كان أعبد خلق الله لله، وأكثرهم طاعة له، وأشدهم خوفاً منه، وأعلمهم بجلاله وعظمته؟!.

عقيدة الشيعة

لقد حدد الإمام صحة ما يعزى إليهم من الفضائل بأنها من صفات المخلوق دون الخالق، ووضع بهذا الحد الفاصل بين قول الحق والصدق فيهم، وبين قول الكذب والافتراء عليهم، وبهذا نجد عقيدة الشيعة الإمامية في أئمتهم على حقيقتها، وأنهم يؤمنون إيماناً لا يشوبه ريب بأنه لا شريك لله في الخلق، ولا في الرزق، ولا في علم الغيب، وأنه جل وعلا لا يحل بأحد، أو يتحد به، وأنه لا نبي ولا وحي بعد رسول الله، وأن معرفة الأئمة وحدها لا تغني شيئاً بدون العبادات وسائر الطاعات.

الشيعة وأهل البيت:

إن الشيعة يعبدون الله الذي لا إلّه سواه، ولا يشركون بعبادته أحداً، وفي الوقت نفسه يحيون ويموتون على ولاء آل الرسول، لا لمجرد أنهم عباد وزهاد، ولا لمجرد أنهم علماء يعرفون حلال الله وحرامه، ولا لمجرد أنهم يحبون الخير، ويكرهون الشر، ولا لمجرد أنهم خدموا الدين والإسلام وضحوا في سبيله فحسب، أن الشيعة يوالون أهل البيت، لأنهم صورة كاملة لروح النبي وعلمه وإيمانه وأخلاقه، أن نفس علي هي نفس محمد بنص آية المباهلة، حيث عبر النبي عن علي بلفظ أنفسنا، ويأتي التفصيل في الفصل التالي، وإليك هذا الشاهد على أن آل الرسول صورة عنه، قالت عائشة: «ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول

الله ﷺ من فاطمة» وقال الرواة والمؤرخون: أتت فاطمة إلى أبي بكر تطالب بفدك، ومشيتها مشية رسول الله، ومنطقها منطق رسول الله فلما رآها المسلمون تذكروا أباها، فاجهشوا بالبكاء، وكان يوم كيوم مات فيه رسول الله، لم ير أكثر باكياً وباكية.

ومما جاء في خطبتها الشائعة الذائعة: «نحن وسيلة الله في خلقه، ونحن خاصته ومحل قدسه، ونحن حجته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه». وأي مسلم يدرك هذا الكلام وأسراره، ثم لا يفنى في طاعة الآل ومودتهم؟! فهم خاصة الله؛ فمن نأى عنهم فقد ابتعد عن الله، وهم سبيل الله فمن جهل حقهم، فلا يصل إلى الله، وهم حجة الله، فمن أخذ عن غيرهم فقد ابتغى غير الله، ومن هنا كانت طاعتهم طاعة للرسول بنص حديث الثقلين، وطاعة الرسول طاعة الله بنص الآية ٧٩ من سورة النساء: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾.

من أجل هذا وحده أحب الشيعة محمد وآل محمد أكثر من أنفسهم، ومن الأباء والأمهات والأبناء، ودانوا مخلصين بالولاء لهم، وبالسلم لمن سالمهم، والحرب لمن حاربهم غير مكترثين ولا مبالين بتهجمات المعاندين، ولا بتقوّل المفترين، ما داموا على ثقة من دينهم، ويقين من تمسكهم بالقرآن الكريم، وسنة الرسول العظيم.

ما لعلي وفدك؟

وهنا سؤال يفرض نفسه: لماذا اهتمت سيدة النساء بفدك كل هذا الاهتمام، وهي من أهل لا يبالون بشيء من أمر الدنيا أقبل ولو أدبر؟! قال أمير المؤمنين عليه السلام: ماذا أصنع بفدك وغير فدك، والنفس

مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها؟!.
أن أهل البيت لا يعملون إلا لظمة القبر ووحشته، وإلا لله ورحمته، فما بال أم الحسنين تقيم الكون وتقعده من أجل فدك؟!.

الجواب:

إن القصد أبعد بكثير من فدك، إن سيدة النساء تبتغي من وراء فدك من اغتصب الحق، وصد أهله عنه، أنها تريد أن تفهم القوم أنهم خالفوا الرسول، ونكثوا عهده، وتنكبوا عن صراطه ونهجه، فمما قالته في الخطبة: «سرعان ما أحدثتم! وعجلان ما أتيتم! الآن مات الرسول، فأمتم دينه!.. وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنبأكم بها قبل وفاته، «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبية فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين».

وإن قال قائل: إن هذه الآية نزلت يوم أُحُد، حيث خاطب الله بها المسلمين الذين فروا عن النبي بعد أن شاع خبر كاذب بقتله، واللفظ صريح الدلالة على ذلك، فكيف يستدل بها على من صرف الخلافة عن علي؟!.

قلنا في جوابه: أجل، أنها نزلت في الذين فروا يوم أحد، وأن لفظها وسياقها صريحان بذلك بخاصة قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ إشارة إلى انتصار المسلمين على المشركين يوم بدر، ولكن المورد لا يخصص الوارد ـ كما قيل ـ هذا، إلى أن الذين فروا يوم أحد هم الذين منعوا فاطمة فدكا، وهم الذين خاطبهم الله، وحكم عليهم بأن إيمانهم بمحمد يرتبط بوجوده، فيبقى ببقائه، ويذهب بذهابه فكان عليهم لو

كانوا مؤمنين حقاً أن يستميتوا حين شاع الخبر بقتل نبيهم؛ لا أن يفروا وينقلبوا على أعقابهم خاسرين.

قال الإمام الباقر عليه السلام: أصاب علياً يوم أحد ستون جراحاً، فأمر النبي بعد انتهاء المعركة بعض النساء أن تداوي جراحه، فقلن يا رسول الله: لا نعالج منه مكاناً إلا انفتق مكان، فدخل عليه الرسول وجعل يمسح الجراح بيده، ويقول: إن رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلى وأعذر، فكان القرح الذي يمسه النبي، يلتئم لساعته، فقال علي: الحمد الله، إذ لم أفر ولم أول الدبر، وكان هو المقصود بقوله سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وهل ثمن لهذه الجراح الزكية غير الولاء والطاعة، وغير التعظيم والتقديس؟! هل هذه الجراح الخالصة لله إلا الإخلاص والمودة؟!. ولماذا عرض الإمام نفسه للأخطار والمهالك، ألشهرة أو ملك أو مال؟!. أنه أراد شيئاً واحداً لا غير، أراد أن تردد الملايين في كل زمان ومكان على المآذن والمنابر، وفي الصلوات والمحافل كلمة «لا إلّه إلا الله محمد رسول الله». هذه هي أمنية الإمام ولا شيء سواها، ومن أجلها قاتل وقتل المشركين أعداء الرسول والدين، ومن أجلها أصابه في معركة. واحدة ستون جراحاً، ومن أجلها استشهد في محرابه وبين يدي ربه، واستشهد أولاده من بعده بين منحور ومسموم، لا يبتغون جزاءً ولا شكوراً إلا أن يعبدوا الله، وإلا أحياءً لكلمة لا إلّه إلا الله، فعلي في جهاده كالرسول الذي قال: لو وضعت الشمس في يميني، والقمر في شمالي ما تركت قول: لا إلّه إلا الله محمد رسول الله، حتى أنفذه أو أقتل دونه. والنتيجة الحتمية المنطقية لذلك كله أن من دان لعلي بالولاء فقد دان بالشهادتين، ومن وفى له فقد وفى للدين والإسلام،

ومن عانده وحاربه فقد عاند وحارب الله والرسول، فالقضيتان متلازمتان متساويتان طرداً وعكساً، وسلباً وإيجاباً.

آل النبي هم النبي وأنما بالوحي فرق بينهم فتفرقوا
أبت الإمامة أن تليق بغيرهم أن الرسالة بالإمامة أليق

غيرهم يعبد الله على حرف:

قال أحد وجوه العرب للنبي: ما لي إذا أسلمت؟.

قال النبي: لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم.

قال: أقاتل بسيفي معك، ثم لا يكون لي شيء من الغنم؟!. فاجعل الأمر إلي من بعدك.

وهكذا أكثر العرب ـ الآن وقبل الآن ـ لا يعبدون الله إلا على حرف، ولا يعملون إلا على أساس الكسب والربح العاجل، واقسم لولا محمد وآله، ومن سار بسيرتهم لم يكن للعرب تاريخ ولا ذكر.

أبناء الرسول

قال المحب الطبري في كتاب «الرياض النضرة» ج ٢ ص ٢٦٨ طبقة ١٩٥٣:

«روى أبو سعيد في شرف النبوة أن رسول الله ﷺ قال لعلي:

أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد، ولا أنا: أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك، ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم... وفي رواية أوتيت أربعة، والرابعة لولاك ما عرف المؤمنون... إشارة إلى قول الرسول: من كنت مولاه فعلي مولاه».

وعن طريق الشيعة، قال محمد بن علي بن شهر أشوب في كتاب «مناقب آل أبي طالب»:

«إن النبي قال: يا علي لك أشياء ليست لي منها: لك زوجة مثل فاطمة وليس لي مثلها، ولك ولدان من صلبك، وليس لي مثلهما من صلبي، ولك مثل خديجة حماة وليس لي مثلها حماة ولك صهر مثلي، وليس لي صهر مثلي، ولك أخ مثل جعفر، وليس لي مثله في النسب، ولك أم مثل فاطمة بنت أسد الهاشمية المهاجرة، وليس لي مثلها»[1].

وطبيعي أن لا يكون للنبي زوجة أبوها كمحمد سيد الأنبياء وخاتمهم، وطبيعي أيضاً أن لا تكون له زوجة كفاطمة سيدة نساء العالمين، ولكن من الطبيعي أن يكون له أبناء للصلب كالحسن والحسين، كما كان لإبراهيم، وغير إبراهيم من الأنبياء عليهم السلام. فما هو السر لحرمان الرسول الأعظم من الأبناء للصلب؟.

أجل، لم يكن للنبي عليه السلام أبناء الصلب، ولكنه لم يحرم من الذرية والنسل، بل لم يحرم من الأبناء، فإن كلا من الحسن والحسين ابن له بنص القرآن، فلقد اتفقت السنة والشيعة على أن المراد بأنفسنا النبي وعلي، وبنسائنا فاطمة، وبأبنائنا الحسن والحسين في آية المباهلة ٦١ آل عمران: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. قال الرازي في تفسيره الكبير: «هذه الآية دالة على أن الحسن والحسين كانا ابني رسول الله عليه السلام وعد النبي أن يدعو أبناءه، فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا ابنيه».

وقد تواتر الحديث عن النبي أنه قال: «ولداي هذان إمامان قاما أو قعدا. وقال: هما ريحانتاي من الدنيا، وعن الإمام أحمد أن النبي قال: كلُّ ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإني أنا أبوهما.

وقال الإمام علي في محمد ابن الحنفية: إنه ابني، أما الحسن والحسين فإنهما ابنا رسول الله، وكان الناس، وما زالوا يعبرون عن

---

(١) لاحظت، وأنا أتتبع كتب الفضائل أن ما من منقبة يذكرها الشيعة لأهل البيت إلا وفي كتب السنة، مثلها وإن كان هناك من تفاوت فهو أشبه بهذا التفاوت بين هذين الحديثين.

علي وفاطمة والحسن والحسين أنهم من آل محمد وآل الرسول وآل البيت، أي بيت محمد.

وقال السيد المرتضى: أن آية المباهلة تدل على أن ابن البنت ابن حقيقة.

ونحن نقول: سواء أدلت الآية على ذلك أم لم تدل فإنها نص صريح على أن الحسن والحسين هما ابنا الرسول حقيقة، حتى ولو لم يكن ابن البنت ابنا بالقياس إلى غيره، وهذا خاص بالنبي ﷺ دون سواه بنص القرآن والحديث واستعمال الناس جميعاً.

وإن سأل سائل: ما هي الحكمة في كون الرسول الأعظم أباً حقيقياً لأبناء بنته دون أن يكون ذلك لغيره؟.

ولكي يتضح الجواب عن هذا السؤال نمهد بما يلي:

لقد تزوج النبي خديجة، وهو ابن خمس وعشرون سنة، وأقام معها أربعاً وعشرين وأشهراً، وبعد وفاتها تزوج سؤدة بنت زمعة، ثم عائشة، عقد له عليها أبو بكر في مكة، وهي بنت ست سنوات، وبنى بها النبي في المدينة بعد أن أكملت التسع وحين توفي النبي كان لها من العمر ثماني عشرة سنة، وعاشت إلى السبعين، وماتت في أيام معاوية، وأيضاً تزوج النبي أم سلمة، وهي بنت عمته عاتكة بنت عبد المطلب، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت جحش، وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، وجويرية بنت الحارث، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حي بن أحطب، وميمونة بنت الحارث، خالة عبد الله بن عباس ومارية القبطية، وريحانة بنت زيد، وتكانة بنت عمرو، وقد دخل بهؤلاء جميعاً، وكن ثيبات إلا عائشة كانت بكراً، وله زوجات آخر طلقهن قبل الدخول.

وولدت له خديجة ذكرين: القاسم وعبد اللّه، وهما الطيب والظاهر وأربع أناث: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وولدت مارية القبطية إبراهيم، ومات القاسم وعبد اللّه وإبراهيم أطفالاً، أما زينب فتزوجها أبو العاص بن الربيع قبل الإسلام، وولدت له بنتاً، وهي إمامة تزوجها الإمام بعد فاطمة بوصية منها ولم ترزق أولاداً، وتزوج رقية عتبة بن أبي لهب عم الرسول، وأم كلثوم تزوجها أخوه عتيق بن أبي لهب، وبعد الإسلام طلقهما النبي من عتبة وعتيق، فتزوج عثمان بن عفان رقية، وولدت منه ذكراً، وهو عبد اللّه، ومات في السنة السادسة من عمره، فتزوج بعدها أختها أم كلثوم، ولا عقب لها، وتوفيت زينب ورقية وأم كلثوم في حياة النبيﷺ، ولم يبق له من الولد إلا فاطمة، ولا عقب له إلا منها.

وإذا لم يكن للنبي أبناء ولا أبناء أبناء، ولا نسل ولا ذرية إلا من فاطمة كان من المحتم ـ وبحكم الطبيعة البشرية، وصرف النظر عن الآيات والأحاديث ـ أن تنحصر عاطفته الأبوية بالحسن والحسين، وأن يهتم بتربيتهما وتعليمهما وسعادتهما، ولو كان للنبي أولاد غير الحسن والحسين لتوزعت هذه العاطفة بينهما وبين أولاده، بل لكان لغير الحسنين من أبنائه الشطر الأوفر، أما وأنه لا نسل ولا ذرية له إلا الحسن والحسين فعاطفته منحصرة فيهما بحكم الواقع، وكانا ابنين له حقيقة، وقد عبر صلوات الله عليه وعلى آله عن هذه الأبوة والبنوة بعبارات شتى، منها ولداي، وابناي وريحانتاي وهما مني وأنا منهما، وما إلى ذلك.

إن للإنسان، أي إنسان نبياً كان أو غير نبي عاطفة أبوية تجاه أبنائه إن وجدوا، وإلا استأثر بها أبناء أبنائه أن وجدوا، وإلا استأثر بها أبناء البنت، كما هي الحال، في نبينا الكريمﷺ.

هذا، إلى أن عاطفة الأبوة، وإن كانت طبيعية، إلا أنها قد تضعف وتتلاشى، بل قد تنقلب إلى مقت وكراهية، إذا كان الابن على غير طريقة الأب في دينه وأخلاقه، فلقد رأينا الأب ينازل ابنه بالسلاح في المعارك الدينية والعقائدية وكان الرجل مع رسول الله ﷺ يقاتل أباه وأخاه وابنه من أجل الدين، كما رأينا من يخلص ويضحي بالنفس والنفيس من أجل صديق لا يجمعهما جامع من نسب أو قومية، أو أي شيء سوى الخلق والمبدأ، ومن هنا قال الرسول الأعظم: «سلمان منا أهل البيت» مع العلم أنه كان فارسي الأصل، وكان الإمام جعفر الصادق يعبر عنه بسلمان المحمدي.

وقال الله على لسان إبراهيم في الآية ٣٦ من سورته: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾، وفي الآية ٤٥ من سورة هود: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وفي الآية ١٠١ من سورة المؤمنين: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ وفي ٦٧ من سورة الزخرف ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾. وقال أمير المؤمنين: رب أخ لك لم تلده أمك. وقال: القريب من قربته الأخلاق، فالأخلاق هي قياس القرب لا الأنساب ولا القوميات.

وليس من شك في أن أخلاق الحسنين وشمائلهما وسيرتهما تعبير قوي وصريح عن أخلاق النبي وشمائله وسيرته، فقد قاما بأمره، وعملا بوصاياه وتعاليمه، ومهدا لأمته وجاهدا في سبيل دينه ومبادئه، وكان لهما من علمه وحلمه، وشجاعته وكرمه، وزهده وصبره ما لم يكن لأحد بعد أبيهما أمير المؤمنين عليه السلام ومن أجل ذلك أمر الناس بالتمسك بهما تماماً كما أمرهم بالتمسك بالقرآن، ونص على إمامتهما صراحة بقوله: «ولداي هذان إمامان قاما أو

قعدا» وجعلهما حجة لله على الناس أجمعين، فإذا كنا مسلمين حقاً فعلينا أن نسمع لهما ونطيع، وأن نخصهما بالولاء، ونؤمن إيماناً صادقاً، ونتذكر أبداً ودائماً أن عداء الحسن والحسين أو جحود فضلهما وعدم الولاء لهما عداء وجحود لرسالة الرسول وتعاليمه.

علي وفاطمة

مولد فاطمة:

اتفق الرواة على أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت الصغرى في ذرية الرسول صلى الله عليه وآله واختلفوا في تحديد السنة التي ولدت فيها. وروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنها ولدت بعد النبوة بخمس سنين، أما الإمام فقد ولد قبلها بخمس عشرة سنة.

صفاتها:

كانت فاطمة كالشمس تخرج من تحت السحاب، وكان علي على هيئة الأسد يغلظ من أعضائه ما استغلظ من أعضاء الأسد، ويدق منها ما استدق، وكانت فاطمة أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسول الله. وكان علي باب مدينة علم النبي، وأخاه المؤاسي له، وجامع فضائله وشمائله، ووارث علمه وحكمه ونشأت فاطمة ودرجت في بيت محمد، وكذلك علي نشأ وتربى في دار محمد وحجره، وكانت فاطمة بنت أسد كالأم للنبي، وكذلك كانت خديجة بنت خويلد كالأم لعلي، وهي في الوقت نفسه أم لفاطمة.

المرأة والرجل:

قال النبي لفاطمة: أي شيء خير للمرأة؟

قالت: أن لا ترى رجلاً، ولا يراها رجل.

فضمها إلى صدره وقال: ذرية بعضها من بعض.

ونحن لا نفهم من جواب سيدة النساء إلا الدلالة على حصانتها وعفتها، وإلا فأي شيء أعظم شرفاً للمرأة وأكثر خيراً لها من أن ترى رجلاً كعلي وتلد للإنسانية الحسن والحسين؟!

الكفاءة:

جاء في كتاب ذخائر العقبى للمحب الطبري (من السنة) ص ٣٠ طبعة ١٣٥٦ هـ: أن أبا بكر خطب إلى النبي فاطمة، فقال له: لم ينزل القضاء بعد، فخطبها عمر، فأجابه بما أجاب صاحبه، ثم خطبها عديد من كبار قريش، وكان الجواب واحداً. ونقل السيد محسن الأمين في الجزء الثاني من أعيان الشيعة مثل ذلك عن الإمام أحمد في كتاب الفضائل وعن الواقدي في الجزء الثامن من الطبقات، وحين خطبها علي قال له النبي: أهلاً ومرحباً، يا علي هذا جبريل يخبرني أن الله زوجك فاطمة.

وروى الشيعة أن النبيﷺ قال: لو لم يخلق الله علياً ما كان لفاطمة كفء، واتفق المسلمون جميعاً على أن للرجل ـ مهما سمت مرتبته ـ أن يتزوج بمن هي دونه شرفاً ونسباً. واختلفوا في المرأة: هل لها أن تتزوج بمن هو دونها أو لا؟ أي أنهم اتفقوا على أن المرأة لا يشترط كفاءتها للرجل، واختلفوا في كفاءة الرجل للمرأة.

قال الحنفية والشافعية والحنابلة: الكفاءة شرط.

وقال الإمامية والمالكية: كلا، ليست بشرط.

إذن ما رواه الشيعة عن النبي من أنه لولا علي لم يكن لفاطمة

كفء يتنافى مع قولهم بأن الكفاءة في الزواج ليست بشرط. وأيضاً لا يتفق مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقول الرسول: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

الجواب:

إن الشيعة الإمامية أرادوا من الكفاءة في باب الزواج كفاءة النسب والمال والمهنة، وأرادوا من كفاءة علي لفاطمة الكفاءة في العظمة والفضائل والتساوي عند الله واليوم الآخر.

وفاطمة سيدة نساء زمانها، ومن سيدات نساء أهل الجنة، فقد جاء في كتاب الاستيعاب، وكتاب المستدرك (للسنة) عن النبي أن سيدات نساء أهل الجنة مريم بنت عمران، ثم فاطمة بنت محمد، ثم خديجة بنت خويلد، ثم آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وجاء في صحيح البخاري ومسلم والترمذي عن النبي أنه قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية وخديجة وفاطمة»[1].

وإذا كانت فاطمة سيدة النساء فلا كفء لها إلا أمير المؤمنين سيد الرجال والنساء بعد النبي، قال ابن عبد البر في الاستيعاب، وهو يترجم لعلي: أن رسول الله قال لفاطمة: أن زوجك سيداً في الدنيا والآخرة، وأنه لأول أصحابي إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. وعن النبي أنه قال لعلي: عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة، وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا، وزوجت علياً. فقلت: ما أنا منعتكم، وزوجته، بل الله منعكم وزوجه. فكفاءة علي لفاطمة ليست كفاءة نسبية فقط، ولا خلقية فقط، وإنما هي

(١) أعيان الشيعة للأمين ج ٢ ص ٥٤٥ الطبعة الثالثة.

كفاءة سماوية إلهية في تعادلهما بالقرآن، وتساويهما في ميراث النبوة، وفي الحكمة والهدى والرحمة، وفي افتراض الولاء والطاعة على الناس أجمعين.

جهاز فاطمة:

إن الغرض الأول من هذا الفصل هو وصف الأثاث الذي كان في بيت فاطمة، وجهاز عرسها، وما قدمناه كان من باب التمهيد، وتمنيت لو أن لي قلماً يستطيع التعبير عن ذاك السمو، وتلك العظمة التي تكمن وراء هذا الجهاز المتواضع، وأن لي ريشة فنان بارع تنجدني على التصوير والتوضيح، أما نفس الجهاز فانقله إليكم بالحرف الواحد كما تواتر على ألسنة الرواة، ودوّن في كتب الثقات، وهذا هو:

قميص.

وخمار لغطاء الرأس.

وثوب له زغب.

وعباءة قصيرة بيضاء.

ومنشفة.

وفرشان: أحدهما ليف، والآخر صوف.

ومخدة ليف.

وأربعة متكآت حشوها من بنات الأرض.

وسرير من جريد النحل.

وجلد كبش.

وحصير.

وستار من صوف.

وقدح من خشب.

ورحى للطحن.

وإناء من نحاس للعجن والغسيل.

وقربتان: كبيرة وصغيرة.

ووعاء من ورق النخل مزفت.

وجرة خضراء وكوزان من خزف.

ومنخل.

ورش الإمام أرض الدار برمل ناعم، ونصب في البيت خشبة من الحائط إلى الحائط، لتعليق الثياب، إذ لا خزانة ولا صندوق لثياب العرس.

ولو أن النبي زوج فاطمة من رجالات العرب الذين خطبوها إليه لكان جهازها الأول من نوعه في ذلك العصر، ولكان الحرير والديباج مكان الرمل، ولكان الأبنوس والعاج مكان خشبة الثياب، وكان الذهب والفضة بدل الفخار وسعف النخل، وكانت العلالي والقصور، والخدم والحشم بدل القربة التي استقت بها الزهراء حتى أسود صدرها، وبدل الرحى التي طحنت بها، حتى تورمت كفها، ولكن هل السعادة والسكينة والرحمة في القصور الضخمة الفخمة، أو حيث يكون علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وإمام المتقين وأبو الأئمة الميامين؟!

وقديماً قيل: المكان بالمكمين، وقال المجنون لليلاه: وكل مكان أنت فيه مكاني.

في هذا المكان، وهذا البيت المتواضع الذي أكثر أثاثه من الخزف كان يبتهج الرسول ويغتبط، ويجد لنفسه السكينة والسعادة والهناء، ويفيض من قلبه الحب الأبوي والحنان على بضعته فاطمة، وريحانتيه من الدنيا الحسن والحسين، وعلى أخيه وصهره ووارث علمه وحكمه وشريكه في خصائصه، ما عدا النبوة.

في هذا البيت الذي ضم آل الرسول، ودرج فيه الحسنان كان يجلس محمد، وينعم برؤية الأهل والأولاد، ويلقي عن كاهله الأتعاب والأوصاب وما لاقاه من الأذى في سبيل دعوته.

في هذا البيت كان يجلس رب العائلة محمد مع عائلته، عليّ عن يمينه، وفاطمة عن يساره، والحسن والحسين في حجره يقبل هذا مرة، وذاك أخرى، يباركهم ويدعو لهم، ويسأل الله أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً.

ومن هذا البيت كان يخرج النبي إلى السفر، وبه يبدأ إذا عاد.

في هذا البيت نزل الروح الأمين بالوحي من الله على قلب رسول الله وخدم الملائكة فيه سيدي شباب أهل الجنة.

ومن هذا البيت المتواضع شع نور الهداية والإسلام على الناس مدى الأجيال، وفي القصور الشامخة يولد العهر والفسق، في هذا البيت الفقير سبحت الزهراء وبعلها وبنوها بالغدو والآصال. قال أنس: قرأ رسول الله: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح فيها بالغدو والآصال» فقام إليه رجل، وقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: «بيوت الأنبياء». فقام

إليه أبو بكر، وقال: يا رسول الله هذا البيت منها، وأشار إلى بيت علي وفاطمة. فقال الرسول: نعم من أفضلها.

وفي ذات يوم دخل هذا البيت رسول الله ـ على عادته ـ فوجد علياً وفاطمة يطحنان بالجاروش، فقال: أيكما أعيا؟ ـ أي تعب ـ قال علي: فاطمة يا رسول الله. فقال لها: قومي يا بنية. فقامت، وجلس يطحن مع علي.

وأقسم لو خيرت بين الدنيا، وبين ذرة من هذا الطحين لآثرت هذه الذرة على الكون بما يحويه.

وبعد، فأين الفقر والعدم؟! أفي بيت الوحي والنبوة، حيث الرحى يطحن بها محمد وعلي وفاطمة، وحيث كوز الفخار يشرب منه الرسول وآله، وحيث تنزل الملائكة والروح، أو في قصور الملوك والأغنياء، حيث الزنا والخمر والفساد؟!

عاشت فاطمة عند علي، وهو لا يملك إلا قلبه وسيفه، وإلا علمه وإيمانه، وكان يسكن في بيت متواضع طحنت فيه فاطمة بالرحى، حتى تورمت كفها، واستقت بالقربة حتى اسود صدرها، وكنست البيت، حتى اغبرت ثيابها. وعاشت آسية بنت مزاحم عند فرعون صاحب الأهرام والنيل، وبين الخدم والحشم تأمر وتنهى، فأيهما كانت أسعد حياة، وأهدأ قلباً وأصفى بالاً في هذه الدنيا؟!

ولو وجدت اليوم تلك الرحى أو القربة أو المكنسة لحج إليها أهل الشرق والغرب من المسلمين وغير المسلمين، ولعادل جزء منها ألف نيل ونيل وأهرام وأهرام.

ومن هنا قال الرسول: «ليست الدنيا من محمد ولا آل محمد» وماذا يصنع محمد وآل محمد بالدنيا، وقد خلقوا للخير والرحمة

والكرامة الدائمة، خلقوا للهدى إلى الله ودين الحق، وللوجاهة والشفاعة غداً لمن أحبهم وأحبوه.

شجاعة الإمام

إن الحديث عن شجاعة عليّ أمير المؤمنين، تماماً كالحديث عن نور الشمس نافلة وفضولاً، وإذا حاول إنسان أن يتحدث عنها فبأي لفظ أو ريشة يعبر عن شجاعة من قال فيه الروح الأمين وسيد المرسلين: «إلا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ» وقال هو عن نفسه: «لو تظاهرت العرب على قتالي ما وليت مدبراً» وقال: إن أكرم الموت هو القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف في سبيل الله أهون من ميتة على فراش. والكل يعلم أن أقوال علي تعبير وتطبيق لأقواله.

وما كتب أو تحدث أحد عن شجاعة علي إلا قال بالحرف الواحد: ما فرّ من حرب، ولا خاف من جيش، ولا بارز أحداً إلا قتله أو أسره أو منّ عليه بعد أن تمكن منه، ولا ضرب ضربة فاحتاج إلى ثانية، فكل ضرباته بالوتر لا بالشفع، و «بالفرد لا بالزوج» وإذا علا قد، وإذا اعترض قط ضرب ابن ود على ساقيه فبراهما مع ما عليهما من الدرع والثياب، وضرب مرحباً على رأسه ـ وكان عليه مغفر وحجر ثقبه مثل البيضة ـ فقدَّ الحجر والمغفر والرأس، حتى وقع السيف في أضراسه.

أما مبيته على فراش الرسول ليلة الهجرة فقد أذهل أهل السماء والأرض افتخرت عائشة يوماً بأبيها، لأنه ثاني اثنين في

الغار، فقال لها أحد الأصحاب شتان بين من قيل له: لا تحزن إن الله معنا، ومن بات على الفراش، وهو يرى أنه يقتل... وأنزل الله فيه ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله.

أما موقفه في بدر فقد قتل من المشركين النصف، والمسلمون جميعاً قتلوا النصف، وفي الذين قتلهم من يعد بألف، أما يوم أحد فقتل ١٨، وجيش النبي بكامله قتل ١٠، وفي حنين قتل القائد أبا جرول مع ٣٩ فارساً، وفي صفين قتل في يوم واحد أكثر من ٥٠٠ ومثل ذلك يوم الجمل والنهروان.

وقيل له: ألا تشتري فرساً سابقاً؟

فقال: لا حاجة لي به، أنا لا أفرّ ممن يكرّ، ولا أكر على من يفر.

ومما قاله القائلون عن شجاعته: أنه ما عرف عن بطل في العالم إلا كان مغلوباً حيناً، وغالباً حيناً، إلا علي فهو الغالب أبداً ودائماً، وهذا من خصائصه ومنها أيضاً، أن العرب يفخرون بأن قريبهم قتل سيف علي، ويجعلون من هذا دليلاً على أن صاحبهم بارز علياً، وهو الموت الذي لا بد منه.

ومما جاء في شجاعته، وهو طفل أن أمه فاطمة بنت أسد كانت إذا شدته بالقماط شقه، فجعلته قماطين فشقهما فجعلته ثلاثة من جلد وحرير فلم تجد شيئاً، فاضطرت إلى تركه بدون قماط، وكان أبوه أبو طالب يجمع له أولاده وأولاد أخوته ويأمرهم بمصارعته، فكان علي يحسر عن ذراعيه، ويصارع الكبير منهم والصغير فيصرعه، وفي ذات يوم كان يسير مع طفل أكبر منه بسنة، فما شعر إلا والطفل يهوي في البئر على رأسه، فأسرع علي، وأخذ

برجله، وأنقذه.

وكان المفروض بمن يمتلك هذه الشجاعة النادرة الخارقة أن يشمخ ويستعلي على الآخرين، وأن يحقق المتع والمنافع لنفسه وأبنائه، فإن الإنسان ينساق بطبيعته وراء الملذات والمصالح الشخصية، بخاصة إذا استطاع إليها سبيلاً، وعلى الأقل أن لا يعيش عيش الفقراء والبؤساء. فهل حقق الإمام شيئاً من ذلك؟.

الجواب:

إن هذه الشجاعة على عظمتها تقترن بإيمان أعظم، فالإيمان عند الإمام هو الحاكم المطلق، والمسيطر الأوحد على جميع حركاته وسكناته، أما العلم والشجاعة، أما التواضع، والجاه والسلطان، أما هذه وما إليها فليست بشيء في ذاتها، ولا بالقياس إلى غيرها إلا إذا كانت أداة ووسيلة لإحقاق الحق، وإبطال الباطل، ومن هنا قال أمير المؤمنين: «أغلب الناس من تغلب على هواه» أما من تغلب عليه الهوى فهو الجبان الخاسر؛ بل الجبان خير منه وأفضل، لأن الشجاع إذا لم يتق الله يتخذ من الشجاعة أداة للصوصية، ووسيلة تعينه على الجرائم والمآثم.

لقد كان الإمام شجاعاً، ولكن شجاعته لم تكن لمصلحته ومصلحة أبنائه، وإنما كانت الدعامة الأولى للإسلام، وأعلاء كلمته، كانت قوة للضعيف، وعوناً للفقير، وإنصافاً للمظلوم من الظالم، وخيراً للناس أجمعين. فأول موقف من شجاعة الإمام كان للدفاع عن الرسول، وكشف الكربات عن وجهه، وأول مظهر من مظاهر جرأته وإقدامه هو الفداء والتضحية بالنفس من أجل الإسلام ونبي الإسلام، فلقد تألبت قريش على النبي وصممت على قتله حين

أعلن دعوة الحق، ولم يجد ناصراً إلا علياً وأباه، ولما جمعت له الجموع في بدر وأُحُد والأحزاب كان علي سيف الله على أعدائه، ولولاه ما قال قائل:

«لا إلا الله محمد رسول الله».

نحن نؤمن بأن محمداً ﷺ أخرج الناس من ظلمات الشك إلى نور اليقين، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، ومن الجهل إلى العلم، وفي الوقت نفسه نؤمن بأن علياً كان عضده وسيفه ودرعه ووسيلته في كل ما حققه دون استثناء، ودليلنا على ذلك قول النبي:

علي نفسي وأخي ووزيري وخليفتي، ووارث علمي، طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي، ومن أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني.. وهو سيد المسلمين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين.. وأمير البررة وقاتل الفجرة.. وقال لفاطمة: إن الله اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين أباك وبعلك. وقال: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي بن أبي طالب[1].

وإذا صرفنا النظر عن الآيات والأحاديث، ورجعنا إلى التاريخ رأينا أن تاريخ علي يقترن بتاريخ محمد، وجهاده بجهاده من أول يوم إلى آخر يوم من حياته، فإذا ذكرت نشأة محمد ذكرت بيت أبي طالب وفاطمة بنت أسد، وإذا ذكرت بعثة محمد ودعوته إلى

---

(١) المستدرك والاستيعاب والخصائص للنسائي والمناقب للإمام أحمد والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي. انظر القسم الأول من الجزء الثالث من كتاب «أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين» فقد ذكر هذا ومعه أكثر منه من كتب السنة وغيرها.

الإسلام ذكرت علياً وأباه ودفاعهما عنه، وذكرت سبق الإمام إلى تصديقه والصلاة معه في أول صلاة صلاها الرسول في الإسلام، وإذا ذكرت حصار قريش للنبي في الشعب ذكرت حراسة علي له، في الليل والنهار، وإذا ذكرت الهجرة ذكرت مبيت علي على الفراش، وإذا ذكرت حروب النبي بكاملها ذكرت علياً في كل موقعة منها، حتى غزوة تبوك لا بد أن تذكر استخلاف النبي له على المدينة، وقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وإذا ذكرت ذرية الرسول وبيت الرسول ذكرت علياً وفاطمة والحسن والحسين، وإذا ذكرت وفاته ذكرت أنه انتقل إلى ربه، ورأسه في حجر علي، وأنه هو الذي غسله وجهزه وصلى عليه.

ومن هنا قال المنصفون: أن علياً شريك محمد في كل ما تحقق لدين الله من انتصار على الكافرين والمعاندين، ومن انتشار الإسلام في شرق الأرض وغربها.

وغريبة الغرائب أن يقول جاهل متحامل: أن الشيعة يحجون إلى قبر علي، وأنه لشرك بالله!..

ونقول له: إن الشيعة يحرمون الحج إلى غير بيت الله في مكة المكرمة ولكنهم يزورون قبر الإمام كما يزورون قبر النبي، لأن كلاً منهما وهب نفسه لله، وجاهد لتثبيت دينه وانتشاره في الخافقين، فزيارة قبر علي تقديس للإسلام، وإكبار للدين، وإجلال لمحمد، وزيارة لقبره بالذات، فإذا كان القصد إلى قبر علي والتبرك به وتعظيمه حرام وبدعة فكذلك القصد إلى قبر النبي وزيارته وتعظيمه حرام وبدعة أيضاً.

جود الإمام

إن الحديث عن جود الإمام وسخائه يعرف من الحديث عن زهده وأعراضه عن الدنيا ومتاعها، لأن من تبين العلل استطاع أن يتنبأ بمعلولاتها، فإن النواة يكمن فيها ما تنتجه من نبات.

ومع هذا فإنا نذكر شذرات من أقواله، وأمثلة من أفعاله في هذا الباب، قال:

* البخل جامع لمساوىء العيوب، وهو زمام يعاد به إلى كل سوء.

* الكرم أعطف من الرحم.

* من أيقن بالخلف جاد بالعطية.

* لا يجتمع شح وإيمان في قلب أبداً.

* المهلكات ثلاث: شح مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

* البخل عار، والجبن منقصة، والفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في بلدته.

* البخيل كالخنزير لا ينتفع به إلا بعد موته. حيث يصبح طعاماً للكلاب والوحوش.

ورأى عذرة على مزبلة، فقال: هذا ما بخل به الباخلون.

ومن كانت الأموال عنده كالفضلات والجيف على المزابل فهو أجل وأسمى من أن يقال بأنه كريم وجواد بالمعنى المعروف بين الناس.. وهل يقال كريم لمن بات على فراش الرسول وفداه بنفسه؟ كلا، إنه ملاك لا يهتم إلا بالله، ولا يُقبل على أحد سواه.

وقد بلغ من جوده أنه كان يحارب مشركاً، فقال له المشرك: هبني سيفك. فرمى به إليه، فقال له: عجباً، أفي مثل هذه الساعة تدفع إلي سيفك؟!.. فقال له: إنك سألت، وما كنت لأرد سائلاً.

وقال الشعبي: كان علي أسخى الناس، ما قال لا لسائل قط.

وعن أبي الطفيل أنه قال: رأيت علياً يدعو اليتامى، فيطعمهم العسل، حتى قال بعض أصحابه: وددت أني كنت يتيماً. وأوقف الإمام جميع أملاكه على الفقراء والمساكين، وكان غلتها في السنة أربعين ألف دينار، وكان يسقي النخل بيده لبعض اليهود بأجر زهيد ويتصدق به على المحتاجين.

وروى الرازي عن ابن عباس في تفسيره الكبير أن هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ١٧٥] نزلت في علي، ونقل هذا صاحب دلائل الصدق عن الواحدي في كتاب «أسباب النزول» وعن السيوطي في كتاب «الدر المنثور» أما نزول هل أتى.. ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، في علي وفاطمة والحسن والحسين فأشهر من أن يذكر[1] وليس بعد ثناء الله قول لقائل.

---

(١) انظر تفسير البيضاوي، والنيسابوري، والبغوي، والثعلبي، والدر المنثور للسيوطي، وتفسير الرازي نقلاً عن الواحدي.

ومما استدل به الإمامية على أفضلية الإمام أنه كان أسخى الناس بعد رسول الله ﷺ وأنه اشتهر بالسخاء إلى حد ألجأ معاوية إلى الاعتراف والقول بأنه لو ملك بيتاً من تبر، وبيتاً من تبن لأنفد تبره قبل تبنه، ولا شيء بعد الإيمان بالله أفضل من السخاء، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ همّ بقتل أحد المشركين، فأوحى الله إليه أن يعفو عنه، لأنه كريم يطعم الطعام، ولما علم المشرك بذلك أسلم وشهد الشهادتين، وهذا الحديث يوحي إلينا بأن سجية الكرم محبوبة لدى الله سبحانه، ولو كانت من جاحد كافر، وروي أن حاتماً لا يدخل الجنة لكفره، ولا يعذب في النار لكرمه، وقال الإمام الرضا: أن الكريم قريب من الجنة، قريب من الله، قريب من الناس، والبخيل بعيد عن الجنة، بعيد عن الله، بعيد عن الناس.

وبالتالي، فنحن حين نتكلم عن جود الإمام وشجاعته وزهده وعلمه فلا نضيف وصفاً إلى وصف، كما يضاف الواحد إلى الاثنين، وإنما نتكلم عن خصائص عظمته، وآثار شخصيته التي هي المصدر الأول لكل فضيلة ومكرمة، فإذا أردنا أن نذكر الفضائل بكاملها ذكرنا اسم علي بن أبي طالب وكفى، لأنه هو الفضائل، تماماً كالشمس التي يغني ذكرها عن ذكر النور لأنها هي النور.

دنيا علي

لباسه:

كان لباس علي يتألف من ثلاثة أثواب: (١) القميص إلى فوق الكعب (٢) الأزار إلى نصف الساق (٣) المدرعة. وهي ثوب من صوف. وكان ثمن لباسه كاملاً ديناراً واحداً.

وقال الإمام: «والله لقد رقعت مدرعتي هذه، حتى استحييت من راقعها. وقال لي قائل: ألا تنبذها؟! فقلت له: اغرب عني، فعند الصباح يحمد القوي السري».

قيل: وكان راقع المدرعة ولده الحسن، وكان يرقعها بجلد تارة، وبليف أخرى. أما حذاؤه فمن ليف، وكان يصلحه بيده، وقال له آخر: بدّل ثوبك هذا. فقال له: وأي ثوب أستر منه للعورة؟! وقال له ثالث مثل ذلك. فأجابه الإمام: هذا أبعد لي عن الكبر، وأجدر أن يقتدي به المسلم. وعن إحياء العلوم للغزالي كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع سيفه. ولا يكون له إلا قميص واحد، لا يجد غيره في وقت الغسل، وقال علي مرة: من يشتري سيفي هذا فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكروب عن وجه رسول الله، فوالله لو كان عندي ثمن أزار ما بعته. وقال لأهل البصرة: ماذا تنقمون مني؟ أن هذا من غزل أهلي، وأشار إلى قميصه.

وعن الإمام الباقر أن أمير المؤمنين ذهب مع قنبر إلى سوق البزازين، وطلب من رجل يبيع الملابس أن يبيعه ثوبين، فقال له: يا أمير المؤمنين عندي حاجتك، ولما أيقن الإمام أن الرجل يعرفه تركه ومضى، وأبى أن يشتري منه خشية أن يتساهل معه في الثمن، ثم وقف على غلام واشترى منه ثوبين: أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين، وبعد أن قبض الغلام الثمن جاء أبوه، وعرف الإمام، فقال له: يا مولاي أن ابني لا يعرفك، وهذان درهمان ربحهما منك. فقال له: ما كنت لأفعل لقد اتفقنا مع ولدك على رضى.

وأعطى الإمام الثوب الذي بثلاثة دراهم لقنبر، وأبقى الذي بدرهمين لنفسه، فقال قنبر: أنت أولى به مني، أنك تصعد المنبر، وتخطب الناس. فقال له: وأنت شاب، ولك شره الشباب، وأنا أستحيي من ربي أن أتفضل عليك، سمعت رسول الله يقول: ألبسوهم مما تلبسون، وأطعموهم بما تأكلون.

ومن أقواله: أن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعامه بقرصيه، وجاء في وصفه: يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، الله أكبر!.. علي خليفة المسلمين في العراق وفارس والحجاز واليمن ومصر، يبيع سيفه ليشتري أزاراً بدرهمين!.. علي والدنيا في يده يتصرف فيها كيف شاء، ومتى شاء يكتفي منها بطمرين وقرصين!.. أجل، لقد اكتفى علي بطمريه من هذه الدنيا، ولكنه لم يكتف من الفضائل والمناقب إلا بكاملها وأكملها، فلقد ضم ذلك المئزر البالي شريك التنزيل، ومستودع التأويل، وقسيم الجنة والنار، وسيد الكونين، وحجة الله على خلقه بعد الرسول الأعظم.

وهل يهتم الإمام بالملابس، وهو القائل: قيمة كل امرىء ما يحسن؟! وهل تدل مفاخر الثياب على العظمة والقداسة؟! قال الإمام يصف دخول موسى وهارون على فرعون:

«ولقد دخل موسى بن عمران، ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون، وعليهما مدارع الصوف، وبأيديهما العصي، فشرطا له أن أسلم بقاء ملكه، ودوام عزه فقال: ألا تعجبون من هذين يشترطان لي دوام العز وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذل؟!

فهلا ألقي عليهما أساورة من ذهب؟!. إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه».

هذا منطق من استحوذ عليه الشيطان، وكان له قريناً، يزدري الفضيلة وأهلها، ويقدر أصحاب المال والجاه!.

جاء رجل موسر إلى رسول الله، وكان نقي الثوب، فجلس إلى جنبه، ثم جاء رجل معسر درن الثوب، فجلس إلى جنب الرجل الموسر، فقبض الموسر ثيابه وضمها، فقال له النبي: أخفت أن يمسك من فقره شيء؟! قال: لا. قال: أخفت أن يوسخ ثوبك؟! قال: لا قال: فما حملك على ما صنعت؟!. فقال: يا رسول الله أن لي قرينا يزين لي كل قبيح، ويقبح لي كل حسن، وقد جعلت لهذا الرجل نصف ما أملك. فقال الرسول للموسر: أتقبل؟ قال: لا. فقال له الرجل الموسر: ولماذا؟! فقال: أخاف أن يدخلني ما دخلك ويزين لي الشيطان ما زين لك.

طعامه:

دخل عليه بعض أصحابه، فوجد بين يديه إناء فيه لبن تفوح

منه رائحة الحموضة، وفي يده رغيف ظهر فيه قشار الشعير، وهو يكسره بيده، ويطرح الكسر في اللبن، فقال له الإمام: إدن وأصب من طعامنا. فامتنع الرجل، وقال لفضة خادمة الإمام ألا تتقون الله في هذا الشيخ؟! ألا تنخلون هذا الطعام النخالة؟. قالت: أمر أن لا نخل له طعاماً.

وعن الإمام الصادق أنه أهدي إلى أمير المؤمنين طست من فالوذج، وكان في نفر من أصحابه، فقال مدوا أيديكم، فمدوها ومد يده الشريفة، ثم رفعها، فقالوا له: أمرتنا أن نمد يدنا، ففعلنا، ومددت يدك، ثم قبضتها؟.. فقال: ذكرت أن رسول الله ﷺ لم يأكله، فكرهت أكله.

وذكر صاحب سفينة البحار في مادة «كبد» عن كتاب مصباح الأنوار أن أمير المؤمنين علياً اشتهى كبداً مشوياً في خبزة لينة، فذكر ذلك لولده الحسن، فصنعها له، وكان صائماً، فلما أراد أن يفطر قدمها إليه، وما أن مد يده. حتى وقف سائل على الباب، فقال: يا بني احملها إليه.

ولو صدر هذا الإيثار من غير علي لتعجبنا، وبحثنا عن سببه، إما وقد صدر عن الذي يرجح إيمانه على السموات السبع، والأرضين السبع[1] فلا عجب، وإنما العجب أن لا يصدر منه ذلك.

وإذا تنافس المتنافسون من أهل الجهالة والضلالة على المآكل

---

(١) جاء في كتاب الرياض النضرة للمحب الطبري من السنة ج ٢ ص ٣٠٠ طبعة ١٠٥٣ عن عمر بن الخطاب أنه قال: أشهد على رسول الله لسمعته يقول: لو أن السموات السبع والأرضين السبع وضعت في كفة، ووضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي.

والمشارب وتكالبوا على الجاه والمال وتسابقوا إلى اقتناء السيارات الحديثة الفارهة، وبناء العمارات الضخمة، فإن أولياء الله وأصفياءه يتسابقون إلى مرضاة الله وثوابه، ويتأسون بموسى وعيسى ومحمد، فلقد جاء في بعض خطب نهج البلاغة:

«لقد كان في رسول الله ﷺ كاف لك في الأسوة... إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها...

وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله ﷺ إذ يقول: رب لما أنزلت إلي من خير فقير، والله ما سأله إلا خبزاً يأكله، لأنه كان يأكل بقلة الأرض.. وإن شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقارىء أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها، ويأكل قرص الشعير من ثمنها.. وإن شئت قلت في عيسى بن مريم ﷺ فلقد كان يتوسد الحجر، ويلبس الخشن، ويأكل الجشب، وكان أدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا مطمع يذله، دابته رجلاه، وخادمه يداه».

تأسى علي بمحمد وموسى وعيسى، لأنه من هذا البيت، بيت الرحمة، ومن هذه الشجرة، شجرة النبوة، أما أبناء الدنيا فقد ساروا بسيرة بن العاص الذي باع دينه بولاية مصر وخراجها لمن بايع وتابع وشايع الشيطان، قال الإمام: «الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على مخالطة الكلاب». ولذا لفظها الإمام لفظ النواة، وكانت عنده أحقر من حذائه ومن ورقة في فم جرادة.

قال الأستاذ العقاد في آخر كتاب «عبقرية الإمام»: أما معيشة

علي في بيته بين زوجاته وأبنائه فمعيشة الزهد والكفاف، وأوجز ما يقال فيها أنه كان يتفق له أن يطحن لنفسه، وأن يأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته، وأن يلبس الرداء الذي يرعد فيه، وأن أحداً من رعاياه لم يمت عن نصيب أقل من النصيب الذي مات عنه، وهو خليفة المسلمين».

بيته:

حين بنى رسول الله المسجد في المدينة بنى حوله عشرة بيوت: تسعة منها لأزواجه، وعاشرها لعلي وفاطمة، وكان في وسط البيوت، وكان يسكنه مدة وجوده في المدينة ثم سكنه من بعده أولاده وأحفاده إلى أيام عبد الملك بن مروان، فاغتاض من وجوده، وأراد أن يهدمه محتجاً بتوسيع المسجد، وكان فيه الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فطلبوا أن يخرج منه، فقال: لا أخرج، ولا أمكن من هدمه، فضرب بالسياط، واخرج قهراً عنه، وهدم الدار، وزيد في المسجد.

ولما بويع الإمام بالخلافة، وانتقل إلى الكوفة «أبى أن ينزل القصر الأبيض المعروف بقصر الإمارة إيثاراً للخصاص التي يسكنها الفقراء، ولم يبن آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة»[1].

إن علياً لا يهتم بالقصر الأبض ولا بغيره بعد أن قال له النبي: أنت معي في قصري في الجنة، كما ذكر الإمام أحمد في المناقب، والمحب الطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٧٧،

---

(١) عبقرية الإمام العقاد، وأسد الغابة لابن الأثير.

وقال في الصفحة المذكورة قال رسول الله: الجنة تشتاق لى ثلاثة: علي وعمار وسلمان، وقال في صفحة ٢٧٩: قال رسول الله: إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن قصري في الجنة وقصر إبراهيم متقابلان، وقصر عليّ بن أبي طالب بين قصري وقصر إبراهيم، فياله من حبيب بين خليلين!.. وقال أي المحب الطبري في صفحة ٢٨٠: قال رسول الله: يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض. أخرجه الطبراني.

بيت المال:

قال ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب»: كان علي يقسم ما في بيت المال بين المسلمين، ثم يأمر بكنسه فيكنس، ثم يصلي فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة، وأتاه مال من أصبهان قسمه سبعة أسباع، ووجد فيه رغيفاً، قسمه سبع كسر، وجعل على كل قسم كسرة.

وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم أن ابن النباج قال له: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، أتت من الخارج، فقال: الله أكبر!.. علي بالناس، فنودي فيهم، ولما أقبلوا فرق جميع ما في بيت المال، وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري.

كان يفرق المال، حتى لا يبقى منه درهم و دينار، ثم يحمل المسحاة، ويعمل في الأرض، فيستنبط العيون، ويقفها في سبيل الله. وفي ذات يوم وصل مال الصدقة مساء، فقال لمن حضر: اقتسموه. فقالوا: أمسينا. أخره إلى غد. فقال: من يضمن بقائي إلى غد. وقيل له: اعط من هذه الأموال الذين يخشى منهم،

ويفرون إلى معاوية فقال: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور، أما خبره مع ابنته أم كلثوم حين استعارت العقد من بيت المال لتلبسه يوم العيد، فمعروف ذكره جميع المؤرخين من السنة والشيعة.

والذي تبين معنا من سيرة علي في الحكم أن له نظرة خاصة إلى مهمة الإمام والحاكم، وأن وظيفته لا تنحصر بحفظ الحدود، وإقرار النظام، وفرض الانضباط على الناس، ولا بحفظ الدين والشريعة وإقامة الفرائض فقط، بل هناك مسؤولية أخرى تقع على عاتق الراعي، وهي الاهتمام بحاجة المحتاجين، وعوز المعوزين. فإن عجز عن سد هذا العوز، وحالت الظروف والأوضاع الراهنة دونه وجب عليه أن يقدر نفسه بأدنى أفراد الرعية؛ وأكثرهم فاقة، ليشعر كل بائس ومحتاج بأنه أصبح في ذمة الراعي، وأن الراعي مسؤول أمام الله والناس عن مظالم البائسين وآلامهم، وأن لهم الحق كل الحق أن يسألوه ويحاسبوه إذا استطاع، ولم يفعل، أو عجز ولكن استأثر عليهم ولو بحبة خردل، تماماً كما يحاسب رب العائلة اتجاه أهله وأولاده، وقد جاء في الحديث الشريف: أن السلطان العادل كالوالد رحيم.

وكلام أمير المؤمنين صريح في ذلك، فمن كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً، وحولي بطون غرثى، وأكباد حرى! أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنه وحولك أكباد تحن إلى القد

أأقنع من نفسي بأن يقال: أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر؟!.»

وإذا لم يقدر الحاكم نفسه بضعفة الناس من رعيته فقد تجاوز حده، وخان مهمته، وأصبحوا في حال من بيعته، وجاز لهم الخروج على حكمه وسلطته.

إن المفكرين في هذا العصر يرون أن على الدولة أن تضمن لكل واحد من رعاياها الحد الأدنى من العيش، وأن تسلك كل سبيل وتتعاون مع كل هيئة ودولة تمدها بالعون لتحقيق هذه الغاية، وبديهة أن العلم في عهد الإمام لم يبلغ المرحلة التي بلغها الآن، كي يحاول العمل على تطبيق هذه الفكرة، فلم يبق بالإمكان إلا تقسيم الخراج بالسوية، وتقدير نفسه بأضعف الأفراد.

ومن مظاهر عدل الإمام ولطفه بالرعية أنه كان يأخذ الضريبة من أهل كل صناعة من صناعتهم وعملهم، ولا يحتم عليهم الدفع نقداً، فيأخذ الإبر من صانع الإبر، وكذا المال والخيوط والحبال، وما إلى ذلك.

وبالاختصار أن مبدأ الإمام في الحكم يبتني على أساس شعور الراعي بالمسؤولية تجاه رعيته، سواء في ذلك العامل ورب العمل، والتاجر والمستهلك والقادر والعاجز، وهذا المبدأ ديني إسلامي مستقل بذاته، ولا صلة له بأي نظام من الأنظمة المعروفة بالاشتراكية أو الشيوعية أو الرأسمالية.

صلاة الإمام

إن صلاتنا أشبه بمركب يتألف من كلمات وحركات، ولا هدف لنا من ورائها إلا أن نؤدي عملاً فرضه علينا الدين، قال النبيﷺ: اقرأوا «كذا» ثم اركعوا واسجدوا، ففعلنا كما أمر، ورفعنا الأيدي بالتكبير مفتتحين به «الصلاة» وختمناها بالسلام والتحيات علينا وعلى العباد الصالحين، وهذا كل شيء.

وأي فرق بين صلاتنا هذه، وبين من يعبد الله بإضاءة الشموع؟

وقد يخشع البعض في صلاته، ويتجه بها إلى الله سبحانه، أما أن يشعر بأنه واقف أمام الله، وبين يديه شعور من رأى بالعين، ولمس باليد، فلم نعهده إلا من الأئمة الأطهار والصفوة من أتباعهم، لأنهم يعرفون الذي يقفون بين يديه معرفة لا ستر دونها ولا حجاب.

قال إبان بن تغلب للإمام جعفر الصادق: إني رأيت علي بن الحسين إذا قام في الصلاة تغير لونه. فقال الإمام: والله أن علياً ابن الحسين كان يعرف من يقوم بين يديه.

وكل إنسان إذا رأى عظيماً ملكته الرهبة والدهشة، واستولى عليه الخوف والجزع. رأى إعرابي رسول الله، فاهتز من أعماقه، فقال له: هون عليك، أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد. وقال

صاحب سفينة البحار في مادة «هيب»: إن فاطمة بنت رسول الله قالت: دخلت على أبي، فما استطعت أن أكلمه من هيبته، وأن علياً قال: دخلت على رسول الله وكانت له هيبة وجلال، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم.

عليّ على شجاعته وجرأته يهاب الرسول، وهو منه بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة[1] وفاطمة تهاب أباها، وهي بضعته، وقد اعتادت عطفه وحنانه، وما ذاك إلا لجلال النبوة، وهيبة الرسالة، وقد روى الرواة أن امرأة أسقطت حملها من هيبة عمر بن الخطاب.

والسبب الوحيد لهذا الخوف هو علم الخائف بعظمة من خافه وهاب منه، قال بعض المؤلفين: «إن الخوف هو العلم وصدق المشاهدة، فإن أعطي العبد حقيقة العلم، وصدق اليقين، سمي خائفاً»، ولا أحد أعلم بالله من أمير المؤمنين الذي قال: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً، وقال: اعبد الله كأنك تراه، وقال له قائل: هل رأيت ربك؟ فقال لم أعبد رباً لم أره.

وإذا عرفت أن الخوف هو المعرفة، أو ملازم له بنص الآية ٢٨ من فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ عرفت صحة ما روي من أن الإمام كان في بعض عباداته ومناجاته يغشى عليه حتى يظن أنه قد فارق الحياة، وهذا الغشيان العميق لا يتنافى مع قوله مخاطباً ربه عز وجل: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في

---

(١) قال أمير المؤمنين في خطبته المعروفة بالقاصعة: «ولقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويشمني جسده، ويشمني عرقه ـ أي رائحته ـ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنه، وما وجد لي كذبة في قول؛ ولا خطلة في فعل.

جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» لأنه ليس خوفاً من العقاب، بل خشوعاً لهيبة الجلال، وعلماً بعظمة المبدع، وشكراً لنعمة المنعم.

وجاء في الحديث أن النبيﷺ كان إذا قام للصلاة تريد وجهه خوفاً من الله، وكان لصدره أزيز كأزيز المرجل، وفي حديث آخر: كأنه الثوب الملقى، وفي حديث ثالث عن عائشة: كان رسول الله يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا، ولم نعرفه.

وعلم علي بالله سبحانه تماماً كعلم النبي لا يختلف عنه في شيء، ومن هنا كانت حالتهما في الصلاة واحدة، وقد تواتر الحديث أن محمداً وعلياً وخديجة أول من صلى في الإسلام، قال أبو نعيم في حلية الأولياء. «إن قوله تعالى: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ نزلت في رسول الله وعلي خاصة، وهما أول من صلى وركع» وفي سنن ابن ماجة وتفسير الثعلبي أن علياً قال: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت مع رسول الله سبع سنين[1].

وقال المحب الطبري في كتاب «الرياض النظرة» ج ٢ ص ٢٠٨ وما بعدها طبعة ١٩٥٣:

«قال ابن عباس: لعلي أربع خصال ليست لا حد غيره، وذكر منها أنه أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله.. وأن عفيف الكندي قال: كنت امرءاً تاجراً، فقدمت الحج، فأتيت العباس بن

(١) انظر كتاب «مناقب آل أبي طالب» ص ٢٤٧ وما بعدها طبعة إيران لمحمد بن شهرآشوب توفي سنة ٥٨٨ هـ، ودفن في ظاهر حلب فقد نقل الشيء الكثير في هذا الباب عن كتب السنة.

عبد المطلب، فوالله إني عنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب، وقام يصلي، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء فصلت خلفه، ثم خرج غلام فقام معه يصلي. فقلت للعباس: ما هذا؟ قال: هذا محمد وامرأته خديجة وابن عمه علي. فقلت ما الذي يصنعون؟ قال إن محمداً يزعم أنه نبي، ولم يتبعه أحد إلا امرأته وابن عمه. وأسلم عفيف بعد ذلك. وكان يقول آسفاً متحرقاً: لو كان رزقني الإسلام يومذاك فأكون ثانياً مع علي بن أبي طالب»[1].

واهدي إلى رسول الله ناقتان سمينتان، فقال لأصحابه: من يصلي ركعتين لا يهتم بشيء من أمر الدنيا، ولا يحدث قلبه بفكر من أفكارها أهديه إحدى الناقتين، فلم يجرأ أحد إلا الإمام، فقال له: أنا يا رسول الله فقال له: قم وصل. فصلى الإمام وحين التشهد خطر له أن يأخذ أحسن الناقتين، فينحرها ويتصدق بها لوجه الله، وحين انتهى الإمام من الصلاة أخبر النبي بذلك، فقال له: هذا الفكر لله والآخرة، لا للدنيا ونفسك، وأعطاه الناقتين، فنحرهما وأطعمهما المعوزين.

قال العلامة الحلي في كتاب «نهج الحق»:

«بلغ في العبادة أنه كان يؤخذ النشاب من جسده عند الصلاة، لانقطاع نظره عن غير الله تعالى بالكلية، وكان مولانا زين يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، ويدعو بصحيفة، ثم يرمي بها كالمتضجر، ويقول: أنيّ لي بعبادة علي؟! وقال الإمام الكاظم: إن قوله تعالى:

---

(١) نقل هذا باللفظ تارة وبالمعنى أخرى الطبري في تاريخه، والثعلبي في تفسيره، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، وابن الأثير في أسد الغابة والنسائي في خصائصه والحاكم في مستدركه، وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهم وغيرهم.

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ نزلت في أمير المؤمنين، وكان في صفين مشتغلاً بالحرب، وهو بين الصفين يراقب الشمس، فقال ابن عباس: ليس هذا وقت صلاة، إن عندنا لشغلاً. فقال علي: فعلام نقاتلهم؟ إنما نقاتلهم على الصلاة».

واستشهد الإمام في فجر الجمعة، وهو قائم يصلي بين يدي الله في مسجد الكوفة، فجاء آخر حياته كأولها: ولد يوم الجمعة، واستشهد يوم الجمعة، واستقبل الحياة في الكعبة المشرفة حيث ولدته فيها أمه، وسقط على الأرض وهو ساجد، وضربه ابن ملجم، وهو ساجد لله في بيت الله. ولم تكن هذه الكرامة لأحد قبله، ولن تكون لإنسان من بعده.

ولدته في حرم الإله وأمنه ... والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة ... طابت وطاب وليدها والمولد
ما لف في خرق القوابل مثله ... إلا ابن آمنة النبي محمد

الإمام والتنبؤات العلمية

ذكرت أحاديث وشواهد كثيرة على علم الإمام في صفحات متفرقة من هذا الكتاب، حسبما تطلبته المناسبات، وتكلمت عن ذلك مطولاً في كتاب «علي والقرآن» بعنوان «المغيبات». لذا لم يكن قصدي الكلام عن علمه في فصل مستقل. وحين باشرت بطبع الكتاب شعرت بالحاجة إلى كتابة هذا الفصل، ذلك أن للإمام تنبؤات تحتاج إلى التفسير والتعليل.

لقد ذكر أصحاب التاريخ والسير تنبؤات كثيرة للإمام، ولكنهم لم يفرقوا بين أسبابها وأنواعها، واعتبروها جميعاً من باب واحد، وخلطوا بين معرفة الإمام التي مصدرها القرآن الكريم، والرسول العظيم، وهي التي لا ترتقي العقول إلى إدراكها مهما كانت درجتها من السمو، لأنها غريبة عن الفكر، ولا تتصل بأي شيء غير الوحي والغيب، خلطوا بين هذه المعرفة، وبين المعرفة التي مصدرها عظمة الإمام وفكره الصافي النقي الذي سبق عصر التقدم، واتفق مع حضارتنا، ومع كل حضارة يصنعها الإنسان، ولو بعد ألف عام.

لقد وثق علي بالإنسان بعد أن نظر إليه من خلال النزعات الوقتية العارضة، وبعد أن عرف ما في طبيعته من قوى الخير، والغرائز التي تؤهله لأن يسخر الكون بكامله ويجعله أطوع له من بنانه. قال في تحديد الإنسان: «الإنسان يشارك السبع الشداد»،

ومعنى هذا أن موهبته لا تقف عند حد الوضع الذي هو فيه، بل تتعداه إلى ما هو أرفع وأسمى بل وإلى مشاركة القمر والزهرة والمريخ وسائر الكواكب.

ولم يكتف الإمام بهذا الإجمال، فقد ضرب أمثلة على تقدم الإنسان ورقية، فقال على لسان حفيده الإمام جعفر الصادق: «يأتي على الناس زمان يسمع ويرى من في المشرق من في المغرب»، أشار إلى الراديو والتلفزيون. وقال مشيراً إلى تقدم العلم في حقل الزراعة: سيأكل الإنسان ثمرة الصيف في الشتاء، وتحمل الشجرة مرتين في سنة واحدة، وينتج الصاع مئة صاع. وقال عن المواصلات: تكون السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، والأسبوع كاليوم، واليوم كالساعة. وقال: من العلماء من يضع علمه عند ذوي الثروة والشرف تماماً كعلماء هذا العصر الذين يستعبدهم أصحاب المؤسسات الحربية والاحتكارية حتى أصبحوا كجزء منها. وقال: ستزيد الخيرات، حتى تصبح كالتراب، وحتى تستوي الأرزاق بين الناس، ويكون الجميع على أحسن حال، وفي أمن وأمان لا يظلم أحد أحداً، ولا يخاف شيء من شيء، ولا يراق محجمة دم[1] ولا غرابة في ذلك ما دام يمثل أمنية الناس، ورغبة كل إنسان؟؟ بل لقد تحققت انتصارات كثيرة للحق والحرية والسلم والتقدم العلمي، إذن سيتحرر العلماء من رجال السياسة، وتجار الحروب وتصدق نبوءة الإمام في الأمن والأمان وعيش الهناء للجميع، كما صدقت في غيرها، لأن من أصاب في معرفة الأسباب يصيب في معرفة النتائج لا محالة.

---

(١) تكلمت عن ذلك مطولاً في كتاب «علي والقرآن»، وذكرت المصادر التي يرجع تاريخها إلى مئات السنين وبعضها إلى أكثر من ألف سنة.

إن لعظمة الإمام مظاهر شتى تجلت في زهده وتضحيته، وفي صلابته في دينه وعقيدته، وفي شجاعته وبطولته، وفي صبره وسيطرته على نفسه، وفي علومه ومعارفه، وقد تجلت هذه العظمة بأظهر معانيها في ثقته بالإنسان، وبتعبير أصح، في ثقته بعلم الإنسان، لأن الإنسان لولا العلم لكان تراباً يتحرك، لا فرق بينه وبين سائر الحيوانات.

ومن أقواله في تقدير العلم كفى العلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله وكفى بالجهل خمولاً أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه. وقال: العلم أكثر من أن يحصى ما حوى العلم جميعاً أحد ولو مارسه ألف سنة.. اعلم الناس من جمع علوم الناس إلى علمه. وبعد علي بقرون أدرك المفكرون هذه الحقيقة، وتبادلوا المعلومات، وعقدوا المعاهدات الثقافية. وقال: لو جمعت الدنيا في لقمة واحدة، وأعطيت لطالب العلم لكانت دون حقه. ومن هنا رأينا الدول في الشعوب المتقدمة تفضل العلماء، وتقدمهم على جميع الفئات بعكس الدول المتخلفة التي تعظم الجهال من أهل الثراء والأنساب، ومحال أن يحس هذا الإحساس العميق بعظمة العلم إلا «من كان في صدره علم جم.. وإلا من فتح له ألف باب من علم ما كان ويكون.. وإلا من كان عنده أصدق العلوم وفصل الخطاب».

وآية الإعجاز في عظمة الإمام أن يقدر العلم هذا التقدير، ويخبر عن نتائجه وثمراته التي تحصل بعد مئات السنين، وهو يعيش في عصر أبعد ما يكون من الوعي والعلم، في عصر لا شيء فيه غير الوثنية والبداوة.

وقال يصف الأرض: أنشأ الأرض فامسكها من غير اشتغال، وارساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم. قال هذا حين كان الناس يعتقدون أنها قائمة على قرن الثور، ولم يدركوا هذه الحقيقة إلا بعد مئات السنين.

قرأت فيما قرأت كتيباً جديداً؛ اسمه «النشاط العملي» أشاد فيه المؤلف بالتجربة، وجعلها السبيل الوحيد لتقدم العلوم، ومضي الإنسان في طريق الاختبار والعمل المثمر، لأن العالم إذا حدثت له فكرة، وامتحن صحتها بالتجربة، تولد من تجربته فكرة ثانية لم تكن في حسبانه، ولدى امتحان الثانية تتولد الثالثة، وهكذا إلى ما لا نهاية، وقد لخص الإمام هذه الحقيقة بقوله: «في التجارب علم مستأنف» أي أن التجربة ليست سبباً للعلم، وكفى، بل تنتقل بصاحبها من علم إلى علم، وإذا حصر الفلاسفة التجريبيون سبب المعرفة بالتجربة فإن الإمام قد ربط بين النظريات الحديثة وبين التجارب، وهذا ما أثبته الحس والعيان.

وبالتالي، فلا مصدر لهذه الأفكار إلا إشعاع العقل الذي تغلب على المحيط والبيئة، ولا أثر فيه لشيء إلا ذات الإمام، وعظمته التي تخطت حدود الزمان والمكان. إن علياً ابن أبي طالب لم يسبق عصره فحسب، بل وعصرنا أيضاً، أن عصر علي هو العصر الذي يكون الإنتاج فيه كالماء والهواء، هو العصر الذي لا ظلم فيه، ولا استعمار ولا إقطاع ولا جوع ولا جهل، ولا شيء يكدر صفو الحياة في شرق الأرض وغربها.

الحمزة أسد الله وأسد رسوله

قبل البعثة:

نزل الوحي على رسول الله ﷺ بعد أن بلغ سن الأربعين، وأمضى حياته قبل البعثة بين قوم مشركين يعبدون الأصنام، تسيطر عليهم أخلاق الجاهلية الجهلاء وعاداتهم، ولكن محمداً رفض بفطرته الاعتراف بآلهتهم منذ حداثته، وسما بأخلاقه عن أخلاقهم وبعاداته عن عاداتهم، بل جاهر ببغضه وأعراضه عن اللات والعزى، قال له بعض المشركين: أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك. فقال له: لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما بغضت شيئاً بغضهما. وكان بينه وبين رجل نزاع على شيء فقال له الرجل: احلف باللات والعزى. فقال له: ما حلفت بهما قط، وأني أعرض عنهما.

وتركه المشركون وشأنه، ولم يضايقوه في شيء، فلم يطلبوا منه أن يسجد لصنم، أو يضحي له، أو يحضر معهم الاحتفالات الدينية، بل إحترموه وأكرموه، وأسموه الصادق الأمين، واحتكموا إليه في بعض خصوماتهم، وبعد أن نزل عليه الوحي عارضوه وحاربوه، ذلك أنه لم يتركهم وشأنهم، كما تركوه وشأنه، بل لعنهم ولعن آباءهم وآلهتهم، ووصفهم بالصم البكم وقال فيهم: أنتم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم.

وقد يتساءل: لماذا لم يترك النبي المشركين ودينهم كما تركوه من قبل؟. ثم كيف يقول لهم: أنتم الضالون المضلون، وأنا وحدي الصالح المصلح، وهو يعلم بأن فيهم العدة والعدد، ولهم الحول والطول، وهو فقير أعزل؟

الجواب:

إن محمداً ﷺ صاحب رسالة إلّهية، ومبادىء إنسانية يبغي تنفيذها والعمل بها بكل ثمن، فهو مكلف من الله سبحانه بأن ينقل الناس من الضلال، ويهديهم سواء السبيل، ويحملهم على الحق والعدل، ويطهرهم من الشرك والجهل والفساد، ولو سكت واعتزلهم وما يعبدون لكان عابداً كغيره من العباد، لقد دعاهم النبي إلى الحق، وهو على يقين أنهم سيغضبون ويثورون، ويحاولون القضاء على حياته بكل سبيل، ولكنه لم يعبأ لأنه على يقين من أمره أجل، إن دعوته قد أثارت الحروب وأراقت الدماء، وكلفته حياة عمه حمزة وابن عمه جعفر الطيار ومئات المخلصين من أصحابه، ومع ذلك فإن دينه دين الرحمة والسلام، والأمن والأمان، فلقد دعاهم إلى الله بالحسنى، فأصروا على الضلال، ودعوه بدورهم إلى السكوت، فأصر على دعوته، ولما عجزوا عن إقناعه واستسلامه أعلنوا عليه الحرب.

ولماذا يسكت عن الباطل؟. أحباً بالسلم وحقنا للدماء؟. وهل في مسالمة الظلم وأهله، والفساد ومعدنه شيء من الخير؟ وهل كل سلم مرغوب فيه، حتى ولو أدى إلى استبداد الطاغية بالجماعات، وانتهاك الحرمات؟. وليس من شك أن في حقن الدماء خيراً كثيراً، ولكن على أن لا يؤدي إلى ما هو أشد ضرراً،

وأسوأ أثراً، لقد طلب المشركون السكوت من الرسول ثمناً لسكوتهم عنه. ولكن هذا السكوت مسالمة للشيطان والطغيان، لذا أصر النبي على دعوة الحق، دون أن يعلن الحرب ويشهر السلاح، فأعلنها عليه أعداء الحق، وشهروا في وجهه السلاح، فتقبلها صابراً محتسباً، وقد أزعجهم هذا الصبر والثبات الذي حقق له النصر والغلبة في نهاية المطاف.

بعد البعثة:

لم يستطع المشركون أن يعتدوا على حياة النبي، وأبو طالب حي، فتعمدوا أذاه، والإساءة إليه، وصده عن أداء رسالته بشتى الوسائل غير القتل، منها أنه كان يصلي يوماً في حرم الله، فقام رجلان عن يمينه يصفران، ورجلان عن يساره يصفقان، ومنها أنهم ألقوا عليه الفرث والدم، ومنها أنهم كانوا يغرون به صغارهم وسفاءهم، يرمونه بالحجارة، وهو مار في طريقه، فكان يخرج معه علياً، ليردهم عنه. ومن الطريف أن أبا جهل رأى النبي يصلي عند المقام فقال له: ألم أنهك عن هذا؟ وتوعده. وفي كل عصر يوجد أناس على مبدأ أبي جهل يرون أمرهم ونهيهم فوق أمر الله ونهيه، وهم لا يشعرون.

ولأبي جهل مع النبي مواقف كثيرة، فقد كان مولعاً بأذاه والنيل منه. من تلك المواقف أن النبي كان جالساً عند الصفا، فلما لقيه أبو جهل أسمعه بعض ما يكره، فانصرف النبي ولم يكلمه، وكان الحمزة بن عبد المطلب في الصيد، وحين عاد من قنصه متوشحاً سيفه، لقيته امرأة، وأخبرته بما كان من أبي جهل، وقالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك منه. فامتلأ الحمزة

غضباً، وانطلق مسرعاً يبحث عن أبي جهل، فوجده جالساً بين قومه، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس وضربه بها، فشجه شجة منكرة، وقال له: رد علي أن استطعت، فتقبلها أبو جهل صاغراً، ولم يحرك ساكناً.

قال محمد حسين هيكل في كتاب «منزل الوحي» ص ٥٦٣ الطبعة الثانية:

«ولا يقولن أحد أن النعرة العصبية أو العزة العربية هي التي دفعت الحمزة إلى ما صنع.. لكنه الإيمان امتلأت به نفس الحمزة هو الذي دفعه إلى ما صنع، وهل مثل الحمزة في بسالته واستهانته بالموت من يقول لأبي جهل، وهو من هو مكانة في قومه بعد أن شجه لسبه محمداً: أتسبه وأنا على دينه أقول ما يقول، إلا أن يكون صادق الإيمان، بلغ من امتثال قلبه رسالة الله إلى نبيه ألا يطيق التعريض به؟. ومن يومئذٍ وهب الحمزة حياته لله وللدفاع عن دينه، لأنه أيقن أن هذا الدين هو المثل الأعلى الذي توهب الحياة في سبيله».

بأبي طالب شيخ البطحاء، وبعلي سيف الله، وبالحمزة أسد الله وأسد رسوله، كفى الله نبيه كيد المشركين في مكة، وهزمت الوثنية وانتصر الإسلام، والعجب العجاب أنه لم يذكر في كتب السنة، ولا في غيرها أن أحداً ناصر الرسول في هذا الدور غير علي وأبيه وعمه الحمزة، ومع ذلك يقول من يدعي الإسلام: إن أبا طالب مات كافراً، وأن فلاناً أفضل من علي والحمزة؟.. ولا بدع فإن الذين يقدرون الكفاح في سبيل الله هم أهل المعرفة والتقوى، أما أهل الجهل والهوس فبينهم وبين الحق حجاب.

وقد يقول من لا يرى أبعد من أنفه: أن موقف أبي طالب وابنه وأخيه في هذه الفترة من حياة النبي ليس شيئاً ذا بال، أما العارف المنصف، أما الذي يقدر الأشياء حق قدرها، وينظر إلى آثارها ونتائجها فيرى أن موقفهم يومئذٍ مع الرسول كان حجر الأساس لصرح الإسلام وحياته وانتشاره، أن الأشياء لا تقاس بلحظات حدوثها المحدودة، بل بآثارها من البداية إلى النهاية، وحماية أبي طالب للنبي، ومحافظته على حياته تمتد آثارها حيث يمتد الإسلام، وتبقى ببقائه إلى يوم الله الذي لا إلّه سواه.

من هو الحمزة:

لما افتدى عبد المطلب ابنه عبد الله بمئة من الإبل فكر في تزويجه، وكان عبد المطلب يومئذٍ في السبعين من عمره، فخرج بعبد الله، حتى أتى به منزل بني زهرة، وخطب آمنة بنت وهب إلى أبيها زوجة لابنه عبد الله، وخطب ابنة عمها هالة زوجة لنفسه، وولدت آمنة محمداً، وولدت هالة الحمزة، وارضعتهما مرضعة واحدة، فالحمزة عم النبي وأخوه من الرضاعة، وشب محمد يهيئه الله لما أراد من رسالته، وشب الحمزة فتى أبياً قوياً رضي الخلق، وسيم الطلعة، مفتول العضل، محباً للقنص يخرج في الفلاة فإذا عاد من الصيد لم يرجع إلى أهله، حتى يطوف بالكعبة، ثم لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم، وتحدث مع من فيه، وكانوا جميعاً يحبونه ويهابونه أن كان أعزّ قريش وأشدها شكيمة»[1].

وفي ذات يوم، والنبي جالس في بعض الدور مع المسلمين، ومن بينهم الحمزة، وإذا بالباب يطرق، فقام أحد الجالسين، ونظر

---

(١) منزل الوحي لمحمد حسين هيكل.

غضباً، وانطلق مسرعاً يبحث عن أبي جهل، فوجده جالساً بين قومه، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس وضربه بها، فشجه شجة منكرة، وقال له: رد علي أن استطعت، فتقبلها أبو جهل صاغراً، ولم يحرك ساكناً.

قال محمد حسين هيكل في كتاب «منزل الوحي» ص ٥٦٣ الطبعة الثانية:

«ولا يقولن أحد أن النعرة العصبية أو العزة العربية هي التي دفعت الحمزة إلى ما صنع.. لكنه الإيمان امتلأت به نفس الحمزة هو الذي دفعه إلى ما صنع، وهل مثل الحمزة في بسالته واستهانته بالموت من يقول لأبي جهل، وهو من هو مكانة في قومه بعد أن شجه لسبه محمداً: أتسبه وأنا على دينه أقول ما يقول، إلا أن يكون صادق الإيمان، بلغ من امتثال قلبه رسالة الله إلى نبيه ألا يطيق التعريض به؟. ومن يومئذٍ وهب الحمزة حياته لله وللدفاع عن دينه، لأنه أيقن أن هذا الدين هو المثل الأعلى الذي توهب الحياة في سبيله».

بأبي طالب شيخ البطحاء، وبعلي سيف الله، وبالحمزة أسد الله وأسد رسوله، كفى الله نبيه كيد المشركين في مكة، وهزمت الوثنية وانتصر الإسلام، والعجب العجاب أنه لم يذكر في كتب السنة، ولا في غيرها أن أحداً ناصر الرسول في هذا الدور غير علي وأبيه وعمه الحمزة، ومع ذلك يقول من يدعي الإسلام: إن أبا طالب مات كافراً، وأن فلاناً أفضل من علي والحمزة؟.. ولا بدع فإن الذين يقدرون الكفاح في سبيل الله هم أهل المعرفة والتقوى، أما أهل الجهل والهوس فبينهم وبين الحق حجاب.

وقد يقول من لا يرى أبعد من أنفه: أن موقف أبي طالب وابنه وأخيه في هذه الفترة من حياة النبي ليس شيئاً ذا بال، أما العارف المنصف، أما الذي يقدر الأشياء حق قدرها، وينظر إلى آثارها ونتائجها فيرى أن موقفهم يومئذٍ مع الرسول كان حجر الأساس لصرح الإسلام وحياته وانتشاره، أن الأشياء لا تقاس بلحظات حدوثها المحدودة، بل بآثارها من البداية إلى النهاية، وحماية أبي طالب للنبي، ومحافظته على حياته تمتد آثارها حيث يمتد الإسلام، وتبقى ببقائه إلى يوم الله الذي لا إلّه سواه.

من هو الحمزة:

لما افتدى عبد المطلب ابنه عبد الله بمئة من الإبل فكر في تزويجه، وكان عبد المطلب يومئذٍ في السبعين من عمره، فخرج بعبد الله، حتى أتى به منزل بني زهرة، وخطب آمنة بنت وهب إلى أبيها زوجة لابنه عبد الله، وخطب ابنة عمها هالة زوجة لنفسه، وولدت آمنة محمداً، وولدت هالة الحمزة، وارضعتهما مرضعة واحدة، فالحمزة عم النبي وأخوه من الرضاعة، وشب محمد يهيئه الله لما أراد من رسالته، وشب الحمزة فتى أبياً قوياً رضي الخلق، وسيم الطلعة، مفتول العضل، محباً للقنص يخرج في الفلاة فإذا عاد من الصيد لم يرجع إلى أهله، حتى يطوف بالكعبة، ثم لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم، وتحدث مع من فيه، وكانوا جميعاً يحبونه ويهابونه أن كان أعزّ قريش وأشدها شكيمة»[1].

وفي ذات يوم، والنبي جالس في بعض الدور مع المسلمين، ومن بينهم الحمزة، وإذا بالباب يطرق، فقام أحد الجالسين، ونظر

---

(١) منزل الوحي لمحمد حسين هيكل.

ثم عاد، وهو يقول: هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف، ولم يكن قد أسلم بعد. فقال الحمزة: ائذن له، فإن أراد خيراً بذلناه له، وإن أراد شراً قتلناه بسيفه. ولما هاجر النبي إلى المدينة، وآخى فيها بين المهاجرين والأنصار آخى بين الحمزة وزيد بن حارثة مولى رسول الله.

وفي كتاب «ذخائر العقبى» للمحب الطبري ص ١٧٦ طبعة ١٣٥٦ هـ أن النبي قال: «والذي نفسي بيده أنه مكتوب عند الله عز وجل في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله.. خير أعمامي حمزة.. سيد الشهداء يوم القيامة حمزة». وكان حمزة أول من بعثه النبي على رأس أول سرية قامت من المدينة لمناوأة قريش، فقد عقد له النبي الراية على ثلاثين فارساً من المهاجرين.

ويوم بدر خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فخرج إليهم الحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فقتل الحمزة شيبة، وقتل علي الوليد، ثم أعانا عبيدة على قتل عتبة، وغاص الحمزة في قلب المعركة يقلب اليمين على الشمال، يقط الرقاب، ويطيح بالرؤوس وفعل يوم أُحد كما فعل يوم بدر، وكان يمسك سيفاً بيمينه، وآخر بيساره، وقتل فيمن قتل سباع بن عبد العزى، وأرطأة بن شرحبيل، وأنه لفي الغمار يقتل مقبلاً ومدبراً إذ عثر عثرة فوقع على ظهره، وانكشف درعه عن بطنه، فانتهز وحشي الفرصة، فرماه بحربة فوقعت في ثنته، وخرجت من بين رجليه، وأقبلت هند أم معاوية وجدة يزيد، فجدعت أنفه، وقطعت أذنيه، وشقت بطنه، وأخرجت كبده تمضغها وتلوكها تشفياً، وأرادت أن تبتلعها فلم تستطع، رجاء زوجها أبو سفيان وضرب

شدق الحمزة بزج الرمح، واقتدى يزيد بجده حين رأى رأس الحسين عليه السلام، ولله در الشاعر الكبير الأستاذ بولس سلامة حيث يصف هذا الموقف المخزي من أبي سفيان وزوجته هند:

أعملت ذئبة النساء بكبد الليـ ـث نابا لعل تشفي الغليلا
فرت الكبد من فم العهر فر البـ ـكر من غاصب لتبقى بتولا
فدعهيا للدود أطهر نفساً منك يا هند واتركي المأكولا
زوجك الذئب ليس أرفع خلقاً والخسيس المرذول يهوي الرذيلا
شامتاً مر بالشهيد طروباً كالعريس السكير عب الشمولا
طاعناً بالفتيل شدق قتيل صار شيئاً مهشماً مجهولا
يرهب الهر زبدة الليث حياً ويباهي بنهشه مقتولا
أوليس السرحان جد يزيد أورث الولد طبعه في الهيولى

وإن هذه الظاهرة من أبي سفيان وزوجته هند، ومن حفيده يزيد من بعده تعطي ضوءاً ساطعاً على روح الأمويين وطبيعتهم ومقاصدهم قد يوجد في العرب لصوص وقتلة ومجرمون، أما هذه الخسة والضعة، أما هذه القسوة والغلظة فنادرة جداً إلا في أمية وشيعة أمية.

وبالتالي، فأين الذين يتغنون بأمية وعروبتها وأمجادها عن هذه المخازي والأوباء؟!. أين هم عن هذه الحقارة والنذالة والحقد والضغينة؟! ولماذا يبررون، بل يفخرون بأعمال الفجار والأشرار؟! ولماذا لا يدرسون التاريخ، ويواجهون الحقائق بتجرد؟! ومحال أن تكون آراؤنا على صواب في تفسير التاريخ وغيره إذا آمنا بها مسبقاً وقبل البحث والنظر، كما فعل الحفناوي ومحب الدين الخطيب والجبهان وإضرابهم، أما نحن فقد درسنا القرآن والسنّة والكتاب،

وآمنا إيماناً عن فهم وعلم بأن طعنة أبي سفيان لأسد الله وأسد رسوله هي طعنة للإسلام بالذات، وأن حماية أبي طالب للنبي هي حماية للإسلام بالذات، وأن من والَ أبا سفيان أو عده من المسلمين المتقين، وعادى أبا طالب، أو أخرجه من زمرة الإسلام فهو عدو لله ورسوله وجميع الأنبياء والمرسلين وملائكة الله المقربين[1].

(١) كان للحمزة ولدان عمارة ويعلى، ولم يعقب عمارة، ورزق يعلى خمسة أولاد ذكور ماتوا كلهم من غير عقب (ذخائر العقبى للمحب الطبري) وفي الجزء السادس من البحار أن أعمام النبي تسعة: الحارث والزبير وأبو طالب والحمزة والغيداق وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس، ولم يعقب منهم إلا أربعة: الحارث وأبو طالب والعباس وأبو لهب ويقوي في الظن أن أبناء الحارث والعباس وأبي لهب قد نسبوا أنفسهم إلى الحسن والحسين لينالوا شرف النسبة إلى الرسول، وإلا فأين هم الآن، وغير بعيد أن يكونوا مع هؤلاء السادة الكثر الذين يدعون بكاملهم الانتساب إلى خاتم الأنبياءﷺ.

الغدر

حب السلطة:

مهما اختلف المسلمون، وتعددت فرقهم ومذاهبهم فإنهم متفقون كلمة واحدة على اتباع القرآن، وما ثبت عن الرسول الأعظمﷺ وأنهما الحجة القاطعة لكل حجة، وأن أي عالم مهما سمت مكانته لا يؤخذ كدليل، بل يطالب هو بالدليل على أقواله، وينظر إليها كدعوى تحتاج إلى بينة، أما القرآن وسنة الرسول فكل منهما دليل قاطع، وحجة بالغة بنفسها.

ويحاول اليوم رجال من السنة والشيعة أن يحصروا الاختلاف بين المسلمين في تفسير لفظ أو صحة سند، ومثل هذا الاختلاف حاصل بين الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، وبين فقهاء الشيعة أيضاً بعضهم مع بعض، وعليه يكون الاختلاف عرضياً لا جوهرياً، وفي الفروع لا في الأصول.

ويصح هذا القول لو كانت الاختلافات كلها من نوعن ما حصل في تفسير الآية ٦ من سورة المائدة: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، حيث أوجب الشيعة مسح الأرجل عطفاً على الرؤوس، وأوجب السنة غسلها عطفاً على الأيدي، أما إذا كان الاختلاف من نوع آخر، كالذي وقع في فتسير لفظة الولاية من الحديث المتواتر: «من كنت مولاه فعلي

مولاه» حيث ذهب السنة في تفسير الولاية إلى أنها الحب والمودة، وذهب الشيعة إلى أنها الحكم والسلطان، أما إذا كان الاختلاف من هذا النوع فهو جوهري لا عرضي، وفي اللباب لا في القشور.

وعلى أية حال، فإن الأهم أن نبحث عن الأسباب والدوافع التي بعثت «أولئك» على تفسير لفظ الولاية بالحب لا بالحكم وتفسير لفظ الوصي من قول النبي لعلي: «أنت وصي» بالوصاية بالعلم والهداية، أو بالتجهيز والصلاة، وتفسير لفظ: «أنت خليفتي» بأنه الخليفة الرابع لا الأول، وتفسير «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» بأنه إرضاء لعلي وتطييب لقلبه.

والذي يظهر للباحث المتأمل أن السبب الأول لهذا التكلف والتعسف، هو الظلم والبغي على أمير المؤمنين، ولو انصفوه وأبقوا اللفظ على دلالته الظاهرة لكان المسلمون جميعاً على ما كانوا عليه في عهد الرسول أمة واحدة إلى يوم يبعثون، ولكنهم حرفوا كلام الله والرسول عن مواضعه ظلماً وعدواناً، فتفرقوا من جراء هذا التحريف شيعاً واحزاباً، قال تعالى في الآية ١٤ من سورة الشورى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾. قال الرازي في تفسيره الكبير: ما تفرقوا إلا من بعد ما علموا أن الفرقة ضلالة، ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وطلب الرئاسة».

كلنا يعلم أن الذين طلبوا الرئاسة هم الذين ترأسوا بالفعل. أما علي فقد سكت خشية أن يتسع الخرق، وتكلمنا عن ذلك مفصلاً في كتاب «الشيعة والحاكمون» وقد دل تاريخ علي وسيرته أن الدنيا عنده أحقر من ورقة في فم جرادة تقضمها، وأهون عليه من رماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، ومن أجل هذا اختاره الله

والرسول للخلافة، وانتخبته الطبيعة لهذا المنصب، لأن من يحرس حقوق الناس ونصيبهم من هذه الحياة يجب أن يكون منزهاً عن أغراضها وأهوائها، بل معصوماً عن ذنوبها وأخطائها، تماماً كعلي بن أبي طالب، أما الذين اغتصبوا هذا الحق الإلّهي الطبيعي، فهم الذين تكالبوا على حب السلطة، وآثروها على طاعة الله والرسول، ومزقوا من أجلها المسلمين شر تمزيق، وتركوهم يعانون أدواء هذه التفرقة إلى اليوم، وإلى آخر يوم.

قال راسل الفيلسوف الإنكليزي الشهير المعاصر: «لا نكون على صواب في تفسير التاريخ القديم منه والحديث على السواء إلا حين ندرك أن السبب الكامن وراء النشاطات المهمة في أمور المجتمع إنما هو حب السلطة» ومن أجل حب السلطة غدروا بعلي، ومن غدرهم هذا تولدت الأحداث المهمة في العالم الإسلامي، قال الحاكم في المستدرك: أن النبي قال لعلي أن الأمة ستغدر بك بعدي... وقال له أيضاً: ستلقي بعدي جهداً[1].

بين القرآن الكريم أن السبب لتفريق كلمة المسلمين هو الظلم والبغي، وفسَّر الحديث النبوي هذا البغي بالغدر بعلي، فالنتيجة الحتمية أن الغدر بعلي كان السبب لشتات المسلمين فرقاً وأحزاباً.

التحذير من العواقب:

وقد أدرك هذه الحقيقة، وأعلنها، وحذر من عواقبها الصحابي الجليل عمار بن ياسر، فقال حين بويع عثمان: يا معشر قريش إذا أردتم أن لا يختلف المسلمون فولوا علياً.. يا معشر قريش إن

---

(١) انظر دلائل الصدق للمظفر - ج ٣ ص ٤٨، وأعيان الشيعة للأمين - ج ٣ للقسم الأول ١٠٦ طبعة ثالثة، والكتابان ينقلان عن كتب السنة.

تصرفوا هذا الأمر عن بيت نبيكم، وتحولوه ها هنا مرة، وها هنا مرة فما أنا بآمن أن ينزعه الله منكم، ويضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهله، ووضعتموه في غير أهله»[1].

وصدقت نبوءة أبي اليقظان، فتنازع المسلمون فيما بينهم، وفشلوا وذهبت ريحهم وهيبتهم، ثم انتزع السلطان الترك والديلم من قريش، وانتزعه الإفرنج من الترك والديلم، وضربت الذلة على المسلمين، والسبب الأول والأخير اغتصاب الحق من أهله، ووضعه في غير محله.

ومن الخير أن تنقل حواراً بين المقداد بن الأسود الكندي، وبين عبد الله بن ربيعة بن المغيرة يوم بويع عثمان، لأنه يلقي ضوءاً ساطعاً على هذه الحقيقة، قال المقداد لقريش: إذا بايعتم علياً سمعنا وأطعنا، وإذا بايعتم عثمان سمعنا وعصينا.

فقال عبد اللّه: إذا بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا، وإذا بايعتم علياً سمعنا وعصينا.

ويدلنا هذا الحوار على أن الصراع بين قريش وعلي كان صراعاً بين مصالح الأرستقراطيات التي يمثلها عثمان، ومصالح الجماعات التي يمثلها علي، صراع بين قريش التي تريد الحكم لحماية مصالحها وامتيازاتها، وبين مصالح المسلمين طلاب الحق والعدل، ولم تجد قريش في أخلاق علي ما تتذرع به لإبعاده عن الحكم، فكل صفاته تؤهله لإمرة المؤمنين، فجاهرت علناً بهذا العداء، تارة على لسان هشام بن المغيرة الذي قال لعمار بن ياسر

---

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ٢٩ طبعة سنة ١٩٥٢، والكشكول فيما جرى على آل الرسول ص ١٦٨.

حين دعا إلى مبايعة الإمام: «ما أنت وثارات قريش لأنفسها»[1] وأخرى على لسان الخليفة الثاني.

قال عمر لابن عباس: ما أظن صاحبك إلا مظلوماً.

قال ابن عباس: ما يمنعك من رد ظلامته؟!

قال عمر: إن القوم استصغروا سنه..

قال ابن عباس: ولكن الله لم يستصغر سنه حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر.

قال عمر: إن قريشاً تبغضه.

قال ابن عباس: على من نقمت قريش؟ هل نقمت على الله، وقد أمر نبيه بقتالها، أم على النبي حين أمر علياً بقتالها، أم على علي حين أطاع الله والرسول؟!.

فالتفت عمر إلى ابن عباس ومشى[2].

اعترفا الخليفة الثاني بأن قريشاً تبغض علياً، ولم يشر إلى سبب هذا البغض، فصارحه ابن عباس بأن نقمة قريش على الإمام الذي قاتلها على الإسلام، تماماً كنقمتها على النبي الذي قاتلها بأمر الله عز وجل على الإسلام، نقموا على علي، لا لشيء إلا لأنه أرادهم للحق والعدل والخير العام، وأرادوه للإطماع والسلب والنهب، فمن أقواله في نهج البلاغة: «إني أريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم، أيها الناس أعينوني على أنفسكم، ولايم الله لأنصفن المظلوم من ظالميه، ولأقودن الظالم بخزامته، حتى أورده منهل الحق، وإن كان كارهاً».

---

(١) كتاب «الكشكول فيما جرى على آل للرسول» لحيدر الحسيني الأملي ص ١٦٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٧١.

وقال النبي ﷺ: «علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة» وليس من شك أن معاوية أظهر أفراد الظلمة لأنه اشترى دين الرجال وضمائرهم، ليوطد ملكه، ويمهد لولده يزيد نقل الحاكم في المستدرك عن أبي قيس الأودي أنه قال: «أدركت الناس ثلاث طبقات: أهل دين يحبون علياً، وأهل دنيا يحبون معاوية، وخوارج» وما زال أهل الدين والحق حتى اليوم يحبون علياً، ويكرهون معاوية، وسيبقى علي محلاً للتقديس والتعظيم، ومعاوية محلاً للاحتقار والهوان إلى آخر يوم.

سفينة النجاة:

جاء في الحديث أن رسول الله أخبر علياً بما يلقي بعده، فقال له علي: ادعو الله أن يقبضني إليه. فقال: يا علي تسألني أن أدعو الله لأجل مؤجل وتواترت الأحاديث من السنة والشيعة على أن النبي أخبر بجميع ما تحدثه الأمة من بعده حادثة حادثة، بخاصة ما وقع على أهله، وبين أنهم سفينة النجاة، والفارق بين الحق والباطل، وبين حزب الله وحزب الشيطان، نقل المظفر في الجزء الثاني من كتاب دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٨ عن كتب السنة أن النبي قال: «ستكون فتنة، فمن أدركها فعليه بالقرآن وعلي بن أبي طالب... أنه أول من آمن بي، وأول من يصافحني، وهو فاروق هذه الأمة ويعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة، وهو الصديق الأكبر، وهو خليفتي من بعدي» وفي القسم الثاني من الجزء الثالث من أعيان الشيعة للأمين ص ١٠٦ طبعة ثالثة. إن الحاكم في مستدرك، والسيوطي في الدر المنثور قالا: إن النبي حين نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وضع يده على صدر علي، وقال: أنا المنذر وأنت الهادي، يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي».

ولم يكتف النبي بهذا الحديث، بل ذكر جميع ما جرى على أهل بيته من بعده حادثة حادثة، ونبه على أنهم الحق في جميع الحالات، وأن المعتدي عليهم هو الآثم الظالم، قال للزبير: لتقاتلن علياً، وأنت له ظالم، ونهى عائشة عن الخروج، وذكرها بالجمل الأحمر وكلاب حوأب، وقال مشيراً إلى القاسطين والمارقين والناكثين الذين حاربوا علياً: «حرب علي حربي، وسلمه سلمي» وعبر عن معاوية ومن معه بالفئة الباغية، وعلم أن ابن آكلة الأكباد سيسب علياً، فقال: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، بل أسمى قاعدة كلية، وأصلاً عاملاً بقوله: «يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق «حيـ ـ جعل حب علي معياراً في قياس الإيمان، وبغضه معياراً في قياس النفاق، وفي أحاديث أخر: علي مع الحق والحق مع علي.. علي مع القرآن والقرآن مع علي.. علي مني، وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن من بعدي» وما إلى ذلك من النصوص الصحيحة الثابتة عند السنة والشيعة.

ومن أعاجيب المزاعم والتمحلات أن يقول قائل بأن معاوية اجتهد في شق عصا المسلمين والخروج على أمير المؤمنين، وسبه على المنابر!..

الجواب:

أولاً: أنه اجتهاد في قبال النص، فإن قول الرسول: الحق مع علي يدور معه كيفما دار، وقوله: لا يبغضك إلا منافق، وقوله: حرب علي حربي لا يقبل التأويل والتفسير، ومخالفته نفاق وفساد لا تأويل واجتهاد. ثم هل اجتهد معاوية في دس السم بالعسل، واغتيال الحسن والأشتر وعبد الرحمن بن خالد؟! وهل اجتهد في

إلحاق زياد بأبي سفيان، والنبي يقول: للعاهر الحجر؟! ومن هنا قال الفقهاء: إن زياد أول دعي في الإسلام. وهل اجتهد في الاحتيال على عبد اللّه بن سلام وحرمانه من زوجته؟! وهل اجتهد في إعطاء مصر وأهلها لابن العاص طعمة؟! وهل اجتهد في شراء ضمائر الناس ودينهم ليبايعوا ولده يزيد الكافر الفاجر؟! وإذا اجتهد معاوية وتأول في كل ذلك فأبو جهل وأبو لهب وسائر المشركين الذين حاربوا الرسول في بدر وأحد والأحزاب اجتهدوا وتأولوا!..

ثانياً: أن الذين اعتذروا عن معاوية قد صرحوا في كتبهم الفقهية بأنه لا يجوز الخروج على الحاكم الجائر، بل يجب الصبر على جوره حقنا للدماء، ومع ذلك فقد أجازوا لمعاوية أن يخرج على الإمام العادل، حتى قُتل بسبب فتنته سبعون ألفاً أو أكثر في حرب صفين، وعليه وحده تقع أوزار دمائهم وتبعاتهم. قال عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر» ص ٣٨٥: لا يختلف العلماء أن علياً رضي الله عنه لم يقاتل أحداً إلا والحق مع علي كيف وقد قال رسول اللهﷺ: «اللهم أدر الحق معه كيفما دار».

وأختم هذا الفصل بكلمة للإمام عثرت عليها، وأنا أبحث وأنقب في المصادر، وهي «ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله».

وإذا سألني سائل عن السر والحكمة لظهور الأشرار على الأخيار في مثل هذه الحال فلا جواب لدي إلا أن أقول: «الله أعلم» مع الإيمان بحكمة الخالق عز وجل. وإذا كنت على يقين من عقل رجل وتدبيره، ثم رأيته يهدم داره بعد أن أتم بناءها، فليس لك أن تقول بأنه مجنون، وأنت تجهل سر البناء والهدم، فإن الحكيم لا يعبث، وإن غابت عنك حكمته.

نهج البلاغة

قال أعداء محمدﷺ وجاحدوا رسالته ونبوته: إن القرآن من وضعه، لا من وحي الخالق جل وعلا.

وقال أعداء علي وجاحدوا إمامته وولايته: أن نهج البلاغة ـ كله أو جله ـ من تأليف الشريف الرضي، لا من أقوال الإمامعليه السلام.

الجواب:

إن كتاب نهج البلاغة يختلف عن هذه الكتب التي يضع المؤلف تصميمها، ثم يباشر بالتأليف والكتابة، أنه مجموعة من الخطب والحكم والمواعظ قالها الإمام تبعاً للظروف والمناسبات، فمنها ما كان أجوبة عن أسئلة، ومنها خطاب لأهل العراق الذين قاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين، ومنها في عظمة الإسلام ونبيه، ومنها وصايا لأرحامه وأصحابه، ومنها في وصف الجنة والنار، ومنها نفثة مصدور، إلى غير ذلك[1].

فهل تتبع الشريف الرضي كل هذه الحوادث والمناسبات،

---

(١) جاء في زخر مقدمة الإمام محمد عبده: «جمع الكتاب ما يمكن أن يعرض للكاتب والخاطب من أغراض الكلام، فيه الترغيب والتنفير، والسياسات، والجدليات، والحقوق وأصول المدنية وقواعد العدالة. والنصائح والمواعظ، فلا يطلب الطالب طلبة إلا ويرى فيه أفضلها، ولا تختلج فكرة إلا وجد فيه أكملها.

وأحصاها حادثة حادثة، ووضع لكل منها خطبة تلائمها!!. وكيف استطاع أن يتقمص روح الإمام التي يستحيل على إنسان أن يجاريها أو يقلدها، لأنها روح النبي بالذات؟! كيف استطاع أن يتجاوب مع الذات العلوية بإحساسها ومشاعرها، ويرسم شخصيتها وعظمتها، من قريب وبعيد؟! كيف استطاع أن يجرد من نفسه باباً لعلم مدينة الرسول، وللنبأ العظيم الذي شغل وسيشغل الناس أجيالاً وأجيالاً.

إن كل كلمة من كلمات نهج البلاغة تعكس في وضوح روح الإمام وعلمه وعظمته في دينه وجميع صفات الجلال والكمال، ولو لم يحمل نهج البلاغة اسم الإمام، ثم قرأه عارف بسيرته وشخصيته لا يتردد في القول بأنه كلام الإمام من ألفه إلى يائه[1].

ومما تذرع به الزاعمون بأن نهج البلاغة كله أو بعضه مدسوس ومنحول، أن فيه معاني واصطلاحات كلامية وفلسفية، مع أن الفلسفة كانت مجهولة عند المسلمين في عهد الإمام!..

الجواب:

إن في القرآن قضايا علمية وفلسفية وتشريعية لم تعرفها العرب في عهد النبي ولا قبله، وقد استدل علماء الكلام وفلاسفة المسلمين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في كثير من الموضوعات الفلسفية التي تكلموا عنها؛ فهل هذه الآيات والأحاديث منحولة مدسوسة؟! وهل من الضروري إذا اتفق قول

---

(١) قال الأستاذ الهنداوي في كتاب «مع الإمام علي» ص ٢٠٠: «لا نكاد نرى كتاباً انفرد بقطعات مختلفة يجمعها سلك واحد من الشخصية الواحدة والأسلوب الواحد، كما نراه في نهج البلاغة، لذلك نقرر ونكرر أن النهج لا يمكن أن يكون إلا لشخص واحد نفخ فيه نفس واحد».

مع قول أن يكون أحدهما مصدراً للآخر؟!. وقد أثبت علماء الغرب والشرق من غير المسلمين بأن القرآن والسنّة هما المصدر الأول للحضارة الإسلامية وعلومها وفلسفتها، وكلنا يعلم أن علياً هو صنو الرسول وتلميذه ونجيه، وشريك القرآن، بل هو القرآن الناطق، وما بين الدفتين القرآن الصامت[1].

والغريب أن هؤلاء المنكرين لا يستكثرون على ابن خلدون الكلام في علم الاجتماع قبل أن يعرفه روسو ومنتسكيو، وأن يقولوا عن علومه ومعارفه: «إنها تدفق فجائي وحدس باطني واختمار لاشعوري»، ثم يستكثرون على باب مدينة العلم أن يصف الطاووس، وأن يقول: الله أيّن الأين، فلا يقال له: أين؟ وكيّف الكيف، فلا يقال له: كيف؟ وأن يصف الباري تعالى بصفات تليق بجلاله. وهو أعرف الناس به بعد الرسول؟!

هذا إلى أن الإمام تكلم عن أشياء لا يعرفها اليونان ولا غير اليونان ـ فيما أعلم ـ كقوله: يعيش الولد لستة أشهر، ولسبعة أشهر، ولتسعة أشهر ولا يعيش لثمانية أشهر[2].

وقوله: العقل في الدماغ، والضحك في الكبد، والرأفة في الطحال، والصوت في الرئة، وما إلى ذلك[3].

---

(١) بعد البحث لم أجد أي سبب للشك في نسبة نهج البلاغة إلى الإمام إلا أن جامعه الشريف الرضي شيعي وهم لا يعتبرون رواية الشيعة، فقد رد ابن عساكر بعض الروايات لأن «الراوي رافضي ليس بثقة» وكذلك فعل ابن عدي لأن الراوي «شيعي محترق» وقال التباني في كتاب «تحذير العبقري»: الرضي رافضي إمامي معتزلي انظر كتاب التباني المذكور ص ٦٢ و ١١٢ ج ٢.

(٢) سفينة البحار للقمي ج ١ ص ٤٧.

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٩٠ طبعة ١٩٥٣.

ولو نسب نهج البلاغة لمعاوية بن أبي سفيان لكانت النسبة حقاً وصدقاً ولكان أبا يزيد المصدر الأول للفلسفة والحضارة الإسلامية، ولكنه نسب إلى إمام المتقين وحبيب المؤمنين وعدو المنافقين فأصبح موضع الريب والتشكيك.

وقد أثبت السيد محسن الأمين في الجزء الأول من أعيان الشيعة، والشيخ هادي كاشف الغطاء في المستدرك، أثبتنا بطرق السنة أن خطب نهج البلاغة كانت مدونة في كتب شتى تحفظها الناس مع غيرها من كلام الإمام، قبل أن يخلق الشريف الرضي. وقال المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣١ الطبعة الثانية: «والذي حفظ الناس من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيفاً وثمانين خطبة يوردها على البديهة، تداول الناس ذلك قولاً وعملاً» وقد توفي المسعودي سنة ٣٤٦ هـ. أي قبل أن يولد الشريف الرضي بأكثر من عشر سنوات، لأنه توفي سنة ٤٠٦ عن ٤٧ سنة.

ثم أن تدوين الفلسفة وترجمتها في عصر العباسيين أن دلا على شيء فإنما يدلان على أن التدوين والترجمة حصلا في ذلك العصر، أما أن المسلمين ليسوا على علم بما عند غيرهم من الفنون والفلسفات فلا؛ لأن الفتوحات الإسلامية، واختلاط المسلمين بالأجانب ابتدأ منذ خلافة عمر بن الخطاب، حيث انتصر المسلمون على الرومان والفرس، واتصلوا بالسوريين واللبنانيين والمصريين، وكانت مدرسة الإسكندرية مقراً للتراث العقلي، وبقي التعليم فيها إلى أيام عمر بن العزيز، حيث انتقل منها إلى مدرسة أنطاكية، وقد اشتهرت بيزنطة بالمجادلات الإلهية والعقائد، وكان الاتصال على أئمة بينها وبين المسلمين، فالقول بأن المسلمين كانوا يجهلون علم الكلام في عهد الخلفاء الراشدين لا يعتمد على أساس، بل أن

ترجمة الفلسفة في عهد العباسيين جاء نتيجة لحياة فكرية سابقة تبتدىء من الصدر الأول، ولكنها لم تنتشر في عهد الصحابة كما انتشرت في عهد العباسيين، تماماً كما هو الشأن في تدوين الحديث والتفسير، فقد كان كل منهما موجوداً ومعروفاً قبل التدوين، وأن منطق الحوادث يحتم هذا التدرج، ويثبت هذه الحقيقة، لأن الارتقاء دفعة واحدة محال.

ولا نقول هذا، لنثبت أن الإمام أخذ عن الفرس والرومان، بل لنصحح الخطأ الشائع من أن المسلمين بوجه عام كانوا يجهلون الفلسفة أيام الصحابة والتابعين، وإلا فإن النبيﷺ قد أفرغ في أذن علي كل ما لديه من علوم الدنيا والدين بنص الحديث الشريف: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» فعن الإمام تأخذ الناس، ولا يأخذ هو إلا عن الرسول عن الله عز وعلا.

والآن تعال معي، لننظر ونتأمل في بعض ما جاء في كتاب «نهج البلاغة».

أمور المسلمين:

حين عزموا على بيعة عثمان قال الإمام:

«لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، والله لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجة».

إن الحكم والسلطان في نظر الإمام وسيلة لإحقاق الحق، وإقامة العدل وليس غاية في نفسه، فأي حاكم تجرد عن الأهواء والأغراض، وعمل للصالح العالم، وأنصف المظلوم من الظالم يسلم له الإمام، ويتناسى نفسه وحقه، ويتحمل الجور إذا وقع عليه

وحده، ولم يتجاوزه إلى سواه، زهداً فيما يتنافس فيه الناس من الجاه والمال وهذه هي سيرته مدة حياته، قبل الخلافة وبعدها.

حين تولى الخلافة قال له الخريت بن راشد: لن أأتمّ بك، ولن أشهد معك الصلاة، ولن أأتمر بأمرك، ولن يكون لك علي سلطان.

فقال له الإمام: لك ذلك مع عطائك كاملاً غير منقوص، على شريطة أن لا تعتدي على أحد، فإن اعتديت عاقبتك بما تستحق. وحين دار القتال بين الإمام ومعاوية اعتزلت فئة من القراء، فلم يكرهها على المضي معه. وبلغه أن رجالاً من رعيته يتسللون إلى معاوية، فتركهم وشأنهم، ونهى عن منعهم بالقوة، وقال: إنهم أهل الدنيا مقبلون عليها.

وبهذا يفترق أصحاب المبادىء عن الانتهازيين، فصاحب المبدأ شعاره حب الخير للخير، والبعد عن الشر لذات الشر، وهدفه تحقق المصلحة العامة، ومن أجلها يضحي بالنفس والنفيس، أما الانتهازي النفعي فلا هدف له إلا مصلحته الشخصية، يضحي بالأفراد والجماعات للحصول عليها، ولا يحب خيراً إلا إذا كان له منه النصيب الأوفى، ولا يكره شراً إلا خشية أن يصيبه طرف منه، هكذا كان أعداء الإمام لا يباركون ديناً ولا مبدأ إلا على ربح، ولا يعبدون الله إلا على حرف.

وكان الإمام كما قال: «لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين، وليس فيها جور إلا علي خاصة» فضالة الإمام هي المصلحة العامة يباركها أنّى وجدت»، ولو عند ألد خصومه وأعدى أعدائه[1] فإن

(١) ومن كلامه في نهج البلاغة: «الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق».

سالم فمن أجلها يسالم، وأن قاتل فمن أجلها يقاتل، قال: «كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وأخواننا وأعمامنا، لا يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين قائمة، ولا اخضر للإيمان عود».

وغير بعيد أن يكون قول الإمام: «لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين» هو المدرك والدليل لقول ابن طاوس: «الكافر العادل خير من المسلم الجائر».

سورات الزفير:

قال في خطبته الطويلة المعروفة بالغراء يصف الإنسان، وهو في يومه الأخير:

«دهمته فجعات المنية في غُبَّر جماحه[1] وسنن مراحه، فظل سادراً[2] وبات ساهراً في غمرات الآلام، وطوارق الأوجاع والأسقام بين أخ شقيق، ووالد شفيق، داعية بالويل جزعاً ولادمة للصدر قلقاً، والمرء في سكرة ملهية، وغمرة كارثة، وأنة موجعة، وجذبة مكربة، وسوقة متعبة، ثم أدرج في أكفانه مبلساً[3] وجذب منقاداً سلساً ثم ألقي على الأعواد رجيع وصب، ونضو سقم، تحمله حفدة الولدان، وحشدة الأخوان إلى دار غربة، ومنقطع زورة، حتى إذا انصرف المشيع، ورجع المتفجع أقعد في حفرته نجياً، لبهتة السؤال وعثرة الامتحان، وأعظم ما هنالك بلية نزول الحميم، وتصلية جحيم، وفورات السعير وسورات الزفير، ولا فترة

---

(١) غبر لجمع غابر، والمراد به أيام تعتته ومعاذلته للحق.

(٢) السادر هو الحائر.

(٣) مبلس أي: يائس.

مريحة، ولا قوة حاجزة ولا موتة ناجزة، ولا سنة مسلية بين أطول الموتات، وعذاب الساعات إنّا بالله عائذون».

هذه صورة صادقة ناطقة عن خاتمة الإنسان ونهايته، يشاهدها ويلمسها في غيره بين حين وحين، حتى إذا جاء دوره، ودنا أجله كان هو العبرة والموعظة، صورة تعبر عن آخر ساعة من ساعات الدنيا، وأول ساعة من ساعات اليوم المشهود الذي يخرج الناس فيه من قبورهم حفاة عراة، يقومون إلى ربهم للحساب والجزاء ولا حاكم إلا هو، ولا شاهد إلا الأسماع والأبصار والأيدي والأرجل، ولا شفيع إلا العمل الصالح ولا ملجأ إلا إليه وحده، ولا عقاب للمسيء إلا الحريق والسعير، وإلا أنواع العذاب على أيدي ملائكة غلاظ شداد.

من عجائب الصدف ـ وكم للصدف من عجائب وغرائب ـ إني قبل أن أقتطف هذه الكلمات، وأعلق عليها بيوم واحد عدت مريضاً مع ثلة من الإخوان، فوجدناه على حال دونها كل حال.

عرفت هذا المريض منذ أربعين سنة على التحقيق، وكان شاباً فقيراً يسكن مع زوجته في غرفة في إحدى قرى جبل عامل، وكانت الغرفة أشبه بالكوخ، سقفها وأرضها من طين، لا نوافذ لها إلا باب صغير وطيء للدخول والخروج، أما محتوياتها من أدوات وطعام فتتلاءم تماماً مع وضعها، ويستطيع رجل واحد أن يحمل كل ما فيها على ظهره، وكان في أول أمره يشتغل حمالاً في بيروت ينقل أمتعة الناس على ظهره بأجر زهيد، ثم فتح حانوتاً صغيراً في القرية، وتدرج في التجارة شيئاً فشيئاً، وكان ذا خبرة بها ومهارة، وله عقل وتدبير، ولما تقدمت تجارته، وتحسنت حالته نقل تجارته

إلى مدينة صور، فتدفقت عليه الأرباح، واشترى بناية محترمة في بيروت، وأنشأ بستاناً في صور، وأصبح من الأغنياء وأهل الثراء، ومن أبرز صفاته الحرص على المال، والولوع بتحصيله وكنزه، ولا يخرج القرش من يده إلا لضرورة ماسة، وحاجة لا مناص منها ولا خلاص، وكان في الوقت نفسه أميناً على حقوق الناس، ولا يعتدي على أحد، ولا يتدخل فيما لا يعنيه، ويؤدي الصوم والصلاة على أكمل الوجوه.

وفجأة وقع طريح الفراش فريسة للسرطان، وحين عدته شاهدت صورة يعجز عن وصفها القلم واللسان، فقد كان قبل أحزانه وسرطانه معتدل القامة، وسيم الوجه، مفتول الساعدين، ممتلىء الجسم، قوياً نشيطاً في ذهابه وإيابه، تطفح الحياة على وجهه، وفي عينيه. وحين دب الداء في جسمه أصبح رسماً بدون جسم، وخيالاً بلا حقيقة، ولو كان هذا وحده لكان فيه سعادته وهناؤه بالقياس إلا آلامه وأوجاعه، فلقد رأيته يقضم اللحاف بأسنانه تارة، ويعض يده أخرى، وهو يبكي ويقول: أواه يا حبذا الموت... عشرة أشهر لا أعرف فيها النوم، ولا الطعام إلا بعض العصير، ثم يلتفت إلى ابنه، ويقول بصوت باك حزين: اشتروني، لا أريد مالاً ولا عقاراً... يا ليتني أعمى أكسح أرعى نبات الأرض عارياً كالحيوانات، ولا أتألم ألمي هذا. إني أحس عظام ظهري تنشر بالمناشير، وأمعائي تقطع بالسكاكين، وكأن في خاصرتي مياسم من حديد..

خرجت من بيته، وأنا أقول: كلنا معرض لموضعه ومضجعه، ومن الذي يضمن لنفسه السلامة والعافية، ولكن لا نحس بألم الضرب قبل وقوعه، ولا بلذع الحريق قبل أن تمسنا النار، وهنا

يكمن سر الإهمال والتقصير، وإلى الله نعتذر ونفزع من كل مكروه.

وما زالت تلك الصورة المرهبة ماثلة أمام عيني، تؤثر في نفسي أثرها المخيف، ولا أخالها تتوارى عني ما دمت حياً، وما وجدت شيئاً أشرح به كلمات الإمام أوضح منها، وهو القائل عليه أفضل الصلاة والسلام: «فاتعظوا بالعبر، واعتبروا بالغير، وانفعوا بالنذر».

العيان والسماع:

قال: كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه... واعلموا أن ما نقص من الدنيا، وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة، وزاد في الدنيا.

إذا سمعت من يثني على شيء من أشياء هذه الحياة، ويصفه بأسمى الصفات وأكملها فإنك واجده لدى التجربة والعيان دون الوصف، إن كنت ممن يدرك الأمور على حقيقتها، وهذه نتيجة حتمية تستدعيها طبيعة الدنيا التي أخذ في تحديدها الفناء والعناء، وأنها إذا احلولى منها جانب أمر منها جانب، وأن لذاتها مهما عظمت فإنها إلى زوال لا محالة، على العكس من الآخرة، فإذا سمعت وصفاً لشيء من ثوابها أو عقابها فستجده لدى العيان والتجربة أعظم من الوصف بكثير، ذلك أنك لا تدرك الآن شيئاً من أشياء الآخرة إلا بالقياس إلى حياتك هذه وقد أخبرنا الوحي أن ذرة من عقاب الآخرة لا تعادلها ألوان العذاب في الدنيا مجتمعة، وأن أقل ثواب هناك يفوق نعيم الدنيا من بدايتها إلى نهايتها.

ولكن العاقل يتخذ من دنياه الفانية الوسيلة إلى الدار الباقية، وينقص من تلك ليزيد في هذه، فكما أن النمو في حياتنا يعتمد على البذل والعمل كذلك النجاة في الآخرة تعتمد على طاعة الله

سبحانه، والتضحية في سبيل الخير والصالح العام.

أبو ذر والحق:

في عقيدتي أن خلافة عثمان كانت أهم حدث في تاريخ المسلمين، وأنها تركت أسوأ الأثر في حياتهم من يومها إلى قيام الساعة[1] فلقد أفسح المجال لبني أميَّة الأمويين أن يعبثوا بالدين، كما يعبث الصبيان بالكرة وجاء قتله نتيجة حتمية، لهذا الاستهتار، كما كانت الحروب والفتن بين المسلمين نتيجة لقتله.

وكل من يعرف عثمان، وتاريخه قبل الخلافة وبعدها يخطر له هذا السؤال:

لماذا حين تولى عثمان الخلافة نكل بالصفوة الأخيار من الصحابة، كابن مسعود، وعمار بن ياسر، وأبي ذر؟!..[2] ألم يكن عثمان وهؤلاء في زمرة واحدة، وجبهة واحدة يقاتلون مع رسول الله أعداء الإسلام؟! وهل زاحموا عثمان على السلطان وجمع المال؟! وكيف تجاهل عثمان سابقة أبي ذر وتعذيبه في الله، ومكانته من رسول الله، وقوله: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر» وتجاهل سابقة عمار

---

(١) قال بعض المؤلفين: لو تولى الخلافة علي بعد عمر لاستقامت أمور المسلمين، وتجنبوا مما حصل من الأحداث ثم ألقى مسؤولية الحوادث والكوارث التي نشأت من خلافة عثمان على عمر. انظر مع «الإمام علي» لخليل الهنداوي ص ٣٠ وما بعدها.

(٢) أنكر ابن مسعود على الوليد بن عقبة شربه الخمر، فضربه عثمان وكسر ضلعه، وحرمه من العطاء، لأنه أنكر المنكر، ونفى أبا ذر لأنه دعاه إلى الحق، وشتم عماراً، وأمر بأن يدفع في قفاه، ويخرج من مجلسه، وحاول نفيه، لأنه ترحم على أبي ذر حين سمع برفاته.

وأبويه، وتعذيبهما واستشهادهما في سبيل الدين يوم لم يكن للإسلام معين ولا ناصر؟!. فهل أحدث عمار وابن مسعود وأبو ذر حدثاً بعد رسول الله، أو أن عثمان هو الذي أحدث؟!.

ونجد الجواب في قول الإمام: «يا أبا ذر أنك غضبت لله.. أن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك.. ولو قبلت دنياهم لأحبوك». رأى أبو ذر سنناً تموت، وبدعاً تحيا، فثارت ثائرته، وطالب بالرجوع إلى القرآن، وسنة الرسول، وحاول عثمان أن يستميله بالمال، فأصر، وأبى، لأن الدين لا يُشتري، بل تبذل الأرواح في سبيله، بخاصة إذا اعتنقه قلب كقلب أبي ذر، واحتواه صدر كصدره.

آمن أبو ذر بما أنزل على الرسول بعقله وقلبه وجميع مشاعره، آمن به إيماناً أشد وأصلب من الحديد، لأن الحديد يلين إذا مسته النار، أما المؤمن الحق فلا يتغير ولا يتبدل، وإن قتل وقطع ونشر.

وأسلم غير أبي ذر في ظروف كان فيها عاجزاً عن تحقيق أي شيء من ميوله وأغراضه، فلم يكن إسلامه، والحال هذه، بدافع من الغايات والشهوات، لأنه أعجز من أن يحقق شيئاً في عهد الرسول، وأيضاً لا يعلم الغيب بأنه إذا أسلم سيحقق ما يريد في المستقبل القريب أو البعيد، ولما انتقل الرسول إلى ربه، واستطاع أن يحقق هواه آثره على دينه، وهنا يعرف الإيمان، وتبرز الخصائص، فالمسألة من الحمل ليست بوداعة وترك الشر من الضعيف ليس بفضيلة ما دام عاجزاً لا يملك إلا قول «نعم».

وعثمان لا يجرأ في عهد الرسول أن يكرم ويحابي أبا سفيان، ولا يستطيع أن يرجع إلى المدينة عمه الحكم طريد رسول الله، ولا

أن يسند ولاية إلى أخيه الفاسق الفاجر الوليد بن عقبة، ولا أن ينكل بابن مسعود وعمار وأبي ذر، ولما استطاع فعل كل ذلك وزاد عليه، فأكرم أبا سفيان وأجلسه معه على السرير بعد أن سمعه يقول: «تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة.. فلا جنة ولا نار» وأعاد الحكم وولى الوليد الكوفة، وبسط أيدي أقاربه بأموال المسلمين، ونفى أبا ذر، وضرب ابن مسعود، وأهان عماراً، ولم يكترث بقول الرسول: «عمار جلدة بين عيني.. من عادى عماراً فقد عادى الله، ومن أبغضه أبغض الله».

نفى أبا ذر إلى الشام ـ أولاً ـ، ولما دخل أبو ذر على معاوية قام له، واستقبله استقبالاً حاراً، وأجلسه إلى جنبه، وأمر بالطعام، فمدوا الخوان، وعليه ما لذ وطاب، وطلب معاوية من أبي ذر أن يأكل، فأبى، وقال: قد غيرتم وبدلتم.. ينخل لكم الشعير، ولم يكن ينخل وخبزتم الرقيق، وجمعتم بين إدامين، وغدا أحدكم في ثوب، وراح في ثوب. فأعاده معاوية إلى عثمان، فنفاه إلى الربذة.

وقال الإمام يعزيه ويواسيه: «لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشنك إلا الباطل». فنظر أبو ذر إلى الإمام نظرة عطف وحنان، وقال: «رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولديك ذكرت بكم رسول الله».

وهنا يكمن السر، أبو ذر يرى شخص الرسول ممثلاً بعلي والحسن والحسين، ثم يأمن الأذى والتشريد! أبو ذر يؤمن ويدين بولاية علي وإمامته، ويتركه عثمان ومعاوية ومروان حراً سليماً! ولكن أبا ذر لا يرهب الموت ولا يخشى التنكيل، ولا يهتم إلا بالحق الذي كان عليه رسول الله، ونطق به كتاب الله، وعمل به

أمير المؤمنين، أن الأمنية الوحيدة لأبي ذر أن يسيطر الحق والعدل، وأن توزع الأموال على الناس بالسوية، حتى لا يوجد فقير على وجه الأرض، وهذا هو مبدأ الإمام الذي قال: «لو كان الفقر رجلاً لقتلته». وقال: «لو كان المال لي لسويت بينهم، كيف وإنما المال مال الله؟!». ومن أجل هذا وحده ثار أبو ذر، ومات غريباً مشرداً.

محاسبة النفس:

قال: ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره، وما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة، فرحم الله رجلاً نزع عن شهوته، وقمع هوى نفسه، فإن هذه النفس أبعد شيء نزعاً، وأنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى.

وقال: طوبى لمن ذل في نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته، وحسنت خليقته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من لسانه، وعزل عن الناس شره.

لكل إنسان عدو في داخله، يزين له إرادة الشر، ويغريه بالشهوات ويلقيه في المهلكات، وهذا العدو هو نفسه النزاعة إلى المعصية، وهنا يكمن الخطر.. نفسك التي تعتقد بأنها ناصحة أمينة مخلصة تسلمك للخطايا والذنوب، تسرك لحظة، لتسيء إليك مدى الحياة، وإذا كان أعدى أعداء الإنسان نفسه فلماذا لا يحاسبها وينتقدها كما يحاسب وينتقد عدوه؟! لماذا يتساهل معها، ويبرر أعمالها ذاهلاً عن ميولها الأجرامية، وشهواتها الشيطانية؟!

جاء في الحديث أن رجلاً عبد الله أربعين سنة، ثم قرب قرباناً، فلم يقبل منه. فقال لنفسه: ما أتيت إلا منك. فأوحى الله اليه: ذمك لنفسك أفضل عندي من عبادتك أربعين عاماً. وقال

الإمام الصادق: لا حجاب أعظم وأوحش بين العبد وربه من هوى النفس. وكل كلام في هذا الباب نافلة وفضول بعد قول أمير المؤمنين في وصف التقي الصالح: «نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه».

أتعب نفسه، لأنه يراقبها ويحاسبها على كل شيء، ولا يستجيب لشيء من أهوائها وأغراضها، تماماً كالذي يجتهد في تأديب ولده، ويؤاخذه على هفواته، ولا يستجيب لميوله التي تضر بتربيته وتهذيبه. وأراح الناس من نفسه لأن اهتمامه بعيوبه صرفه عن الناس، على العكس من الخبيث الشرير الذي يتلهى بعيوب الناس ويذهل عن عيوبه، قيل لرسول الله ﷺ: من شر الناس؟ فقال: «من تخاف الناس من شره». وفي حديث آخر: من أبغض الناس، وأبغضه الناس. وفي ثالث: أكيس الكيسين من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت، وأحمق الحمقى من اتبع هواه، وتمنى على الله الأماني.

وسئل الإمام: كيف يحاسب الرجل نفسه؟

قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه، وقال: يا نفس إن هذا يوم مضى عليك، لا يعود إليك أبداً، والله يسألك عنه فيما أفنيته، فما الذي عملت فيه! أذكرت الله؟ أقضيت حق أخ مؤمن؟ أنفست كربته؟ أحفظته في ظهر الغيب!

الجاهل:

قال: إن الجاهل من عد نفسه بما جهل عالماً، وبرأيه مكتفياً، وما يزال للعلماء مباعداً، وعليهم زارياً، ولمن خالفه مخطئاً، ولما لا يعرف مضللاً، فإذا ورد عليه من الأمر ما يجهله

أنكره وكذب به وقال بجهالة: ما أعرف هذا، وما أراه كان، ولا أظن أن يكون.

وقال الإمام: أربع من خصال الجهل: من غضب على من لا يرضيه، أي لا يهتم بغضبه ولا برضاه، ومن جلس إلى من لا يدنيه، أي لا يحترمه، ومن تفاقر إلى من لا يغنيه، أي أظهر الفقر لمن لا يعطيه شيئاً، ومن تكلم بما لا يعنيه.

وقال رسول الله ﷺ: «الجاهل إن صحبته عناك، وإن اعتزلته شتمك، وإن أعطاك منّ عليك، وإن أعطيته جحد نعمتك، وإن أسررت إليه ساءك، وإن أسر إليك اتهمك بإفشاء سره، وإن استغنى بطر، وكان فظاً غليظاً، وإن افتقر جحد ولم يتحرج، وإن فرح أسرف وطغى، وإن حزن آيس، وإن ضحك فهق، وإن بكى خار، يقع في الأبرار، ولا يستحي من الله، ولا يذكره، وإن أرضيته مدحك، وقال فيك من الحسنات ما ليس فيك، وإن سخط عليك وقع فيك من السوء ما ليس فيك».

فساد الزمان:

قال: إذا استولى الفساد على الزمان وأهله ثم أحسن رجل الظن برجل فقد غرر.

ليس هذا القول مجرد موعظة، ونصيحة فحسب، بل هو تعبير عن حقيقة علمية، فقد أثبت العلم الحديث أن الإنسان في تفاعل مستمر مع المجتمع الذي يعيش فيه، فهو جزء من كل يثبت له ما يثبت للكل من عادات وأخلاق ـ إذن الفرد يمثل التوافق مع البيئة إلا إذا كان من العباقرة المتمردين، وقليل ما هم، وما دام الفرد عضواً في جسم المجتمع فلا يسوغ أن يظن به الصحة إذا كان

الجسم فاسداً.

ومن هنا قال العلماء: «العقل السليم في الجسم السليم في مجتمع سليم» ولا سلامة لعقل الفرد، وإن سلم جسمه ما دام عقل مجتمعه عليلاً.

وهكذا جميع وصايا أهل البيت ونصائحهم ترتكز على أساس من العلم الذي يكشف عن حقيقة الإنسان وغرائزه وأعماقه.

نكتفي ـ الآن ـ بهذه الكلمات، لنعود إلى حكم الإمام مرة ثانية عندما نذكر طرفاً من أقوال الأئمة الأطهار وحكمهم.

مساجدنا

عامرة من البناء، خراب من الهدى

لو رجعنا إلى الآثار والحفريات، والتاريخ المكتوب لوجدنا شعائر الدين تسير جنباً إلى جنب مع الإنسان منذ اللحظة التي وجد فيها آدم أبو البشر على ظهر هذا الكوكب، فمن كهوف العبادة في العصر الحجري إلى هياكل الآلهة في مصر والصين وبابل، إلى الفلسفة الإلّهية في اليونان، إلى معبد سليمان، إلى الكعبة وحرم الرسول في المدينة، إلى الأعتاب المقدسة في إيران والعراق، إلى الفن وهندسة البناء الديني في كل مكان.

وحين هاجر النبيﷺ من مكة إلى المدينة فأول عمل قام به بناء المسجد، وكان يعمل فيه بنفسه، واشترك معه في البناء أمير المؤمنين وعمار بن ياسر، وكان الإمام يعمل ويرتجز:

لا يستوي من يعمل المساجد يدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

وأخذ عمار هذا الرجز، وجعل يردده، وكأن بعض الأصحاب قد ساءه ذلك، فأخذ يحمّل عماراً ما لا يستطيع، فقال عمار: يا رسول الله قتلوني، فإنهم يحملوني ما لا يحملون. فنفض النبي شعر عمار بيده، وهو يقول: ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما

تقتلك الفئة الباغية.. ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار؟

وأثنى الله على من بنى المساجد، وقرن تعميرها بالإيمان به وباليوم الآخر: «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ـ «التوبة» وإنما تكون المساعدة مظهراً من مظاهر الإيمان بالله واليوم الآخر إذا أقيمت فيها شعائر الدين للدين، وذكر فيها اسم الله لله، ودعي فيها إلى الحق لوجه الحق، أما إذا كان القصد من بناء الأحجار أن يقال: بانيها فلان، وأن مسجد هذا البلد أضخم وأفخم من مسجد أو كنيسة البلد الآخر، إما أن يكون القصد مجرد الظهور والتنافس دون نظر إلى حاجة المصلين والمتعبدين كما كان القصد من مسجد ضرار فإن عدم هذا المسجد خير من وجوده، وهدمه أفضل من بقائه[1].

قال الإمام: يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرة من البناء، خراب من الهدى، سكانها وعمارها شر أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة وإليهم تأوي الخطيئة.

---

(١) تتلخص قصة مسجد ضرار بأن جماعة من أصحاب رسول الله بنوا مسجد قبا، وطلبوا من رسول الله أن يصلي فيه ففعل، فحسدهم جماعة من المنافقين؛ فبنوا مسجداً، ودعوا الرسول إلى الصلاة فيه فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧] فوجه النبي جماعة إلى هذا المسجد؛ وأمرهم بهدمه وحرقه، وأن يتخذ مكانه مزبلة تلقى فيها الجيف. وهذا حكم الإسلام في كل مسجد يقام للحزبية وتفريق الكلمة.

هذه صورة صادقة واضحة لكثير من مساجد هذا العصر، فإنها عامرة بالفن والجمال والمتانة والضخامة، خراب من الهدى والدين، والتقي والصلاح، لا جمعة تقام فيها ولا جماعة، ولا أمر يسمع فيها بالمعروف، ولا حلقات للتفقه في الدين، ولا أحد يؤمها للصلاة إلا نادراً، وفي هذه الحقيقة التي نراها رأي العين شاهد صدق وعدل على أن الإمام يخبر عن أشياء غيبية عن النبي عن جبريل عن الله عز وجل.

ويوم كان الناس يتسابقون إلى ذكر الله والتعبد، ودراسة الفقه والتفسير والحديث في المساجد كانت صغيرة متواضعة، والآن حيث لا شيء، تكثر وتتسع، وأنه لغريب حقاً أن يكثر عددها، وتزداد ضخامة كلما قل عدد المصلين، غريب أن نرى قرية صغيرة حقيرة تبني جامعاً فخماً بمئذنة شامخة، ثم تهمل مشاريع أخرى هي في أشد الحاجة إليها؟.

ليست المساجد قلاعاً حربية، ولا قصوراً لمفاخرة الأنداد والأضداد، وإنما هي للخشوع والخضوع، والعبادة والمناجاة، فعظمتها باحيائها بذكر الله والصلوات، والعلم النافع، والإرشاد المفيد، لا بالقباب العالية، والعمد الرفيعة، والمآذن الشامخة، كان مسجد الرسول في المدينة من النخل وسعفه، وكان علوه قامة رجل، وإذا نزل المطر أصاب المصلين، ولكن الركعة فيه تعدل عشرة آلاف ركعة بالقياس إلى غيره من المساجد، فلا البساطة وضعت من قدره وجلاله، ولا الفن والجمال رفع من شأن غيره، وكفى مسجد الرسول عظمة وكمالاً أن يصلي فيه محمد ومن معه.

لقد رأينا عدداً من أثرياء هذا العصر يتابرون في بناء مساجد

جاءت آية من آيات الفن والجمال، ولكنها تبعث في النفس الهيبة والجلال، وأنها إن عبرت عن شيء فإنها تعبر عن أن الرياء والتظاهر بالدين قد تقدم وتطور في عصر الذرة، حتى صيغ في فن جميل.

فأولى ثم أولى لمن يبذل الأموال على تلك القباب والمآذن أن ينفقها على الجياع العراة، أو لبناء مسجد متواضع في بلد أو حي لا جامع فيه، أو في إنشاء ميتم أو مستشفى أو مأوى للعجز أو مدرسة، وما إلى ذاك مما ينفع الناس، أما من يبني جامعاً إلى جنب آخر، وهو يعلم بأن الأول يشكو إلى الله الهجر وعدم المصلين[1] فلا يلومن من يسوء به الظن، ويجعله مثالاً لقول الإمام: «وعمارها شر أهل الأرض».

ونختم هذا الفصل بقول الصادق: «من كسب مالاً من غير حله سلط عليه البناء والطين والماء».

وأصدق شاهد على هذه الحقيقة ما نراه من ناطحات السحاب في هذا العصر.

---

(١) جاء في الحديث، ثلاثة يشكون إلى الله؛ مسجد لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق لا يقرأ فيه.

لا اشتراكية، ولا رأسمالية في الإسلام

كتبت فصلاً في كتاب «مع الشيعة الإمامية» بعنوان: «هل أبو ذر اشتراكي؟» وفصلين من كتاب «الإسلام مع الحياة» طبعة ثانية: أحدهما بعنوان «الأرض لله ومن عمرها» والثاني بعنوان «الاشتراكية في الإسلام مبدأ أخلاقي» أوضحت في هذه الفصول أن للإسلام نظاماً مستقلاً، لا هو بالاشتراكي، ولا بالرأسمالي المعروفين في هذا العصر، ولم أفكر أبداً في العودة إلى هذا الموضوع، ولكن بعض الأفاضل حين علم أني أكتب في فضائل الإمام رغب إليّ في العودة، والإشارة إلى ما يراه سيد الكونين بعد الرسول في هذا الباب.

وبديهة أن ما يراه هو عين ما نزل به القرآن الكريم، وثبت في السنة النبوية، فرجعت إليهما مرة أخرى، ولم أعتمد على معرفتي السابقة، عسى أن أهتدي إلى جديد، ولكن لم أنته إلى شيء سوى قوة الإيمان بأنه لا اشتراكية ولا رأسمالية في الإسلام، بل تعاون وتآزر.

لا اشتراكية، لأن الإسلام يقر بمبدأ الملكية الخاصة، ولا يعترف بدكتاتورية العمال، ولا يحتم أن يكون دخل الفرد مساوياً

لعمله، أو لدخل سائر الأفراد، ثم أنه لم تبلغ الحال في عهد الرسول ﷺ إلى أن حمل عشرات الألوف من العمال السنوات الطوال في مصنع واحد ولرجل واحد أو فئة معينة، كما هي الحال الآن، حتى تتولد فكرة الاشتراكية، فقد كان الرجل يستأجر معه شخصاً أو أكثر ليبني بيتاً، أو يغرس بستاناً في أيام معدودات، ثم يذهب العامل إلى شأنه، ومثل هذا لا يستدعي التفكير بالنظام الاشتراكي الذي يؤمن حياة العامل، ويضمن له معاش التقاعد.

ولا رأسمالية، لأن الإسلام لا يقر حرية التملك بدون قيد أو شرط المعبر عنها بـ «دعه يعمل» ويستغل مواهبه كيف شاء، ولا يعترف بسلطة أصحاب الأعمال والثروات على أحد من الناس عاملاً كان أو غير عامل، وينهي عن التكتلات الاقتصادية ذات الامتياز، ويحرم احتكار المشروعات العامة.

وهنا سئال يفرض نفسه: إذا نفينا الاشتراكية والرأسمالية فماذا يبقى؟ وهل هناك من ثالث؟

الجواب:

لقد كان الناس ـ عدا الحكام والموظفين ـ وما زالوا على فئات ثلاث: الفلاحين، وأرباب الحرف والتجار، والفئة الأولى تزرع الطعام وما إليه، وتعطي الثانية، والثانية تصنع الملابس والأدوات وتعطي الأولى، والتجار صلة الوصل، وأداة التسلم والتسليم بينهما، ولما كانت سعادة الجميع، واستتباب الأمن والنظام لا يتم إلا بالتعاون الصحيح بين هذه الفئات حدد الإسلام مفهوم هذا التعاون الذي لا تطغى معه فئة على فئة، ولا إنسان على إنسان، حدده بالآية ٢٨ من سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ وجاء في الحديث: «لا يحل مال امرىء إلا عن طيب نفس» وليس من شك أن طيب النفس وتراضي الأطراف المعنية هو قوام التعاون، لأن الإنسان بطبعه لا يرضى إلا بالعدل والمساواة، أجل، لقد استثنى الإسلام من الرضا المعاملة الربوية. بشتى أنواعها، والاحتكار وشركة الأبدان[1]، وحكم بتحريمها لأنها استغلال من جانب واحد.

وهنا سؤلان:

الأول: ما حكم هذه الثروات المكدسة في أيدي الأفراد، وهي تعد بمئات الملايين؟ هل هي جائزة في نظر الإسلام؟

الجواب:

قال كثير من الخبراء: إن هذه الثروات تمنح صاحبها سلطة غير مشروعة على الناس، وتستدعي الحد من حقهم في الحرية، أي أن امتلاك الأراضي الواسعة والثراء الضخم امتلاك لحرية الآخرين، وإذا كان الأمر كذلك فهي محرمة.

السؤال الثاني: ما معنى قول الإمام ما جاع فقير إلا بما متع به غني؟

الجواب:

إن الإمام قال: إن الله فرض في أموال الأغنياء أقوات

---

(١) شركة الأبدان أن يتفق اثنان على أن يقتسما بينهما ما يكتسبانه بأيديهما، قال فقهاء الإمامية: لا تصح هذه الشركة بحال، لأن كل واحد مستقل بنفسه، ومنافعه تابعة لعمله، ولو اشتركا أخذ أحدهما ما لا يستحقه من عمل الآخر.

الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني. فهو يشير بذلك إلى أن جوع الفقير مسبب عن منع الأغنياء زكاة أموالهم، ولو أخرجوها كما أمر الله لما وجد على ظهر الأرض فقير، كما جاء في حديث آخر، وكلام أهل البيت عليهم السلام كآيات الذكر الحكيم يفسر بعضه بعضاً، أجل، أن قول الإمام ما جاع فقير إلخ... يؤيد النظرية القائلة أن وجود الفقر إلى جانب الغنى مستلزم قهراً لوجود الظلم، وأيضاً يدل عليها بدلالة أوضح وأصرح قوله ما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيع.

ومهما يكن، فإن المهم هو التعاون، فكل ما يحققه فهو جائز، سواء أكان تملك عقار أو مصنع أو تجارة في السوق الحرة، وكل ما يتنافى مع التعاون فهو حرام من أي نوع كان، وعليه فإذا افترض أن هناك نوعاً من الاشتراكية يحقق للإنسانية حياة أفضل، مع بقاء التعاون والاحتفاظ بحق الإنسان في حريته المشروعة فإن الإسلام يقرها بلا ريب، لأن «كل ما فيه صلاح للناس بجهة من الجهات فهو جائز» في الشريعة، وجاء في الحديث عن الإمام الصادق: «إن رجلاً سأله عن زكاة الأموال فقال: «أما الظاهرة ففي كل ألف خمسة وعشرون درهماً، وأما الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك».

وبالتالي، فنحن مع القائلين بالنزعة الاشتراكية في الإسلام، وضد من يقول بالاشتراكية أو الرأسمالية فيه.

حروب الإمام

بدر:

١ ـ بدر اسم بئر كانت لرجل يدعى بدراً، وتقع في مكان بين مكة والمدينة، وتبعد عنها ١٦٠ كيلومتراً على التقريب، وحصلت الموقعة فيها في التاسع عشر من شهر رمضان المبارك السنة الثانية من الهجرة.

عدد الجيش:

كان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان معهم فرسان، وسبعون بعيراً، فكان الرجلان والثلاثة يتعاقبون على بعير واحد، وكان النبيﷺ وعلي واحد الأصحاب، واسمه مرثد، يتعاقبون على بعير لمرثد: وقال علي ومرثد للنبي: اركب أنت يا رسول الله، ونحن نمشي. فأبى، وقال: ما أنتما بأقوى مني على المشي، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر.

وكان المشركون تسعمائة وخمسين رجلاً، ومعهم مئتا فرس وسبعمائة بعير.

القتال:

قبل أن يقع القتال أنزل الله على نبيه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦٢] فبعث النبي إلى المشركين: ارجعوا فلأن يلي هذا

الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني. فهو يشير بذلك إلى أن جوع الفقير مسبب عن منع الأغنياء زكاة أموالهم، ولو أخرجوها كما أمر الله لما وجد على ظهر الأرض فقير، كما جاء في حديث آخر، وكلام أهل البيت عليهم السلام كآيات الذكر الحكيم يفسر بعضه بعضاً، أجل، أن قول الإمام ما جاع فقير إلخ... يؤيد النظرية القائلة أن وجود الفقر إلى جانب الغنى مستلزم قهراً لوجود الظلم، وأيضاً يدل عليها بدلالة أوضح وأصرح قوله ما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيع.

ومهما يكن، فإن المهم هو التعاون، فكل ما يحققه فهو جائز، سواء أكان تملك عقار أو مصنع أو تجارة في السوق الحرة، وكل ما يتنافى مع التعاون فهو حرام من أي نوع كان، وعليه فإذا افترض أن هناك نوعاً من الاشتراكية يحقق للإنسانية حياة أفضل، مع بقاء التعاون والاحتفاظ بحق الإنسان في حريته المشروعة فإن الإسلام يقرها بلا ريب، لأن «كل ما فيه صلاح للناس بجهة من الجهات فهو جائز» في الشريعة، وجاء في الحديث عن الإمام الصادق: «إن رجلاً سأله عن زكاة الأموال فقال: «أما الظاهرة ففي كل ألف خمسة وعشرون درهماً، وأما الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك».

وبالتالي، فنحن مع القائلين بالنزعة الاشتراكية في الإسلام، وضد من يقول بالاشتراكية أو الرأسمالية فيه.

حروب الإمام

بدر:

١ ـ بدر اسم بئر كانت لرجل يدعى بدراً، وتقع في مكان بين مكة والمدينة، وتبعد عنها ١٦٠ كيلومتراً على التقريب، وحصلت الموقعة فيها في التاسع عشر من شهر رمضان المبارك السنة الثانية من الهجرة.

عدد الجيش:

كان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان معهم فرسان، وسبعون بعيراً، فكان الرجلان والثلاثة يتعاقبون على بعير واحد، وكان النبيﷺ وعلي واحد الأصحاب، واسمه مرثد، يتعاقبون على بعير لمرثد: وقال علي ومرثد للنبي: اركب أنت يا رسول الله، ونحن نمشي. فأبى، وقال: ما أنتما بأقوى مني على المشي، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر.

وكان المشركون تسعمائة وخمسين رجلاً، ومعهم مئتا فرس وسبعمائة بعير.

القتال:

قبل أن يقع القتال أنزل الله على نبيه: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦٢] فبعث النبي إلى المشركين: ارجعوا فلأن يلي هذا

الأمر مني غيركم أحب إليّ، أي يحاربني غيركم، فوافق عتبة، ونهى عن القتال، وقال: ما رد هذا قوم فافلحوا... يا معشر قريش أن محمداً ابن عمكم فخلوه والعرب، فإن يك صادقاً فأنتم أعلى عيناً به؛ وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره. فأبى أبو جهل إلا القتال.

ودفع الرسول رايته العقاب[1] إلى علي، وكان عمره يومذاك ٢٥ سنة وهي أول مرة يحارب فيها الإمام، كما أن معركة بدر هي أول حروب النبي.

وبرز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة بن ربيعة وبرز لهم الحمزة بن عبد المطلب، وابنا أخيه علي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، فحمل عبيدة ـ وكان عمره سبعين سنة ـ على عتبة، وضربه على رأسه، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فقطعها، وسقطا معاً، وحمل علي على الوليد. وكانا أصغر القوم سناً، فضربه الإمام على حبل عاتقه، فخرج السيف من إبطه، وحمل الحمزة على شيبة[2] فتضاربا بالسيف حتى انثلما، فاعتنق كل واحد صاحبه، وكان الحمزة أطول من شيبة، فقال علي للحمزة: طأطىء رأسك يا عم، فأدخل الحمزة رأسه في صدر شيبة فضربه الإمام على عنقه فقطعها، ثم كر علي والحمزة على عتبة فأجهزا عليه، وحملا عبيدة فألقياه بين يدي ابن عمه الرسول، ولم يلبث بعدها إلا يسيرا.

---

(١) قال بعض العلماء: إن الفرق بين الراية واللواء أن الراية هي العلم، واللواء هي العلم دون راية، فالراية كانت مع علي، والألوية وزعها الرسول بين المهاجرين والأنصار.

(٢) وقيل: إن الحمزة بارز عتبة، وعبيدة بارز شيبة.

ثم التحم الجيشان، ودار بينهما أعنف قتال، وانجلت المعركة عن سبعين قتيلاً، وسبعين أسيراً من المشركين، وفر بقيتهم، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، وخاطب الله سبحانه المسلمين بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

قتلى الإمام:

عن الشيخ المفيد أن أمير المؤمنين قتل ببدر ٣٥ رجلاً من المشركين سوى من شارك في قتله، وكان في جملة من قتل، حنظلة بن أبي سفيان أخو معاوية، والعاص بن سعيد العاص الأموي، وعقبة بن أبي معيط الأموي، والوليد بن عتبة الأموي أخو هند وخال معاوية، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد، واشترك في قتل عتبة جد معاوية، ومن كلام الإمام لمعاوية: وعندي السيف الذي أعضضت به أخاك وخالك وجدك يوم بدر.

مثل عليا:

هذا موجز لموقعة بدر، وقد حوت شواهد كثيرة علي عظمة البدريين، ومثلاً عليا من إخلاصهم وجهادهم:

«منها» إن الآباء كانوا يقاتلون أبناءهم، والأخوة أخوتهم، فكان أبو بكر مع المسلمين، وكان ولده عبد الرحمن يقاتل مع المشركين، وكان عتبة مع المشركين، وهو أول من بارز المسلمين، وكان ولده أبو حذيفة مع المسلمين. وروي أنه لما سحبت جثة أبيه لترمى في القليب الذي حفر لقتلى المشركين تغير لون أبي حذيفة، فقال رسول الله: لعله دخلك من شأن أبيك شيء؟ فقال: لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكني حزنت،

لأنه مات على الكفر.

وكان الحمزة مع رسول الله، وكان أخوه العباس مع المشركين، وكان نوفل بن الحارث مع المشركين، وكان أخوه عبيدة مع رسول الله، وهو أول من استشهد بين يدي الرسول. وكان عقيل بن أبي طالب مع المشركين، وكان أخوه علي مع الرسول[1].

و «منها» إن المشركين لما دنوا إلى القتال قال رسول الله لأصحابه: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض. فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض! قال: نعم. قال: بخ بخ.. قال الرسول: وما حملك على قول بخ بخ؟ قال: رجاء أن أكون من أهلها. فقال له النبي: إنك من أهلها. ولما سمع البشارة بالجنة رمى من يده تمرات كان يأكلها، وصاح: لئن أنا حييت، حتى آكل تمراتي هذه أنها لحياة طويلة، وبرز، وهو يقول:

ركضنا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

وما زال يقاتل، حتى قتل.

و «منها» أن حارثة ابن سراقة كان مع رسول الله، وقتل، فجاءت أمه، وقالت يا رسول أخبرني عن ابني حارثة، فإن كان في

---

(١) كان العباس وعقيل ونوفل قد أسلموا، ولكن المشكرين أكرهوهم على الخروج. قال السيد محسن الأمين في الجزء الثاني من أعيان الشيعة ص ٢٠٢ الطبعة الثالثة: «إن العباس قال: يا رسول الله إني كنت مسلماً، ولكن القوم استكرهوني. فقال له: الله اعلم بإسلامك. أما ظاهر أمرك فقد كان علينا».

الجنة صبرت، وإلا ليرن الله ما أصنع، أي أنها تبالغ في النياحة والبكاء. فقال لها الرسول: ويحك أهبلت؟! إنها جنان ثمان، وأن ابنك أصاب الفردوس الأعلى، فرضيت واطمأنت.

و «منها» إن عبد الرحمن ابن عوف قال: كنت في الصف يوم بدر فإذا شابان حديثا السن أحدهما عن يميني، والآخر عن يساري، فقال لي كل واحد منهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل. فقلت: ما تصنع به إن رأيته؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه. فأشرت لهما إليه، فشدا عليه كالصقرين، حتى تركاه بين الحياة والموت، وقد تكاثر عليهما المشركون، ولم يتركوهما حتى استشهدا، فوقف الرسول على مصرعهما يدعو لهما ويذكر صنيعهما.

و «منها» إن علياً رأى أخاه عقيلاً بين الأسرى، فتجاهله وحاد عنه، فقال له عقيل: يا ابن أم والله لقد رأيت مكاني. فتركه، ولم يلتفت إليه، وهو أخوه لأمه وأبيه.

و «منها» أن معاذاً ابن عمر وكان مع المسلمين، فضربه مشرك على يده فقطعها، وبقيت الجلدة، فكان يمشي ويسحبها معه، فلما آذته وضع رجله عليها، ثم تمطى في الهواء، حتى قطعها.

بهذا النكران للذات، وهذه الاستهانة بالحياة غلبت الفئة القليلة الفئة الكثيرة، وانتصر الإسلام، وعم الشرق والغرب، لا بالخطب في المحافل والكلام بالجرائد، والحديث بالصالونات.

أحد:

٢ ـ أحد اسم جبل يبعد عن المدينة ثلاثة أميال على التقريب، وكانت معركة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة.

عدد الجيش:

بعد أن دارت الدائرة على مشركي قريش في بدر، أخذوا يعدون العدة للثأر، وقد استطاعوا أن يؤلفوا جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل، وزحف الجيش بقيادة أبي سفيان إلى المدينة، ونزل قريباً من جبل أحد وكان معهم مئتا فرس، وثلاثة آلاف بعير، وكان خالدٌ ابن الوليد وعمرو بن العاص وزوجته ريطة مع المشركين، وأخرج أبو سفيان النساء ليحرضن الرجال على القتال، وكما قاد هو الرجال ضد الرسول قادت النساء زوجته هند أم معاوية.

وخرج النبيﷺ لقتالهم في ألف رجل، ولكن عبد الله بن أبي رأس النفاق نادى في الطريق قائلاً: علام نقتل أنفسنا؟! ارجعوا أيها الناس، فرجع معه ثلاثمائة، وبقي مع النبي سبعمائة، وحاول عبد اللَّه بن عمرو والد جابر الأنصاري أن يثنيهم عن عزمهم، ويعود بهم إلى النبي، وقال لهم فيما قال: يا قوم اذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم، فلم يستجيبوا له.

القتال:

رسم النبي خطة القتال، فجعل الرماة على جبل خلف عسكر المسلمين، وكانوا خمسين رامياً، وأمَّرَ عليهم عبد اللَّه بن جبير، وقال لهم: احموا ظهورنا، ولا تفارقوا مكانكم، أن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وأن رأيتمونا نغنم فلا تشاركونا.

وكان لواء المشركين مع طلحة بن أبي طلحة الملقب بكبش الكتيبة، وهو من بني عبد الدار، فأعطى النبيﷺ اللواء لمصعب بن عمر، لأنه من بني عبد الدار، ولما قتل مصعب دفعه النبي إلى علي، وبرز طلحة، وصاح: من يبارز، فبرز إليه علي، فقال له: من

أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال: لقد علمت أنه لا يجسر عليّ أحد غيرك. وضربه الإمام علي فخذيه فقطعهما، فسقط على الأرض، ولما همّ الإمام أن يحتز رأسه ناشده الله والرحم، وقيل: بل كشف عن عورته فانصرف عنه الإمام، ولكنه لم يلبث بعد الضربة إلا قليلاً.

قال صاحب أعيان الشيعة في الجزء الثاني ص ٢٣٢ الطبعة الثالثة:

«روى الطبري أنه لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسول الله جماعة من المشركين، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم وفرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد اللّه الجحمي، ثم أبصر جماعة أخرى، فقال لعلي: أحمل عليهم، فحمل عليهم، ففرق جمعهم، وقتل شيبة بن مالك، فقال جبريل: يا رسول الله إن هذه لهي المواساة. فقال الرسول: إنه مني، وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما، قال: فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

وفي إرشاد المفيد أن أصحاب اللواء كانوا تسعة قتلهم علي بن أبي طالب عن آخرهم، وانهزم القوم».

أجل، انهزم المشركون لا يلوون على شيء، وانتقضت جموعهم بسيف علي، وسيف عمه الحمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، وأطلقت هند ساقيها إلى الريح مع صويحباتها، ونادين بالويل والثبور. قال الواقدي: «ما ظفر الله نبيه في موطن قط ما ظفره وأصحابه يوم أحد».

ولكن الرماة عصوا الرسول، وأخلوا مكانهم الذي رتبهم النبي

فيه بعد أن رأوا هزيمة المشركين، ونظروا إلى إخوانهم المسلمين ينتهبون الغنائم، وردعهم أميرهم عبد الله بن جبير. وقال لهم: أطيعوا الله والرسول فأبوا، وقال بعضهم: علام نقيم هنا، وقد هزم الله العدو، وهؤلاء إخواننا ينتهبون عسكرهم، ثم انطلقوا للسلب والنهب، ولم يبق مع ابن جبير إلا عشرة رجال، ولما رأى خالد بن الوليد أن ظهر المسلمين قد خلا كرَّ في مئتي فارس، على من بقي مع ابن جبير، فأبادهم، وقتل ابن جبير بعد أن قاتل قتال المستميت. وتجمع المشركون من جديد وأحاطوا بالمسلمين، وهم ينتهبون الغنائم، وأطبقوا عليهم من الإمام والخلف وأوقعوهم بين شقي الرحى.

وفرّ المسلمون عن النبيﷺ ولم يبق معه إلا نفر قليل، على رأسهم علي بن أبي طالب، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف، وقد استماتوا في الدفاع عن النبي. وعن الطبري أن عمر وعثمان كانا من المهزومين، وقاتل رسول الله أشد قتال، فرمى بالنبل، وضرب بالسيف، وقد تجمع عليه المشركون، وحاولوا قتله بكل سبيل، ورمى بحجر فكسر أنفه ورباعيته السفلى، وشقت شفته، وأصابته ضربة في جبهته الشريفة. فسال الدم على وجهه، وأغمي عليه مما ناله، ولما فتح عينيه نظر إلى علي، وكان إلى جنبه لا يفارقه، وقال: يا علي ما فعل الناس؟ قال: نقضوا العهد وولو الدبر. فقال له: اكفني هؤلاء الذين قصدوا قصدي، فحمل عليهم، فكشفهم، فعادوا إلى الرسول من ناحية أخرى، فقال له: اكفنيهم، فحمل عليهم وكشفهم عنه، وهكذا كلما كروا على النبي انقض عليهم علي كالصقر يفرق جمعهم، ويدفعهم عنه، ومن هنا عرف الإمام بكاشف الكربات عن وجه الرسول، ولأن النبيﷺ كان يناديه عند الشدائد

نادى الشيعة باسمه في الملمات.

ولما يئس المشركون من قتل النبي برغم جميع المحاولات فترت همتهم وقفلوا راجعين بعد أن قتل من المسلمين سبعون رجلاً بعدد من قتل في بدر من المشركين[1].

وحين عاد النبيﷺ إلى المدينة استقبلته فاطمة، ومعها إناء فيه ماء، فغسل وجهه، ولحقه الإمام، وقد خضب الدم يده، إلى كتفه، ومعه ذو الفقار، فناوله فاطمة، وقال خذي هذا السيف، فقد صدقني اليوم، فقال لها رسول الله: خذيه يا فاطمة، فقد أدى ما عليه، وقتل الله بسيفه صناديد قريش.

ولندع قول القائلين، ونرجع إلى كتاب الله وآيات الذكر الحكيم، ونقارن بين آيتين من سورة آل عمران نزلتا بسبب معركة أحد باتفاق المفسرين:

الآيـــة الأولـــى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال المفسرون وأهل السير: إن المسلمين سمعوا صارخاً يقول: قتل محمد، ففر أكثرهم، ومنهم من شك في دينه، وقال: ليت عبد اللّه بن أبي - وهو رأس النفاق - يأخذ لنا الأمان من أبي سفيان، وقال آخرون لو كان نبياً لما قتل. فأنزل الله فيهم أنهم انقلبوا وارتدوا، ويكفي لثبوت الردة مجرد الشك في نبوة محمد،

(١) لم نتعرض هنا لاستشهاد الحمزة أسد الله وأسد رسوله، لأننا عقدنا له فصلاً خاصاً من هذا الكتاب، فليراجع.

ويكفي للذم مجرد الفرار عن رسول الله، وتركه وحيداً بين الأعداء يحيط به ثلاثة آلاف فارس.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

قال الرازي الأشعري في تفسيره الكبير: «اعلم أنه من تمام تأديبه قال للمنهزمين يوم أحد: إن لكم بالأنبياء المتقدمين وأتباعهم أسوة حسنة، فلما كانت طريقة اتباع الأنبياء المتقدمين الصبر على الجهاد، وترك الفرار، فكيف يليق بكم الفرار والانهزام؟!...».

ثم قال الرازي عن الذين ثبتوا ولم ينهزموا: «قال صاحب الكشاف: ما وهنوا عند قتل النبي، وما ضعفوا عن الجهاد بعده، وما استكانوا للعدو، وهذا تعريض بما أصابهم ـ أي المهزومين ـ من الوهن والانكسار عند الأرجاف بقتل رسولهم، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين، واستكانتهم للكفار، حتى أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد اللّه بن أبي، وطلب الأمان من أبي سفيان».

ثم قال الرازي: «ومعنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ إن من صبر على تحمل الشدائد في طريق الله، ولم يظهر الجزع والعجز والهلع فإن الله يحبه، ومحبة الله للعبد عبارة عن إرادة إكرامه وإعزازه وتعظيمه، والحكم له بالثواب والجنة، وذلك نهاية المطلوب.

ومهما اختلف المفسرون وأهل السير في عدد الذين ثبتوا مع النبيﷺ يوم أحد فإنهم متفقون جميعاً على أن علياً كان مع الرسول جنباً إلى جنب يذب عنه، ويلقي بنفسه في المهالك من أجله، فلا أحد، إذن، أولى من علي بمحبة الله وكرامته وإعزازه وتعظيمه.

الردة بعد موت الرسول:

وهنا ظاهرة تستلفت النظر، وتدعو إلى التساؤل، وهي أن الذين خاصموا علياً، ونصبوا له العداء بعد موت الرسول، وصدوه عن حقه هم بالذات الذين أنبتهم وقرعتهم آية ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ فهل يا ترى بعد أن مات النبيﷺ نقض هؤلاء العهد وارتدوا عن دينهم، تماماً كما فعلوا يوم أحد؟!..

ومهما يكن، فقد جاء في كتاب الجمع بين الصحيحين، صحيح البخاري، وصحيح مسلم «إن النبي قال: ليردن علي الحوض رجال ممن صحبني، حتى إذا رأيتهم، ورفعوا إليّ رؤوسهم اختلجوا، فلأقولن: أي رب أصحابي، فليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟!». وهذا حديث صحيح صريح بأن من الصحابة من ارتد عن دينه بعد الرسول.

وإذا عطفنا هذا الحديث على حديث الثقلين: كتاب الله والعترة الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه، وعطفناه أيضاً على حديث علي مع الحق الذي رواه الترمذي في سننه التي هي أحد الصحاح الستة عند السنة، وعطفناه أيضاً على حديث «من أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني» الذي رواه الحاكم في مستدركه إذا ضممنا هذه الأحاديث بعضها إلى بعض تكون النتيجة الحتمية أن الذي ثبت على دينه بعد الرسول هو علي ومن والاه، وأطاعه، والذي انقلب وارتد هو الذي عصاه وعاداه.

للدرس والعظة:

ومن الخير أن نذكر بعض ما حدث في أحد للدرس والعظة، كما فعلنا عند الكلام عن وقعة بدر.

أنس بن النضر:

حين رأى أنس بن النضر المنهزمين صاح بهم، وقال: ماذا تصنعون بالحياة بعد نبيكم؟.. موتوا على مات عليه رسول الله، وإن كان محمد قد قتل، فإن رب محمد لم يقتل، ثم استقبل الموت، فقاتل، حتى قتل، رضوان الله عليه.

أبو دجانة الأنصاري:

جاء في الجزء السادس من كتاب البحار للمجلسي، أن النبي قال لأبي دجانة يوم أحد، وبعد هزيمة الناس: «انصرف فأنت في حل من بيعتي»، فبكى أبو دجانة ورفع رأسه إلى السماء، وقال: لا والله، إلى أين انصرف؟.. إلى زوجة تموت، أو ولد يموت، أو دار تخرب، أو مال يفنى، أو أجل قد اقترب!.. فكان يقاتل هو في ناحية، وعلي في ناحية، ولما أثخن بالجراح سقط على وجهه؛ فاحتمله علي، ووضعه جانباً.

سعد بن الربيع:

بعد انتهاء المعركة قال رسول الله: «من ينظر لي سعد بن الربيع؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فبحث عنه، فوجده جريحاً بين القتلى، وبه رمق، فقال له: إن رسول الله أمرني أن أنظر: أفي الأحياء أنت أو في الأموات؟. قال: أنا في الأموات، أبلغ رسول الله عني السلام، وقل له أن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ عني قومك السلام، وقل لهم: إن سعداً يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم، وفيكم عين تطرف، ثم تنفس فخرج منه مثل دم الجزور، ومات.

فعاد الأنصاري إلى الرسول، وأخبره فقال: رحم الله سعداً نصرنا حياً، وأوصى بنا ميتاً.

وما أشبه حال سعد هذا بحال مسلم بن عوسجة، حيث قال، وهو بلفظ النفس الأخير لحبيب بن مظاهر: أوصيك بهذا، وأهوي بيده إلى الحسين، أن تموت دونه.

حمنة بنت عمة النبي:

لما انصرف النبي إلى المدينة استقبلته حمنة بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، وهي أخت زينب بنت جحش زوجة الرسول، فقال النبي لحمنة: احتسبي، قالت: من يا رسول الله؟ أي تسأله عن الذي قتل قال: أخاك عبد اللّه، فاسترجعت، واستغفرت له، وهنأته بالشهادة، ثم قال لها: احتسبي قالت: من يا رسول الله؟ قال: الحمزة بن عبد المطلب خالك، فاسترجعت، واستغفرت له، وهنأته بالشهادة، ثم قال: احتسبي، قالت: من يا رسول الله؟ قال: زوجك مصبع بن عمير فقالت: واحزناه وولولت، وصاحت، فقال رسول الله: «إن زوج المرأة منها بمكان ما هو لأحد».

نسيبة المازنية:

قال صاحب البحار في الجزء السادس: كانت نسيبة بنت كعب المازنية تخرج مع رسول الله في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها في أحد، فأراد أن ينهزم مع الذين انهزموا، فحملت عليه وقالت: إلى أين يا بني تفر عن الله ورسوله، فردته، وحمل عليه رجل وقتله، فأخذت سيف ابنها، وضربت به قاتل ولدها على فخذه، فقتلته، فقال لها رسول الله: بارك الله عليك يا نسيبة، وكانت تقي رسول الله بصدرها وثدييها، حتى أصابتها جراحات كثيرة.

صفية عمة الرسول:

أقبلت صفية بنت عبد المطلب، لتنظر إلى الحمزة، وكان أخاها لأبيها وأمها، فقال النبي لابنها الزبير: ارجعها، حتى لا ترى ما بأخيها، فاعلمها الزبير بأمر رسول الله، فقالت: ولم، وقد بلغني إنه مثل بأخي، وهذا قليل في الله، فما أرضانا بما كان، لاحتسبن واصبرن.

وهل يصدر هذا إلا من الذين اذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً؟! يسمع أحدنا كلمة نابية في سبيل الحق فيتأفف، ويصرخ ويمن على الله والناس ويسميه البعض بالمجاهد المصلح...

امرأة من بني دينار:

نقل صاحب الأعيان عن الطبري أن امرأة من بني دينار استشهد زوجها وأخوها وأبوها في أحد مع رسول الله، فلما نعوهم لها قالت: فما فعل رسول الله؟ قالوا: هو يحمد الله كما تحبين، قالت أروني إياه، حتى أنظر إليه، فلما رأته، حمدت الله، وقالت: كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله.

غسيل الملائكة:

كان حنظلة مع النبي، وكان أبوه، أبو عامر، مع أبي سفيان، وهو من الخزرج، وصادف أن حنظلة تزوج في الليلة التي كانت حرب أحد في صبيحتها، واستأذن حنظلة الرسول أن يبقى مع أهله، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ﴾ [النور: ٦٣] فأذن له الرسول وتخلف حنظلة عند أهله، ولكنه حين أصبح،

وسمع هواتف الحرب انخلع من أحضان عرسه، وهرع إلى ساحة الجهاد، وكان لا يزال جنباً، ولكن عروسه تعلقت به. وأشهدت عليه أربعة نفر من الأنصار على أنه واقعها، ولما قيل لها: لم فعلت ذلك؟ قالت: رأيت في هذه الليلة في نومي أن السماء قد انفرجت، فدخل فيها حنظلة، ثم انضمت، فعلمت أنها الشهادة، فكرهت أن لا أشهد عليه، فحملت منه.

وذهب حنظلة إلى ساحة الوغى، فجاهد، حتى استشهد، وقال رسول الله: «رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صائف من ذهب».

الأحزاب:

٣ ـ سميت الأحزاب، لأن جيش العدو كان مؤلفاً من قريش، وسائر القبائل، على ما بينها من التنافر والعداء، ومن الموالي واليهود، وكان عدده عشرة آلاف بقيادة أبي سفيان والد معاوية، وجد يزيد، وظن أبو سفيان أنه بهذا الجيش الكثيف يستطيع أن يضرب محمد الضربة القاضية، ويستأصله ومن معه. وكانت هذه الغزوة في ذي القعدة السنة الخامسة من الهجرة.

الخندق:

وتسمى أيضاً غزوة الخندق، لأن النبي لما علم بهذا الجيش الضخم أخبر أصحابه، وشاورهم فما ينبغي عمله، فأخذتهم الحيرة، ولم يهتدوا إلى سبيل، لأن القتال والالتحام وجهاً لوجه لا يضمن لهم النصر، فأنقذ سلمان الفارسي الموقف برأيه وحكمته، وقال: يا رسول الله كنّا بفارس إذا حاصرنا العدو خندقنا على

أنفسنا، فأعجب ذلك المسلمون وفرحوا به: وقال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا فقال النبي: سلمان منا أهل البيت. وتم حفر الخندق في ستة أيام، وكان النبي يحفر ويحمل التراب بنفسه.

الخوف:

وصف الله سبحانه خوف المسلمين من الأحزاب، قال: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] وقال المنافقون: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر، واحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

ولما رأى النبي اشتداد البلاء على الناس، وضعف قلوبهم، ووهنهم أراد أن يرد عليهم قبيلة غطفان التي تحالفت مع أبي سفيان، وذلك أن يعطي النبي لغطفان ثلث ثمار المدينة، ولكن سادة الأوس والخزرج أبوا، وقالوا للنبي: كنا وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا، لا والله لا نعطيهم إلا السيف، والله يحكم بيننا وبينهم. فقال لهم: أنتم وذاك.

القتال:

ودام حصار الجيوش للمسلمين أكثر من عشرين يوماً، ليس فيها قتال إلا الترامي بالنبل والحجارة، ثم إن خمسة فوارس من قريش، وهم عمرو بن ود، وعكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وهبيرة بن أبي لهب اقتحموا الخندق من مكان ضيق،

وركز عمرو رمحه في الأرض، وأخذ يجول، ويرتجز ويطلب البراز فقام علي، وقال: أنا له يا نبي الله. فقال: أجلس. ثم كرر عمرو النداء، وجعل يهزأ بالمسلمين، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها؟!.. فقام علي ثانية، فأجلسه النبي، ونادى عمرو الثالثة، فقام علي فأذن له النبي، وقال: ادن مني، فدنا منه، فعممه بيده، وقال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، وحين برز علي لعمرو قال النبي: برز الإيمان كله إلى الشرك كله. وقال عمرو لعلي من أنت؟

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال: إن أباك كان لي صديقاً ونديماً، وإني أكره أن أقتلك[1].

قال علي: ولكن والله ما أكره أن أقتلك.

ثم قال له علي: يا عمرو إنك كنت تقول: لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها. قال: أجل. قال: ادعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. قال: نح هذه عني. هات الثانية. قال: ترجع إلى بلادك، فإن يك محمد صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن يك كاذباً كان الذي تريد. قال: إذن تتحدث عني نساء قريش إني جبنت، وخذلت قوماً رأسوني عليهم. ثم قال: هات الثالثة. قال: البراز. قال: هذه خصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يروعني بها. فقال علي: كيف أقاتلك وأنت فارس، وأنا

(١) قال أبو الخير أستاذ ابن أبي الحديد: والله ما طلب عمرو الرجوع من علي إلا خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم إن هو بارز علياً قتله علي، فاستحى أن يظهر الفشل، فأظهر هذا الادعاء، وانه لكاذب.

راجل، فاقتحم عن فرسه، وعقره، وسلّ سيفه كأنه شعلة نار، وبدأ الإمام بضربة، فاتقاها بالدرقة فقدها السيف، وشج رأس الإمام، فضربه علي على ساقيه فقطعهما جميعاً، فسقط على الأرض، فأخذ عليّ بلحيته وذبحه، وأخذ رأسه بيده هدية إلى الرسول، وأقبل والدماء تسيل على وجهه من ضربة عمرو، ورأس عمرو بيده يقطر دماً، وكان وجه علي يتهلل فرحاً. وطرب المسلمون لهذا النصر والمنظر الرائع، وصفقت له قلوبهم، بعد أن بلغت الحناجر من الخوف، وعادت السكينة إلى نفوسهم بعد أن شككوا بالله وبالرسول، وظنوا به الظنون. ولما وصل علي إلى النبي ألقى رأس عمرو بين يديه، فقام أبو بكر وعمر وقبلا رأس علي وقال له عمر: هلا سلبته ورعه، فإنه ليس في العرب مثلها؟! فقال: إني استحييت أن أكشف سوءته.

وجزع الأعداء لمقتل سيدهم، وأصابهم من الخوف ما أصاب المسلمين في بدء الأمر، وبذلوا لرسول الله عشرة آلاف درهم، ليعطيهم جثة عمرو، فقال: هي لكم، ولا نأكل ثمن الموتى.

ثم أرسل الله على المشركين الريح العاتية في ليال شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أخبيتهم، وما عتم الليل، حتى نادى أبو سفيان بالرحيل وقال: يا معشر قريش، إن كنا نقاتل أهل السماء بزعم محمد، فلا طاقة لنا بأهل السماء. وحين علم النبي برحيلهم قال: الآن نغزوهم، ولا يغزوننا.

وكفى الله المؤمنين القتال:

جاء في الجزء الثاني ص ١٧٤ من كتاب «دلائل الصدق» أن السيوطي قال في الدر المنثور، ان ابن مسعود كان يقرأ «وكفى الله

المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب» ونحن نهمل هذه القراءة وإن كانت بفضل علي عن طريق السنة، لأن القرآن لا زيادة فيه، ولا نقصان بضرورة الدين وإجماع المسلمين، وفي الوقت نفسه نؤمن بأن فشل المشركين وعدم حاجة المسلمين إلى القتال يرجع إلى أسباب عديدة، لا إلى سبب واحد، منها دعاء النبي، وابتهاله إلى الله سبحانه أن يدفع الأذى عن الإسلام وأهله، ومنها قتل علي عمراً، ومنها إشارة سلمان بحفر الخندق، ومنها الريح العاتية. . إذن ضربة علي أحد الأسباب، بل أهمها جميعاً، لأن قتل عمرو ـ وهو رأس الجيش وعماده الأول ـ قد ألقى الرعب في قلوب الأعداء، وأذلهم، وأمال كفتهم إلى الهبوط، بعد أن كان المقدر لها الارتفاع، كما بعث الثقة والاطمئنان في نفوس المسلمين، فرجوا النصر بعد اليأس منه.

لقد قلبت ضربة علي يوم الخندق الوضع رأساً على عقب، فجعلت القوي ضعيفاً والضعيف قوياً، ومن هنا قال النبي: «لضربة علي يوم الخندق أفضل من عمل الثقلين»[1] وعن الحاكم في كتاب المغازي من المستدرك ج ٣ ص ٣٤ «إن يحيى بن آدم قال: ما شبهت قتل علي عمراً إلا بقول الله عز وجل: وقتل داود جالوت فهزمهم بإذن الله».

وللكلام متسع عن ضربة علي يوم الخندق، وقد عقدنا لها فصلاً خاصاً في كتاب «علي والقرآن».

---

(١) انظر المواقف للإيجي ٨ ص ٣٧١ سنة ١٩٠٧.

سلمان الفارسي:

كان الإمام الصادق يسميه سلمان المحمدي، وعن عائشة أنه كان لسلمان مجلس خاص من رسول الله ينفرد به، وقال الإمام الصادق:

كان سلمان يحب الفقراء والعلم والعلماء. وقال ابن أبي الحديد: سلمان رجل من الفرس، وهو معدود من موالي رسول الله وكنيته أبو عبد الله، وكان إذا قيل له ابن من أنت؟ قال: أنا ابن الإسلام، أنا من بني آدم، وأخرى النبي بينه وبين أبي ذر.

وبعد النبي عين أميراً على المدائن، فكان يعمل بيده ويأكل، ولا يأخذ من بيت المال شيئاً، وكان عطاؤه خمسة آلاف، فإذا خرج مع عطاء المسلمين أخذه وتصدق به على المحتاجين، وأكل من عمل يده.

وخطب بعد موت رسول الله، فقال: أيها الناس خذوا حديثي واعقلوه، ألا وإني لو حدثتكم بكل ما أعلم من فضائل علي بن أبي طالب لقالت طائفة منكم: هو مجنون، وقالت أخرى: اللهم اغفر لقاتل سلمان، ألا إن لكم منايا وبلايا، وإن عند علي بن أبي طالب علم المنايا والبلايا، وميراث الوصايا، وفصل الخطاب.

خيبر:

٤ ـ خيبر اسم مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع وقلاع ونخل كثير، وهي في أرض الحجاز، وسكانها من اليهود، وتبعد عن المدينة المنورة أربعة ليالٍ ـ على التقريب ـ وكانت غزوة خيبر في جمادى الأولى السنة السابعة من الهجرة.

عدد الجيش:

بعد أن فشلت الأحزاب قويت شوكة المسلمين في الجزيرة العربية، وأصبح العرب واليهود يحسبون للنبي وصحبه ألف حساب، وخاف يهود خيبر على أنفسهم فشرعوا يتصلون ببعض القبائل والأعراب ليؤلفوا جبهة ضد المسلمين، وكان النبي متيقظاً لهذه المؤامرة، فألف جيشاً من ألف وأربعمئة مقاتل وغزوا يهود خيبر في عقر دارهم.

القتال:

لما بلغ المسلمون خيبر تحصن اليهود، وراحوا يكافحون من وراء الجدران، فحاصرهم النبي أكثر من عشرة أيام، ثم عزم على فتح الحصون بكل وسيلة. وهنا أترك الكلام للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي[1].

فقد نشر مقالاً طويلاً في جريدة المساء المصرية عدد ٢٧ أيار سنة ١٩٦١ تكلم فيه عن غزوة خيبر، قال ما نصه بالحرف الواحد:

«رأى محمد أن يحشد كل قواه الضاربة لفتح هذا الحصن، فاجتماع اليهود فيه يجعلهم أقدر على الفتك بالمسلمين.. وجمع محمد جيشه، وأمرهم أن يفتحوا الحصن، وسلم أبا بكر راية الجيش.. ولكن أبا بكر لم يقتحم الحصن.

وفي اليوم التالي جعل القيادة لعمر بن الخطاب.. وحارب عمر يومه كله، ولكنه لم يستطع أن يقتحم الحصن، وإن كانت

---

(١) من كبار الأدباء، وقادة الفكر المصريين في هذا العصر. وله شهرة واسعة في البلاد العربية.

أبواب الحصن بدأت تلين.. غير أن اليهود ظلوا في موقعهم المنيع يسددون سهامهم دون أن يخرج منهم رجل واحد للقتال في السهل المكشوف.

فدعا محمد إليه علي بن أبي طالب، وقال له: خذ هذه الراية فتح الله عليك. وقرر علي أن يحمل جنود اليهود على الخروج إلى السهل..

وخلع علي عنه الدرع، ليكون خفيف الحركة، وطالب رجاله أن يخففوا من الدروع التي تثقلهم ليكونوا خفافاً وانصرف وفي ذهنه وصية قائده محمد: انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن لم يطيعوا فقاتلهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم. وصمم علي أن يدعوهم إلى الإسلام لعلهم يستجيبون..

وتقدم فدعاهم إلى الإسلام، ولكنهم سخروا به.

فطالبهم أن يحاربوا المسلمين رجلاً لرجل، ويبعثوا إليه شجعانهم ليبارزهم هو بنفسه، وخرج إليه الحارث أحد شجعانهم، فصرعه علي، وخرج إليه رجل آخر فصرعه، وإذ ذاك تعالت من المسلمين صيحات السخرية بقوة شجعان اليهود، وسأل علي شجعان خيبر أن يبعثوا إليه برجل يثبت في المعركة، وخرج إليه مرحب، وكان هو حقاً سيد فرسان خيبر.

خرج إلى علي بطيناً في كبرياء وثقة مطمئنة مهيباً ضخماً بيده حربة مخيفة ذات ثلاثة رؤوس، وكل جسده الفارع الشاهق في الزرد، والحديد يغطي رأسه وساقيه، وليس في كل بدنه ثغرة ينفذ منها سيف العدو..

وتقدم إليه علي بقامته المعتدلة بلا درع، في يده السيف وحده، وتوقع المسلمون واليهود جميعاً أنها نهاية علي.. ولكن علي استطاع أن يحسن الإستفادة من تخففه من الدروع والزرد، وترك علي مرحباً يتقدم إليه بدروعه وزروده وحربته.. حتى إذا أوشك سن الحربة أن يمس صدر علي تراجع علي فجأة، ثم قفز في الهواء متفادياً حربة مرحب، ثم اقتحم وأهوى بكل قوته على رأس مرحب بالسيف، وانفق الحديد من على رأس مرحب، وسقط سيف علي على الجمجمة فشقها نصفين، وهوى مرحب وسط ذعر اليهود وعجبهم، وصيحات النصر ترتفع من معسكر المسلمين.

واندفع علي إلى باب الحصن هو ورجاله يدركونه بكل طاقاتهم، حتى اقتحموه، واليهود الذين أذهلهم موت مرحب يفرون فزعين إلى حصن آخر. غير أن المقاومة لم تدم طويلاً.. فقد أعلن اليهود أنهم مستعدون للاستسلام.

باب خيبر:

تكلم الناس كثيراً عن اقتلاع علي باب الحصن الخيبري، وتحدثوا حوله بأحاديث تشبه الأسطورة والخيال، منها أنه اقتلعه بكفه اليمنى، وجعله جسراً على الخندق تعبر عليه الجيوش، وكان اليهود قد خصصوا اثنين وعشرين رجلاً لإغلاقه وفتحه بالنظر لثقله وضخامته، ومنها أن الإمام رمى به في الهواء فارتفع عشرات الأمتار، ومنها أنه اتخذه ترساً يقي به نفسه من الضربات، إلى غير ذلك من الحكايات التي منحت الإمام لقب «قالع الباب» حتى قال الشاعر فيه:

يا قالع الباب الذي عن هزه عجزت أكف أربعون وأربع

ومهما يكون، فإن دلت هذه الحكايات على شيء فإنما تدل على شجاعة الإمام في نفسه، وقدرته العجيبة الخارقة في بدنه.

ولندع هذه الحكايات، وننظر إلى ما جاء في كتب السنة في علي وباب خيبر، قال الطبري: «لما دنا علي من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود، فطاح ترسه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن، فتترس به عن نفسه، فلم يزل في يده يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، وقد اجتهد ثمانية أنفار على أن يقلبوا ذلك الباب فلم يقلبوه». وقال ابن هشام في السيرة: «وألقى علي الباب وراء ظهره ثمانين شبراً، وفي رواية أن علياً لما انتهى إلى باب الحصن اجتذبه فألقاه بالأرض، اجتمع عليه بعده سبعون رجلاً حتى أعادوه إلى مكانه»[1].

والأستاذ الشرقاوي ـ كما رأينا ـ لم يأت على ذكر الباب واقتلاعه ولم يشر إليه من قريب أو بعيد، ولكن تصويره الرائع للمبارزة بين علي ومرحب يوحي بقدرة علي العجيبة الخارقة لكل عادة، تماماً كما توحي بها تلك الحكايات التي أشرنا إليها، فإن اقتلاع الباب، وجعله جسراً على الخندق ليس بأعجب ولا أغرب من قفزة علي في الهواء، وضربته التي فلقت الرأس والجمجمة الغارقة في الحديد من قرنها إلى قدمها.

كرّار غير فرّار:

قال العلامة الحلي في كتاب «نهج الحق»:

«جاء في مسند أحمد من عدة طرق، وصحيحي مسلم والبخاري من طرق متعددة، وفي الجمع بين الصحاح الستة أيضاً

(١) انظر أعيان الشيعة ج ٢ ص ٣١٦ طبعة ١٩٥.

عن عبد الله بن بريدة، قال: سمعت أبي يقول: حاصرنا خيبر، وأخذ اللواء أبو بكر، فانصرف، ولم يفتح له، ثم أخذه عمر من الغد، فرجع، ولم يفتح له، وأصاب الناس يومئذٍ شدة وجهد، فقال رسول الله ﷺ: إني دافع الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار، لا يرجع، حتى يفتح الله له.

فبات الناس يتداولون ليلتهم، أيهم يعطاها؟. فلما أصبح الناس غدوا إلى رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها. فقال النبي: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا إنه أرمد العين. فأرسل إليه، فأتى، فبصق رسول الله ﷺ في عينه، ودعا له فبرئ، فأعطاه الراية، ومضى علي فلم يرجع، حتى فتح الله على يديه».

وقال الفضل بن روزبهان ـ وهو من أعلم علماء السنة ـ معقباً على قول العلامة الحلي: «حديث خيبر صحيح، وهذا من الفضائل العلية لأمير المؤمنين، لا يكاد يشاركه فيها أحد، وكم من فضائل مثل هذا».

وقال الشيخ محمد حسن المظفر في كتاب «دلائل الصدق»: أن الحديث الذي نقله العلاّمة عن صحيح البخاري وصحيح مسلم والجمع بين الصحاح الستة، ومسند أحد نقله الحاكم أيضاً في كتاب «المغازي» من المستدرك ج ٥ ص ٣٥٨، وصاحب «كنز العمال» ج ٦ ص ٣٩٤، والطبري في تاريخه ج ٣ ص ٩٣، وابن الأثير في ج ٢ ص ١٩٥.

وفي هذا أبلغ الدلالة وأصدقها على تثبت الإمامية في نقل الأحاديث، وكل ما له صلة بعقيدتهم.

دلائل الصدق:

ومن الخير أن نشير بهذه المناسبة إلى قصة كتاب «دلائل الصدق» للشيخ المعظم الشيخ محمد حسن المظفر الذي لم تحو المكتبة الإسلامية نظيراً له. ألف العلامة الحلي كتاب «نهج الحق وكشف الصدق» أثبت فيه عقيدة الشيعة الإمامية بالبرهان، ودافع عنها بما جاء في كتب السنّة بالذات، فرد عليه الفضل بن روزبهان الأشعري بكتاب أسماه «إبطال الباطل» فجمع الشيخ المظفر الكتابين في كتاب واحد، ورد على الفضل، وانتصر للعلامة وزاد عما ذكره العلامة من الأدلة والأرقام أضعافاً مضاعفة، وذكر اسم الكتاب ورقم الصفحات التي ينقل عنها، وسمى المجموع «دلائل الصدق» وقد جاء في ثلاثة مجلدات، ويبلغ عدد صفحاته ما يقرب من ألف وثلاثمئة صفحة بالقطع الكبير، وطبع على ورق أبيض في طباعة حديثة رائعة. وهو يغني عن كل كتاب قديم وحديث في هذا الباب، لأن صاحبه من أعاظم علماء الإمامية في هذا القرن، فهو متقدم في علمه، متأخر في زمنه، فأحاط بعلوم الأولين، وزاد عليها ما لا يقبل المزيد. رضوان الله عليه ورحمته، وشكر جهوده المثمرة النافعة، وجعل حظه من الجنان حظ الأولياء والصديقين.

حنين:

٥ ـ حنين اسم وادٍ قريب من الطائف، ويبعد عن مكة ثلاث ليالٍ، وكانت غزوة حنين في شهر شوال السنة الثامنة من الهجرة، وفتح مكة كان في شهر رمضان المبارك من السنة نفسها.

عدد الجيش:

لما فتح الله على نبيه مكة المكرمة خافته هوازن وثقيف،

فجمعوا لحربة ثلاثين ألف مقاتل، وبلغ رسول الله ما أجمعوا عليه، فتهيأ للقائهم باثني عشر ألف رجل، عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح بهم مكة، وألفان ممن أسلم بعد الفتح، ومنهم الطلقاء أمثال أبي سفيان وابنه معاوية.

القتال:

توجه النبي بجيشه إلى هوازن، وكان طريقه على وادي حنين، وكان وادياً ضيقاً أجوف منحدراً، ينحط فيه الركب، كأنهم يسيرون في هاوية، وكان جيش العدو قد سبقهم إلى احتلال مضايقه، وكمن فيها، وما إن وصل المسلمون إلى الوادي، حتى أمطرهم العدو بوابل من السهام، فانهزم الناس وتفرقوا عن النبي لا يلوي أحد على أحد، وكان أول المنهزمين الطلقاء أبو سفيان، ومن لف لفه، ونظر أبو سفيان إلى هذه الهزيمة نظرة الشامت الحقود، وفرح فرحاً شديداً، وقال: «لا تنتهي هزيمتهم دون البحر».

وثبت مع رسول الله عليّ شاهراً سيفه بين يدي الرسول، والعباس بن عبد المطلب، وكان آخذاً بلجام بغلة الرسول، والفضل بن العباس عن يمين النبي، والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب عن شماله، وحين رأى المشركون انهزام المسلمين خرجوا من شعاب الوادي، ومضايقه مصلتين سيوفهم، وقصدوا رسول الله، فقال النبي لعمه العباس، وكان جهوري الصوت: ناد القوم، وذكرهم العهد، فنادى بأعلى صوته يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة إلى أن تفرون؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله ﷺ، فلما سمع الأنصار نداء العباس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم، وهم يقولون: لبيك لبيك، فاستقبل بهم النبي الأعداء واقتتل الفريقان قتالاً شديداً.

وكان حامل راية المشركين وطليعتهم رجلاً يدعى أبا جرول، فكان يكر على المسلمين وينال منهم، فبرز له علي وقتله، وبقتله تمَّ النصر للنبي والمؤمنين، ولما علم الطلقاء، ومن إليهم بانتصار المسلمين، وكثرة الغنائم رجعوا إلى رسول الله ﷺ.

المؤلفة قلوبهم:

قال الشيخ محمد الغزالي في كتاب «فقه السيرة» ص ٢٩٧ وما بعدها، وهو العالم والمؤلف المعروف، ومفتش الأوقاف في القاهرة، قال:

«بدأ النبي بقسمة المال، فكان المؤلفة قلوبهم أول من أعطى، بل أول من حظي بالأنصبة الجزلة، فأخذ أبو سفيان مئة من الإبل، وأربعين أوقية من الفضة، فقال: وإبني معاوية، فمنح مثلها لابنه معاوية، فقال وابني يزيد، فمنح مثلها لابنه يزيد... والعجب أن هؤلاء الذين فروا عند الفزع هم الذين كثروا عند الطمع، وشاء النبي أن يلطف معهم، وينسى ماضيهم تكرماً وتألفاً، وماذا يصنع؟ ان في الدنيا أقواماً كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم لا من عقولهم، فكما تهدى الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تمد إليها فمها، حتى تدخل حظيرتها آمنة!. فكذلك هذه الأصناف من البشر، تحتاج إلى فنون من الإغراء، حتى تستأنس بالإيمان وتهش له».

ولكن أبا سفيان أكل الحشيش، ولم يدخل الحظيرة، ولا استأنس بالإيمان، ولا هش له، وظل هو وولده معاوية وحفيده يزيد يكيدون للإسلام ونبيه وآله، ويعملون على تفريق المسلمين وتفتيت قوتهم ووحدتهم.

أم سليم:

كان مع النبي في معركة حنين امرأة اسمها أم سليم، فرآها أحد الأصحاب، وهو أبو طلحة، وفي يدها خنجر، فقال لها: ما هذا يا أم سليم؟ قالت: إن دنا متى مشرك بعجت بطنه. فقال أبو طلحة للنبي: أما تسمع ما تقول أم سليم؟. فضحك النبي. فقالت أم سليم يا رسول الله اقتل بخنجري الطلقاء الذين انهزموا عنك. فقال لها: إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم.

الأعرابي:

جاء أعرابي إلى الرسول، وهو يفرق الغنائم فجذبه من ثوبه جذبة شديدة، وقال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النبي وضحك، ثم أمر له بعطاء.

ذو الخويصرة:

لم قسم النبي غنائم حنين أقبل ذو الخويصرة، وكان رجلاً طويلاً بين عينيه اثر السجود، وقال لرسول الله: قد رأيت ما صنعت في هذه الغنائم!.. قال النبي وكيف رأيت؟ قال: لم أرك عدلت. فغضب رسول الله، وقال: ويلك إذا لم أعدل أنا فمن يعدل؟!.. فقال المسلمون: ألا نقتله؟ قال: دعوه، فسيكون له أتباع يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، يقتلهم الله على أحب الخلق إليه من بعدي، فقتله الإمام فيمن قتل يوم النهروان من الخوارج.

أعاذني الله وإياك أيها القارئ، من أهل الجباه السود، وصرف عنك وعني بلاءهم وجهلهم ورياءهم.

النبي والأنصار:

قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين في قريش، وأجزل العطاء للمؤلفة قلوبهم كأبي سفيان ومن إليه، فغضب قوم من الأنصار، وقالوا: لقي رسول الله قومه فحاباهم. فبلغ الرسول عنهم ذلك، فجمعهم، ولم يكن أحد غير الأنصار إلا النبي وعلي.

قال لهم النبي: إني سائلكم عن أمر فأجيبوني.

قالوا: قل يا رسول الله.

قال: ألستم كنتم ضالين فهداكم الله بي؟! ألم تكونوا على شفا حفرة من النار، فأنقذكم الله بي؟! ألم تكونوا قليلاً فكثركم الله بي؟! وعالة فأغناكم الله بي؟! وأعداء فألف بين قلوبكم بي؟!

قالوا: بلى والله، فلله ولرسوله المن والفضل.

ثم قال لهم: ألا تجيبوني بما عندكم؟!.

قالوا: بماذا نجيبك فداك آباؤنا وأمهاتنا؟!.

قال: أما لو شئتم لقلتم فصدقتم، وأنت قد جئتنا مكذّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وخائفاً فأمناك، وعائلاً فآسيناك. فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقاموا إليه يقبلون يديه ورجليه، وقالوا: رضينا بالله وبرسول الله، وهذه أموالنا بين يديك فأعطها لمن شئت، وقسمها بين قومك.

فقال النبي: اللهم اغفر للأنصار لأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار، يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يرجع غيركم بالشاء والنعم، وترجعون أنتم وسهمكم برسول الله؟!

قالوا: بلى رضينا.

فقال النبي: الأنصار كرشي وعيبتي، لو سلك الناس وادياً، وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار.

وإني لأعرف أفراداً معرفة شخصية يكفرون بأبي سفيان نظرياً، ويسيرون بسيرته عملياً، يتوارون عن ميدان الكفاح والجهاد في سبيل الحق، ولا يناصرون أهله بكلمة واحدة، بل ولا بأضعف الإيمان، بل ويضمرون لهم العداء، ويشمتون ويفرحون إذا أنزلت بهم نازلة، كما شمت وفرح أبو سفيان بهزيمة المسلمين عن النبي، ويمدون أعناقهم وأيديهم إلى الغنائم أينما كانت وتكون، فهم مع الشاء والعطاء، لا مع الرسول وآل الرسول، وإن لهجوا بذكرهم، ونادوا باسمهم، إنهم تماماً كما قال الشيخ الغزالي: يقادون من أمعائهم وبطونهم، لا من عقولهم وإيمانهم.

بقية الغزوات:

هذا مجمل حروب الإمام مع النبي في غزواته، وهناك غزوات أخرى، للنبي شارك فيها الإمام، وقتل بعض أبطال المشركين، كغزوة بني النضير، وغزوة بني المصطلق، وغزوة وادي القرى، وغزوة الطائف، ولكن المسلمين لم يلقوا في هذه الغزوات مقاومة تذكر، إذ كان العدو ضعيفاً للغاية يستسلم من الجولة الأولى، ففي غزوة الطائف كان الإمام هو القائد، وما أن قتل أول فارس من المشركين، حتى استسلم الباقون، ودخل الإمام المدينة، وكسر الأصنام كما أمره النبي، وهكذا كانت الحال في غزوة بني النضير والمصطلق ووادي القرى، يقتل المسلمون بعض الأفراد من المشركين، وتنتهي المعركة.

أما حروب الإمام بعد النبي ﷺ فثلاث: الجمل، وصفين، والنهروان، الناكثون، والقاسطون، والمارقون.

الجمل:

٦ ـ سميت هذه الحرب بوقعة الجمل، لأن قائدة الجيش، وهي السيدة عائشة فضلت ركوب الجمل على البغال والحمير، قال المستشرق الألماني «كارل بروكلمن» في الجزء الأول من «تاريخ الشعوب الإسلامية» ص ١٣٩: «توقفت المعركة أمام الجمل الذي كانت تمتطيه عائشة، وتستفز من على ظهره المقاتلين حسب العادة العربية العريقة ـ أي عادة الجاهلية الجهلاء ـ ولم تتم الغلبة لعلي إلا بعد أن عقر الجمل الذي خلع اسمه على هذه المعركة في ٤ كانون الأول سنة ٦٤٦م، وعرضت عائشة على المنتصر تأييدها، ولكنه رفض. وعن الواقدي والمسعودي أن الوقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ.

صاحبة الجمل:

ركبت الجمل، تسير عليه من بلد إلى بلد، تخطب بصوت جهوري، وتكتب إلى الآفاق بترقيع أم المؤمنين[١] تشعل نار الحرب، وتفرق كلمة المسلمين إلى شيع وأحزاب يقتل بعضهم بعضاً.

آخى النبي بين المسلمين وألف بين قلوبهم، وفعلت عائشة ما فعلت من إلقاء العداوة والبغضاء بين الأصحاب وأتباع الرسول الذين استجابوا لدعوته وجاهدوا بين يديه لإعلاء كلمة الإسلام.

وأمر الله والرسول أن تقر النساء في البيوت، ووقفت عائشة علماً للجيش لم تراع للنبي ستراً ولا حرمة.

---

(١) الطبري ج ٥ ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

قالت لها أم سلمة: أقسم بالله لو سرت مسيرك هذا، ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكة حجاباً قد ضربه عليّ، اجعلي حصنك بيتك، والستر قبرك، حتى تلقيه، وأنت على ذلك أطوع ما تكونين لله ما لزمته، وانصر ما تكونين للدين ما جلست عنه. وقال الإمام: والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة، ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه، حتى ترود نفسها ومن معها مونارد الهلكة وقال لها جارية بن قدامة السعدي: يا أم المؤمنين، والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، عرضة للسلاح، إنه قد كان لك من رسول الله ستر وحرمة، فهتكت سترك، وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك يرى قتلك[1].

القاتل يطلب الثأر:

كانت السيدة عائشة بمكة المكرمة حين قتل عثمان، ولما بلغها الخبر قالت:

أبعده الله، ذلك بما قدمت يداه؛ وأسرعت إلى المدينة، وهي لا تشك أن ابن عمها طلحة قد بويع بالخلافة، ولعلمها بأنه السبب الأول في قتل عثمان، ولما أخبرها عبيد بن أم كلاب أن الناس بايعوا علياً قالت: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه. فقال لها ابن أم كلاب: ولمَ؟ فوالله أول من أمال حرفه لأنت، فلقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[2].

ولعل قائلاً يقول: إن أم المؤمنين اجتهدت وتغير رأيها، رأت

---

(١) ابن الأثير ج ٣ ص ١٠٩ حوادث سنة ٣٦ وأعيان الشيعة نقلاً عن الطبري.

(٢) ابن الأثير ج ٣ ص ١٠٥ حوادث سنة ٣٦.

أولاً أن عثمان يستحق القتل، ثم رأت أنه قتل مظلوماً، ولها في الحالين عذرها واجتهادها.

الجواب:

١ ـ إنها بقيت أمداً طويلاً تحرّض عليه، وتقول: اقتلوا نعثلاً فقد كفر.

٢ ـ إنها طلبت الدم من غير قاتله، وتعاونت مع طلحة، ودعت إلى مبايعته، مع أنه كان أشد الناس على عثمان، وهو الذي قاد الثورة ضده، وقد قتله مروان بن الحكم أخذاً بثأر عثمان.

٣ ـ إنها ليست ولية للدم، حتى تطلب به، ولا هي خليفة المسلمين، حتى تقيم الحدود، ومتى قام عامود الدين بالنساء؟!![1].

٤ ـ إنها نست أو تناست، وهي حافظة الأحاديث، موآخاة النبي لعلي، وقوله: سلمك سلمي، وحربك حربي، وقوله: علي مع الحق، وقوله: علي مني وأنا من علي، وقوله لا يبغض علياً إلا من خرج من الإيمان، وما إلى ذلك من الأحاديث التي تغصّ بها الكتب والمجلدات.

٥ ـ أن تبدّل الرأي، وإن كان ظاهرة طبيعية في الإنسان إلا أن له ظروفاً خاصة، وأسباباً معينة تخرج عن الإرادة والاختيار، ومحال أن يتبدل النظر، ويتغير الرأي مع وحدة الأسباب، وبقاء الظروف، محال أن يكون الإنسان صادقاً في قوله: هذا حق، ثم في قوله: هذا باطل في مجلس واحد، وكلام واحد، دون أن يحدث أي شيء، فإذا حصل شيء من هذا فلا يكون تبدلاً للرأي والنظر، وإنما هو تناقض

---

(١) انظر دلائل الصدق ج ٣ ص ١٣٢، وأحاديث أم المؤمنين عائشة للعسكري ص ١٦٦.

وتهافت وخضوع للأهواء والأغراض، قال المنذر بن الجارود لعائشة ومن معها: لقد كان عثمان بين أظهركم فخذلتموه، فمتى استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأي؟

وقد اتفق المؤرخون جميعاً على أن هوى السيدة عائشة كان مع طلحة، وأنها ما أبنت عثمان بقولها: «أبعده الله، ذلك بما قدمت يداه» ألا وهي على يقين من أن الناس قد بايعوا طلحة، فلما انكشف لها الأمر صار عثمان مظلوماً بعد أن كان ظالماً، وكذا حين انتصر الإمام عليها أصبح محقاً بعد أن كان مبطلاً، وعرضت عليه تأييدها، بعد أن قادت الجيوش لحربه.

وبالتالي، فإن الذين تتبدل آراؤهم وأنظارهم، ويأتون بأحكام متضاربة متناقضة يحتاجون إلى حجج أتم وأقوى من كل حجة تبرر هذا التبدل والتغيير، ولا ندري كيف خفيت هذه الحقيقة على أم المؤمنين، وهي الذكية الفطنة؟!. ونحن لم نجد عندها أية حجة تبرر عدولها عن القول «أبعده الله» إلى القول «قتل مظلوماً» إلا أنها زوجة رسول الله، وصدق الله العظيم، حيث يقول:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

طلحة والزبير:

طلحة بن عبد الله التيمي قرابة الخليفة الثاني أبي بكر والزبير ابن العوام بن خويلد بن أسد، وأمه صفية بنت عبد المطلب، فهو ابن عمة النبي، وابن أخي خديجة الكبرى أم المؤمنين وزوج أسماء

بنت أبي بكر أخت عائشة، وكان طلحة والزبير ممن بايعا علياً مع الناس، ثم سألاه أن يشركهما في الحكم، وأن يولي أحدهما البصرة، والآخر الكوفة، فأبى وحين قسم العطاء ساوى بينهما، وبين الموالي، فكان نصيب كل منهما ثلاثة دنانير، فقال طلحة: «ما لنا من هذا الأمر إلا كلحسة الكلب أنفه»[1].

وقال الأستاذ جورج جرداق في كتاب «الإمام علي» ج ٤ ص ٩٢٦:

«إن القريشيين في معظمهم يكرهون علياً.. وفي طليعتهم طلحة والزبير، ولم يجدا مفرداً من مبايعة علي، لأن الرأي العام في المجموعة العربية، وفي الأقطار المفتوحة، ولا سيما مصر لم يكن يجيز استخلاف أحد سوى ابن أبي طالب، ذلك أن صفاته هي الصفات التي تنشدها الثورة الاجتماعية في شخصية الخليفة، فالثورة تنشد العدل في الأمصار، والرأفة بالمستضعفين، وتأميم بيت المال، ومنع الاحتكار في المنافع العامة، وجعل الحكم توجيهياً، وتطبيقاً لمفاهيم العدالة، وما كان لذلك غير علي.

أما أشد منافسي علي طمعاً بالخلافة فهما طلحة والزبير، وهذان لم يتوفر فيهما شيء من صفات الحاكم الذي تريده الثورة.. فقد كانا من الراغبين في الملك والمال والجاه».

عدد الجيش:

كان عسكر الإمام عشرين ألفاً، وعسكر عائشة ثلاثين، ونقل

---

(١) نقل هذا العسكري في كتاب «أحاديث أم المؤمنين عائشة» في ص ١٢٢ عن اليعقوبي والطبري ابن أبي الحديد.

المسعودي في الجزء الثاني وصفاً رائعاً عن المنذر بي الجارود لعسكر الإمام نوجزه بما يلي:

قال المنذر: لما قدم علي البصرة خرجت انظر إليه، فإذا بموكب في ألف فارس يتقدمهم فارس على فرس أشهب، عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفاً، ومعه راية، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح، فقلت من هذا؟ قالوا: هذا أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وهؤلاء الأنصار.

ثم تلاه فارس آخر، عليه عمامة صفراء، وثياب بيض، متقلد سيفاً، متنكب قوساً، ومعه راية، وهو على فرس أشقر في نحو ألف فارس، قلت: من هذا؟ قالوا خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين[1].

ثم مر فارس آخر على فرس أشهب، عليه ثياب بيض، وعمامة سوداء، وقد سدلها من بين يديه ومن خلفه، شديد الأدمة عليه سكينة ووقار، رافع صوته بقراءة القرآن، وحوله مشيخة وكهول وشبان، كأنما قد أوقفوا للحساب قد أثر السجود في جباههم، فقلت: من هذا؟ قيل: هذا عمار بن ياسر في عدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار وأبنائهم.

ثم مر آخر وآخر، حتى ورد موكب فيه خلق من الناس، عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات، يتقدمهم رجل كأنما كسر وجبر - أي شديد الساعدين ينظر إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق - وعن يمينه شاب حسن الوجه، وعن يساره شاب حسن الوجه،

---

(١) سمي «ذو الشهادتين» لأن النبي جعل شهادته شهادة رجلين.

وبين يديه شاب مثلهما، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا علي بن أبي طالب، وهذان الحسنان عن يمينه وشماله، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى والذين خلفه عبد الله بن جعفر وولد عقيل وغيرهم من فتيان قريش، وهؤلاء المشايخ من حوله أهل بدر من المهاجرين والأنصار.

الدعوة إلى السلم:

قال الإمام لأصحابه لا تبدأوا القوم بقتال، وكلموهم بألطف الكلام.. وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح، وإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً... ولا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسبين أمراءكم وصلحاءكم.

وأخذ الإمام مصحفاً، وقال: من يأخذ هذا المصحف، ويدعوهم إلى ما فيه، وهو مقتول؟ فقام إليه فتى من أهل الكوفة، وقال: أنا فأعرض عنه الإمام. ثم قال الإمام: من يأخذ هذا المصحف، ويدعوهم إلى ما فيه، وهو مقتول؟ قال الفتى: أنا، فدفعه إليه، ودعاهم إلى الله، فقطعوا يده اليمنى، فأخذه باليسرى فقطعوها، فأخذ القرآن بصدره فقتلوه، ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين، ودعاهم إلى المسالمة، وترك الحرب، ودنا من عائشة، وقال: ماذا تريدين؟ قالت: الطلب بدم عثمان. قال: قتل الله في هذا اليوم الباغي، والطالب بغير حق، وأنشأ يقول:

فمنك البكاء ومنك العويل ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقاتله عندنا من أمر

فرشه أصحاب الجمل بالنبل، فرجع، وقال: ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين؟! ليس لك عند القوم إلا الحرب.

القتال:

أخذ أصحاب الجمل يرمون عسكر علي بالنبل رمياً متتابعاً، حتى قتل ثلاثة أو أكثر، وضج إليه أصحابه، قالوا: عقرتنا سهامهم، وهذه القتلى بين يديك، عند ذلك استرجع الإمام، وقال: اللهم اشهد. ثم لبس درع رسول الله ذات الفضول، وتقلد ذا الفقار، ودفع راية رسول الله السوداء، وهي المعروفة بالعقاب، دفعها إلى ولده محمد بن الحنفية، وقال للحسن والحسين: إنما دفعت الراية لأخيكما، وتركتكما لمكانكما من رسول الله.

وبعد أن اصطف الفريقان وتقابلا للقتال، قالت عائشة: ناولوني كفاً من الحصاة، فأخذتها، وحصبت بها وجوه أصحاب الإمام، وصاحت بأعلى صوتها: شاهت الوجوه، كما صنع رسول الله يوم بدر، فناداها رجل من أصحاب علي: وما رميتِ إذ رميتِ ولكن الشيطان رمى.

وترك الزبير القتال بعد أن ذكره الإمام بقول النبي له: «إنك والله ستقاتل علياً، وأنت له ظالم» وتبعه ابن جرموز فقتله غيلة، أما طلحة فقال له الإمام: جئت بعرس رسول الله ﷺ تقاتل بها، وخبأت عرسك في البيت؟ أنشدك الله أسمعت رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه؟ قال طلحة: نعم، ولكن جئت أطلب بدم عثمان، وحين أتيحت الفرصة لمروان بن الحكم رمى طلحة بسهم فقتله، وقال: والله إن دم عثمان عند هذا.

وحين استوت الصفوف قال الإمام لمحمد بن الحنفية: اقدم بالراية حتى تركزها في عين الجمل. وما أن قدم محمد حتى رشقته السهام من كل جانب، فوقف رويداً لتخف السهام، فقال له أبوه: احمل عليهم قال: أما ترى السهام كالمطر؟! فدفع صدره، وقال: أخذك عرق من أمك، ثم أخذ الراية فهزها، وقال:

اطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد

وشد على عسكر العدو، فضعضع أركانه، وفرت الرجال من بين يديه فرار المعزى من الذئب، وجرت الأرض بدماء القتلى، وانحنى سيفه، فرجع إلى معسكره، وقوّمه بركبته وأرجع الراية إلى ولده محمد فحمل حملات أزال القوم عن مواقفهم، فقال بعض أصحاب الإمام للإمام: لو كان غير محمد لافتضح، وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين لولا الحسن والحسين لما قدمنا على محمد أحداً من العرب. فقال الإمام: أين النجم من الشمس والقمر؟!

وتكاثفت الرجال حول الجمل كلما خف قوم جاء أضعافهم، وكان الإمام يزأر زئير الأسود، يحمل على القوم الحملة تلو الحملة، حتى خاف عليه أصحابه، وقالوا له: إنك إن تصب يذهب الدين، فأمسك، ونحن نكفيك. فقال: والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة.

ولما كثرت القتلى، قال الإمام: ارشقوا الجمل بالنبل، واعقروه وإلا فنيت العرب، ولا يزال السيف قائماً، حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض، فقطعوا قوائمه، فوقف أهل البصرة تحته، وحملوه بأكتافهم، ولما رأى الإمام أن الموت عند الجمل وضع

سيفه على عاتقه، وعطف نحوه، وتبعه أصحابه، وفيهم عمار والاشتر، واشتد القتال، واستمات بنو ضبة دون الجمل، حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، ولكن الإمام وصل مع جماعة من أصحابه إلى الجمل، وأمر أحدهم بضربه، فضرب عجز الجمل بالسيف فوقع لحينه على الأرض، وعج عجيجاً لم يسمع بأشد منه، ففرت الرجال، كما يطير الجراد المنتشر في الريح الشديد، واحتملت عائشة بهودجها إلى بعض الدور في البصرة.

وما أن ألقي السلاح، حتى نادى الإمام بالعفو العام عن كل من ألقى السلاح، حتى مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير، أعدى أعداء الهاشميين بعامة والإمام بخاصة.

ولما فتح أمير المؤمنين البصرة، دخل بيت المال وقسم ما فيه فلحق الرجل خمسمئة درهم، فأخذ هو كأحدهم فجاءه إنسان لم يحضر الواقعة وقال: يا أمير المؤمنين كنت معك في قلبي، وإن غاب عنك جسمي، فاعطني من الفيء شيئاً، فدفع إليه الخمسمئة بكاملها.

وأرجع الإمام عائشة إلى بيتها التي أمرها الله أن تقر فيه، وبعث معها أخاها عبد الرحمن، وجهزها بأحسن جهاز، وأمر لها باثني عشر ألف درهم.

عدد القتلى:

قال المسعودي ج ٢ ص ٣٦٠ طبعة سنة ١٩٤٨:

قتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفاً، ومن أصحاب علي خمسة آلاف، وكانت وقعة واحدة في يوم واحد.

آثار الفتنة:

لا أعرف أحداً من الباحثين والمفكرين نظر إلى حرب الجمل نظرة جدية، وقاسها بأسوائها، وما نجم عنها من أضرار، وتمنيت لو أتيح لها من يدرسها دراسة موضوعية تكشف عن خصائصها وآثارها العميقة البعيدة، ان لكل حادثة آثاراً قهرية لا تنفك عنها بحال، سواء أكانت تلك الحادثة من الظواهر الطبيعية، أم من عمل الإنسان، وبمشيئته واختياره.

وبعد، فما هي الآثار التي تركتها فتنة الجمل؟.

ويستطيع العارف الخبير أن يضع كتاباً خاصاً في الجواب عن هذا السؤال، أما نحن فنكتفي ـ الآن ـ بالإشارة التالية:

لولا حرب الجمل لما كانت حرب صفين والنهروان، ولا مذبحة كربلاء، ووقعة الحراء، ولا رميت الكعبة المكرمة بالمنجنيق أكثر من مرة، ولا كانت الحرب بين الزبيرين والأمويين، ولا بين الأمويين والعباسيين. ولما افترق المسلمون إلى سنة وشيعة، ولما وجد بينهم جواسيس وعملاء يعملون على التفريق والشتات، ولما صارت الخلافة الإسلامية ملكاً يتوارثها الصبيان، ويتلاعب بها الخدم والنسوان.

لقد جمعت حرب الجمل جميع الرذائل والنقائص، لأنها السبب لضعف المسلمين وإذلالهم، واستعبادهم وغصب بلادهم، فلقد كانت أول فتنة ألقت بأس المسلمين فيما بينهم، يقتل بعضهم بعضاً، بعد أن كانوا قوة على أعدائهم، كما أفسحت المجال لما تلاها من الفتن والحروب الداخلية التي أودت بكيان المسلمين ووحدتهم، ومهدت لحكم الترك والديلم والصليبيين وغيرهم.

وبالاختصار لولا فتنة الجمل لاجتمع أهل الأرض على الإسلام، لأن رحمته تشمل جميع الناس أجمعين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾. وقال النبي ﷺ: إنما أنا رحمة مهداة.

لقد تذرع قادة حرب الجمل بدم عثمان، ولنفترض أن عثمان قُتل مظلوماً، وأن الذين طالبوا بدمه كانوا مخلصين، ولكن ماذا كانت النتيجة؟! طالبوا بدم رجل واحد، فقتلوا الألوف من الأبرياء، ولم يقتلوا قتلة عثمان، وجروا الويلات والنكبات على الإسلام، وما زال المسلمون يعانون أسواء تلك الفتنة، حتى اليوم، وسيعانونها إلى آخر يوم.

لقد نحي الإمام عن الخلافة، وهو يعلم، والناس كلهم يعلمون أن محله منها محل القطب من الرحى ـ كما قال ـ ومع ذلك سكت حين بويع للأول، وسكت أيضاً حين بويع للثاني وللثالث، ولم يحرك ساكناً لا لشيء، إلا ليجنب الإسلام والمسلمين تلك المخاطر والمفاسد التي ترتبت على فتنة الجمل، فلماذا لم يسكت طلحة والزبير والسيدة عائشة، مراعاة لمصلحة الإسلام، كما سكت الإمام؟ لقد امتنع عبد الله بن عمر[1] وحسان بن ثابت وأسامة بن زيد عن بيعة علي، واعتزلوا الناس، فتركهم الإمام وشأنهم، ولما قيل له: لو دعوتهم إلى البيعة. قال: لا حاجة لنا فيمن لا يرغب فينا. فلماذا لا يعتزل طلحة والزبير كما اعتزل ابن عمر؟ لماذا أركبا أم المؤمنين الجمل، يسيران بها من بلد إلى بلد، وخبآ نساءهما في البيوت؟!

---

(١) قال بن عبد البر في الاستيعاب: لقد ندم ابن عمر على تركه بيعة علي حين حضرته الوفاة. وقال المسعودي: قعد عبد الله بن عمر عن بيعة علي، وبايع يزيد بن معاوية بعد ذلك، بايع الحجاج لعبد الملك بن مروان.

لقد رأت السيدة عائشة، ورأى معها طلحة والزبير المهاجرين والأنصار وأبناءهم حول الإمام شاهرين السلاح مصممين على القتال، والدفاع عن النفس إذا هوجموا، فلماذا أصر أصحاب الجمل على الهجوم وأمطروا عسكر الإمام بالنبل، وقتلوا منه أكثر من واحد قبل أن يسمعوا كلمة واحدة؟ ولماذا رفضوا دعوة الإمام إلى كتاب الله وسنّة الرسول، وأبوا إلا الحرب؟! لماذا اختاروا القتال، ولم يؤثروا مصلحة الإسلام على أهوائهم وأغراضهم؟! وهل يكفي أن يقول القائل: أنا مسلم، ثم لا يكون فعالاً، ولا ناصحاً لله ورسوله؟!، وكيف فات أم المؤمنين، وهي الذكية الفطنة أن فتنة الجمل لم تكن بنتائجها الوخيمة حرباً ضد علي بالذات، بل ضد الإسلام وبني الإسلامي؟!

لقد كانت أم المؤمنين ذكية فطنة ما في ذلك ريب، وكانت أيضاً تحفظ الأحاديث، وكان طلحة والزبير من الأصحاب، وحضرا مع الرسول بعض حروبه، ولكن هل تقاس الفضيلة والعظمة بمجرد الذكاء والصحبة وحفظ الحديث، دون اعتبار لأي شيء آخر؟!

وهل يجب أن نقدس ونعظم الأذكياء والحفاظ مهما أتوا ومهما فعلوا؟! ولا شيء أكثر ضرراً وخطراً من أن نثق بإنسان أكثر مما يستحق.

وبالتالي، فإن الإنسان لا يقاس بعملٍ من أعماله، ولا بصفة من صفاته، وإنما بأعماله وصفاته كمجموعة واحدة حقيقية لا تقبل التبعض والتجزئة، تماماً كجمال الجسم الذي يقاس بسلامة جميع الأعضاء.

وكم رأينا من يتواضع، ويلبس جلد الحمل لغايات شيطانية.

ومن يتصدق بالأموال لأغراض تجارية؟! ونحن لا ندعي أن طلحة والزبير والسيدة عائشة أظهروا الإسلام لمآرب شخصية، في عهد الرسول، وإنما نقول: يجب أن لا ننظر إلى صحبتهم للنبيﷺ ثم نتجاهل فتنة الجمل، وما تركته من آثار وأضرار، وقديماً قيل: «الأمور بخواتيمها». وصدق الله العظيم: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٥٠].

صفين:

٧ ـ قال ياقوت في معجم البلدان: «صفين موضع بقرب الرقة على شاطيء الفرات من الجانب الغربي» وهي الآن جزء من أراضي الجمهورية العراقية بالقرب من الحدود السورية.

سبق معاوية إلى هذا المكان، واحتله بعسكره وملك الشريعة، وحصنها بالخيل والرجال، ليمنع علياً، ومن معه من الماء، ولما وصل الإمام إلى صفين، ورأى ما فعل معاوية أرسل إليه أن يخلي بين الناس والماء، فأبى، فقال له ابن العاص: خل الماء، فلن يعطش علي، وأنت ريان، فلم يأخذ برأيه، فطرد جيش الإمام أهل الشام، وغلبوهم على الماء، وعندها قال معاوية لابن العاص: ما ظنك أيمنعنا علي من الماء كما منعناه؟ فقال: إن علياً لا يستحل منك ما استحللت منه، وبعث الإمام إلى معاوية من يقول له: نحن لا نكافيك بصنعك، هلم إلى الماء، فنحن وأنت فيه سواء.

وليس بعجيب إذا منع معاوية الماء وأباحه علي!.. فهنا الإمامة الحقة والرحمة الشاملة، وهناك الانتهازية والحقد. قال الأستاذ جرداق بعد أن نقل حكاية الماء: «لو كان في جيش معاوية

قبس من الخلق الكريم لأدركوا بهذا الحادث أنهم بمناصرتهم معاوية على علي إنما يناصرون انتهازياً على نبي (الإمام علي ج ٤ ص ٩٧٣).

وصل الإمام إلى صفين في ذي القعدة، وابتدأت الحرب في أول ذي الحجة سنة ٣٦هـ، وحصلت الهدنة في المحرم سنة ٣٧، واستؤنف القتال في أول صفر، وانتهى في ١٣ منه.

معاوية وعثمان:

معاوية وعثمان ابنا عم، ينتهي نسب كل منهما إلى أمية بن عبد شمس، وكان عثمان خليفة المسلمين، وكان معاوية أميراً على الشام من قبله، وحين حوصر عثمان استنجد بعامله وابن عمه معاوية، ولكنه خذله ولم ينجده. وقال الأستاذ جرداق وغيره: إن معاوية لم يخذل عثمان إلا طمعاً بأن يكون هو الخليفة من بعده.

والذي نراه أن معاوية لم يطمع بالخلافة، ولم يحدث بها نفسه قبل فتنة الجمل، لأنه يعلم مكانه، وأنه أحقر من أن يطمع بالخلافة، وهو الطليق ابن الطليق، وفي المسلمين السابقون المقربون. . وقد سمع معاوية عمر بن الخطاب يقول: الخلافة محرمة على الطلقاء. والسبب الوحيد لتخلف معاوية عن مناصرة عثمان أنه رأى قوة الحزب المعارض، وعلى رأسه الصحابة كالزبير وطلحة، ورأى تأييد الرأي العام للثورة ضد عثمان، فخاف إذا هو أعلن مناصرته لعثمان أن تدور عليه الدائرة بعد انتصار الثورة وظفرها، وأن يصيبه ما أصاب الخليفة، أو يحرم من إمارة الشام على الأقل، فوقف يتربص ويرتقب استغلال الفرص والظروف، شأن السياسي المحترف الذي لا يهتم بقريب أو بعيد، ولا يدين

بمبدأ أو دين، ولا يعمل إلا على أساس الربح والمصلحة. وكذلك مروان بن الحكم، لو لم يكن هو المطلوب للثوار بالذات لترك قريبه عثمان وأعلن انضمامه إلى الثوار، أو وقف موقف المترقب كما فعل معاوية. وهذا شأن كل سياسي محترف في كل زمان ومكان، وما أكثر الشواهد والأرقام.

وبعد أن قُتل عثمان، وبويع الإمام أسقط في يد معاوية، واحتار في أمره، فهو يعلم علم اليقين أن علياً سوف يبعده عن إمارة الشام، وانه سيطبق أحكامه العادلة الصارمة على الجميع، وأن الناس، كل الناس، سيتساوون في الحقوق، ولم يبق لأحد أية ميزة على غيره، ولكن سرعان ما قدمت له فتنة الجمل الحل لهذه المعضلة، فتذرع بدم عثمان، وانتحله بعد أن خذله، تماماً كما فعل أصحاب الجمل الذين لم يألوا جهداً في الكيد لعثمان، ثم اتهموا الإمام أنه المدبر لقتله. قال ابن سيرين: «ما علمت أن علياً اتهم بدم عثمان، حتى بويع، فلما بويع اتهمه الناس».

معاوية يساوم:

قال الرواة: ان المغيرة بن شعبة أشار على الإمام أن يثبت معاوية في ولاية الشام أياماً، ثم يرى فيه رأيه، فقال له الإمام: والله لا أداهن في ديني، ولا أعطي الرياء في أمري. فذهب المغيرة، ثم عاد، وقال له: نظرت في الأمر، فإذا أنت المصيب بعزل معاوية. وقال الرواة أيضاً: إن ابن عباس قال للإمام: نصحك في الأولى، وغشك في الثانية، وشاع هذا الرأي المنقول عن ابن عباس، واعتنقه كثيرون في القديم والحديث، وبنوا عليه حكمهم وقولهم بأن علياً لا يعرف السياسة.

ونحن نصدق الرواة فيما نقلوه عن المغيرة، ونشك، بل يجب أن نشك فيما نقلوه عن ابن عباس لسببين: الأول أن فيه مساً بسياسة الإمام وخبرته، وكل خبر يستشم منه شيء من ذلك فهو من وضع الأمويين وخصوم الإمام، ما في ذلك ريب. السبب الثاني أن المغيرة لا هدف له إلا التجسس لمعاوية ومعرفة رأي الإمام بمعاوية، ولما ذهب المغيرة خاف أن يفتضح، وينكشف ستره وتجسسه، فعاد وقال ما قال.

وإلى الذين يرون أن الحزم والصواب كان في إشارة المغيرة، وإقرار معاوية إلى حين، نوجه هذا السؤال:

لو أضمر الإمام ـ على سبيل الافتراض ـ أن يبقى معاوية في إمارة الشام أياماً، ثم يعزله عنها، فهل يخفى ذلك على معاوية؟! وهل يستسلم معاوية دون قيد أو شرط بمجرد أن يقول له الإمام: أنت عاملي على الشام، دون أن يحتاط لنفسه، ودون أن يأخذ المواثيق والمستندات في ثباته واستمراره.

إن عمراً ابن العاص لم يبايع معاوية إلا بعد أن كتب له كتاباً بمصر على أنها طعمة له، وهكذا معاوية لا يبايع علياً ولا يأمن له إلا إذا كتب له كتاباً بالشام ومعها مصر أيضاً، على أنهما هبة له وجباية ما دام حياً، وهذا ما قاله معاوية لجرير رسول الإمام، قال له بالحرف الواحد: «اكتب إلى صاحبك أن يجعل لي الشام ومصر جباية»[1].

وبالتالي، فعلى الذين يتحذلقون، ويقول: إن علياً لا يعرف

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة نقلاً عن شرح ابن أبي الحديد، وأعيان الشيعة نقلاً عن نصر بن مزاحم.

السياسة أن يدرسوا التاريخ، ويذكروا هذه الحقيقة، وينظروا إلى معاوية نظرتهم إلى ابن العاص، لأن الرجلين من طينة واحدة، وعلى مبدأ واحد، مبدأ الكسب والمساومة، وارتكاب الجرائم والمآثم من أجل المناصب والمراكز. قال المستشرق «أوزبورن»: كان معاوية مخادعاً داهية ذا قلب خال من كل شفقة. كان ذلك الأموي لا يتهيب الإقدام على أية جريمة من أجل أن يضمن مركزه». (روح الإسلام لسيد مير علي ص ٢٠٥ ترجمة عمر الديراوي).

أما أمير المؤمنين فهو القائل: والله إن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها. ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى؟!..

عدد الجيش:

كان مع الإمام تسعون ألفاً، ومع معاوية خمسة وثمانون ألفاً (المسعودي ج ٢) وكان في عسكر الإمام تسعمئة رجل من الأنصار، وثماني مئة من المهاجرين الذين حاربوا مع رسول الله، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثماني مئة، وفيهم من بايع تحت الشجرة، وهي البيعة المعروفة ببيعة الرضوان، وكان في جيش معاوية الأمويون والمنافقون الذين حاربوا رسول الله مع أبي سفيان وولده معاوية.

الدعوة إلى السلام:

قال المسعودي وغيره: بعث علي إلى معاوية يدعوه إلى اجتماع الكلمة والدخول في جماعة المسلمين، وطالت بينهما المراسلة، وآخر ما قاله الإمام لأهل الشام: «إني قد احتججت

عليكم بكتاب الله، ودعوتكم إليه وإني قد نبذت إليكم على سواء. إن الله لا يهدي كيد الخائنين».

فلم يردوا عليه جواباً إلا قولهم: السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منا.

القتال:

قال أمير المؤمنين لعسكره: لا تقاتلوا القوم، حتى يبدءوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وتركككم إياهم، حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل.

وفي أول يوم من صفر سنة ٣٦ اصطف الجيشان، فخرج الأشتر مع جماعة من عسكر الإمام، وخرج حبيب بن مسلمة الفهري مع جماعة من عسكر معاوية، فاقتتلوا قتالاً شديداً جل النهار، ثم تراجعوا وأسفرت المعركة عن قتلى من الفريقين، ولم ينتصر فريق على فريق.

وخرج في اليوم الثاني هاشم المرقال من عسكر الإمام، ومن أهل الشام أبو الأعور السلمي، ومع كل منهما الخيل والرجال، فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل، والرجال على الرجال، وانصرفوا عن كثير من القتلى دون أن يتغلب فريق على آخر.

وفي اليوم الثالث برز عمار بن ياسر في عدة من المهاجرين والأنصار، وبرز عمرو بن العاص في عدة من أهل الشام، فأزال عمار عمراً عن موضعه، وألحقه بعسكر معاوية، وكان عمار يقاتل وهو يقول:

يا أهل الإسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله، وجاهدهما وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين، وأسلم راهباً غير راغب؟ ألا أنه معاوية بن أبي سفيان، وكانت الغلبة في هذا اليوم لجيش الإمام.

وفي اليوم الرابع برز محمد بن الحنفية في جماعة، وبرز إليه عبيد الله بن عمر في جماعة، وكانت الحرب في هذا اليوم على أهل الشام، ونجا ابن عمر هرباً.

وفي اليوم الخامس أخرج الإمام ابن عمه عبد الله بن العباس، وأخرج معاوية قريبه الوليد بن عقبة، وكانت الغلبة لعبد الله بن العباس. ولحق في هذا اليوم بعلي جماعة من جيش معاوية، فيهم بعض قبائل أهل الشام، فتألم معاوية، وفت ذلك في عضده، فقال له ابن العاص: إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً، له من محمد قرابة قريبة ورحم ماسة، وقدم في الإسلام، ونجدة في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمد، وانه قد سار إليك بأصحاب رسول الله المعدودين وفرسانهم وأشرافهم، وقدمائهم في الإسلام، ولهم في النفوس مهابة، ومهما نسيت فلا تنس أنك على باطل.

وفي اليوم السادس اقتتل أهل العراق بقيادة سعيد بن قيس الهمداني، وأهل الشام بقيادة ذي الكلاع، وانصرفوا آخر النهار لا غالب ولا مغلوب.

واقتتلوا في اليوم السابع، ثم في اليوم الثامن، وافترقوا في المساء ولم يظفر فريق بخصمه.

وفي اليوم التاسع خرج الإمام بنفسه، وخرج معاوية، وكان القتال على أشده، وجاهد أبو اليقظان عمار بن ياسر جهاد

المستميت، يضرب بسيفه، ويقول: هل من رائح إلى الله، الجنة تحت ظلال الأسنة، والله لو هزمونا، حتى بلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على حق، وأنهم على باطل.

واشتد العطش بأبي اليقظان، فاستسقى فأتته امرأة بعس من لبن، فشربه وقال: الله أكبر! الله أكبر!. اليوم ألقى الأحبة، محمداً وصحبه، صدق الصادق، وبذلك أخبرني، هذا هو اليوم الذي وعدت فيه ـ يشير إلى الحديث المشهور: يا عمار آخر شرابك ضياح من لبن، وتقتلك الفئة الباغية ـ وحمل عليه رجلان: أبو العادية الفزاري، وابن جون السكسكي وكان قد أثخن بالجراح، فطعنه الأول، واحتز رأسه الثاني، وقد بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة.

ولما صرع عمار حزن الإمام عليه، وغضب غضباً شديداً، وقال للأشتر: احمل أنت على الميسرة، وأحمل أنا على الميمنة، فحملا وكان الأشتر يفتك بالناس كذئب في غنم، والتقى بعمرو بن العاص، ولكن عمراً فر، ولم يثبت له، واختلط الجمع بالجمع، واشتد القتال، واضطربوا بالسيوف، وتطاعنوا بالرماح، وفي هذا اليوم استشهد هاشم المرقال حامل لواء أمير المؤمنين، وقتل ذو الكلاع حامل لواء معاوية.

قال المسعودي: لما وقع هاشم المرقال على الأرض، وهو يجود بنفسه رفع رأسه فإذا عبيد الله بن عمر بن الخطاب إلى قربه جريحاً، فحبا، حتى دنا منه، وعضه على ثدييه، وقد وجد ميتاً فوقه.

واستمر القتال طوال النهار والليل، وكانت هذه الليلة ليلة

الجمعة، وهي التي تسمى بليلة الهرير، وكان ابن عباس في الميسرة، والأشتر في الميمنة، وعلي في القلب، وكان الأشتر بين الحين والحين يسير فيما بين الميمنة والميسرة، ويأمر أهل العراق بالثبات والإقدام، وقد تحطمت في هذه الليلة السيوف، وتكسرت الرماح، ونفدت السهام، وتحاثوا بالتراب، وتكادموا بالأسنان، وتلاكموا بالأيدي، ومرت مواقيت أربع صلوات لم يسجدوا لله فيها سجدة، ولم يصلوا إلا بالتكبير والتهليل. قال المسعودي:

«قتل علي بكفه في يومه وليلته خمسمئة وثلاثة وعشرين رجلاً، ذلك أنه إذا ضرب كبر، وما ضرب إلا قتل» واستمر القتال على هذه الحال ثلاثة أيام بلياليها، ولما رأى الإمام كثرة القتلى قال لمعاوية: علام يقتتل الناس؟ أبرز إليّ، فأينا قتل صاحبه يكون الأمر له.

قال ابن العاص: أنصفك الرجل.

قال معاوية: طمعت فيها يا عمرو.

قال عمرو: أتجبن عن علي، وتتهمني في النصيحة؟.

قال معاوية: ليس مثلي يخدع عن نفسه، والله ما بارز علي رجلاً إلا سقى الأرض من دمه.

قال عمرو: والله لأبارزنه، ولو متُّ ألف ميتة.

وبرز عمرو، ولكن ما إن دنا من علي، حتى رمى نفسه عن فرسه، ورفع رجليه، وكشف عن سوأته، فصرف علي وجهه عنه، وكان لا ينظر إلى عورة أحد حياء وتكرماً. وقام عمرو معفراً بالتراب، هارباً على رجليه، لا يلوي على شيء. ولما وصل إلى معاوية قال له: أحمد الله وعورتك يا عمرو.

ولما أشرف جيش الإمام على الفتح، ولم يبق إلا ساعات،

قال معاوية لابن العاص: هلم مخبآتك يا بن العاص، هذا علي سيغدو علينا بالفيصل. وتذكر ولاية مصر. فقال ابن العاص: أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمح. وكانت المأساة التي يعرفها الجميع من انشقاق عسكر الشام ومهزلة التحكيم.

ومن السهل أن يصل الإنسان إلى غايته عن طريق الاحتيال والإجرام، ولكن ليس من السهل أن يظل كعلي بن أبي طالب، حياً في عقول الناس وضمائرهم، ورمزاً للفضائل مدى الحياة، ليس من السهل أن يحظى رجل بإعجاب العالم المتمدن وتقديره، بعد أن مرّ على وفاته أكثر من ثلاثة عشر قرناً، ليس من السهل أن تدين الملايين بأقواله، كما تدين بكتاب الله وسنة الرسول.

عدد القتلى:

قال المسعودي: قتل بصفين سبعون ألفاً، خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق.

وبالتالي، هل حيلة معاوية وابن العاص في رفعهما المصاحف كانت لصالح المسلمين؟! وهل مبادئ القرآن، وتعاليم الدين وأحكام الشريفة تسود وتحيا بخلافة الإمام، أو بسلطان ابن أبي سفيان؟!

وندع الجواب للخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حيث قال لعلي: والله لأن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح، والمحجة البيضاء[1] وقال المستشرق «أوسليزنز»: لو أنه سمح لعلي أن يحكم

(١) كتاب «السفيانية» للجاحظ، انظر أعيان الشيعة ج ٣ القسم الأول ص ٣٣٢ طبعة ١٩٦٠.

بسلام لكانت فضائله وصرامته، وسمو خلقه هي التي خلدت الجمهورية القديمة وأساليبها البسيطة[1].

وجاء في كتاب «ابطال الباطل» للفضل بن روزبهان الأشعري: إن عمر ابن الخطاب قال: «لو وليها علي حملهم على الحق الذي لا يطيقونه». وإذا كان الناس لا يطيقون الحق فكيف طاقوا حكم الخليفة الثاني أكثر من عشر سنين؟! وهل تحمل الناس حكمه وحكم معاوية، لأنهم يطيقون الباطل، ولا يطيقون الحق؟!

شمر وشبث:

كان شمرٌ ابن ذي الجوشن في جيش أمير المؤمنين يوم صفين، ونقل صاحب كتاب «سفينة البحار» عن كتاب «المثالب» لهشام بن السائب أن أم شمر مرت براعي معزى فواقعها، فحملت بشمر. ثم قال صاحب السفينة: ولذا قال له الإمام الحسين يوم كربلاء: «يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صليا».

ونقل صاحب السفينة عن ابن حجر في كتاب «التقريب» أن شبث بن ربعي كان مؤذن سجاح التي ادعت النبوة، ثم أظهر الإسلام، وأعان على عثمان، ثم انضم إلى جيش أمير المؤمنين يوم صفين، ثم خرج عليه مع من خرج من الخوارج، ثم ترك الخوارج، وأظهر التوبة، ثم انضم إلى جيش ابن زياد يقاتل الحسين في كربلاء، ثم كان مع من طالب بدم الحسين.

النهروان:

٨ ـ النهروان مكان بين بغداد وحلوان، وقد حصلت فيه الواقعة المعروفة بوقعة الخوارج سنة ٣٧هـ.

---

(١) كتاب «روح الإسلام» السيد أمير علي ص ٦٢٧.

وسببها أن أمير المؤمنين لما عاد من صفين انحرفت طائفة من جيشه في أربعة آلاف فارس، وهم العباد والنساك أصحاب الجباه السود، وقالوا للإمام: تب من خطيئتك في تحكيم الرجال.

فقال له الإمام: ألم أقل لكم: إن أهل الشام يخدعونكم بالمصاحف فإن الحرب قد عفتهم، فذروني أناجزهم، فأبيتم إلا التحكيم، وأردت أن أنصب ابن عمي عبد الله بن عباس حكماً فإنه رجل لا يخدع، فأبيتم إلا أبا موسى الأشعري، وقلتم رضينا به حكماً، فأجبتكم كارهاً، ولو وجدت أعواناً غيركم في ذلك لما أجبتكم، وشرطت على الحكمين بحضوركم أن يحكما بما أنزل الله تعالى في كتابه من فاتحته إلى خاتمته، وإن هما لم يفعلا فلا طاعة لهما.

فلم يسمعوا له، وانصرفوا عنه، وهم يقولون: لا حكم إلا الله، وأمروا عليهم رجلاً يلقب بذي الثدية، لأن يده كانت كثدي المرأة، عليها شعرات كشارب الهر.

ولقيهم العبد الصالح عبد الله بن خباب صاحب رسول الله، ومعه امرأته، وهي حامل، وكان في عنقه مصحف، فقالوا له: ما تقول في علي؟ قال: إن علياً أعلم بالله منكم، وأشد توقياً على دينه، وأنفذ بصيرة. قالوا: إنك على غير هدى، ثم أضجعوه وذبحوه، وأقبلوا إلى امرأته فقالت: أنا امرأة فاتقوا الله، فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء.

وبعد أن فعلوا هذا ذهبوا إلى نصراني يملك بستاناً بالقرب منهم، وطلبوا منه أن يبيعهم ثمرات نخلة، فقال: هي لكم بدون ثمن، فقالوا:

ما كنا نأخذ إلا بالثمن. فقال: واعجباه! أتقتلون مثل عبد الله بن خباب، ولا تقبلون جنى نخلة إلا بثمن!.. ومن غرائبهم أنهم أنكروا على رجل منهم قتل خنزيراً، وقالوا له: إنك تسعى في الأرض الفساد، هذا بعد أن ذبحوا صاحب رسول الله، وبعد أن مثلوا بزوجته الحامل، وبعد أن قتلوا ثلاث نسوة من المسلمات البريئات!..

هذه صورة تاريخية تعبر عن معنى الإيمان عند أصحاب الجباه السود، وأنهم في الأعم الأغلب يحجمون عما لا يجب الإحجام عنه، ويقدمون على كبائر الإثم، تماماً كالذي استحل دم الحسين عليه السلام واستشكل في دم البعوضة!..

الدعوة إلى السلم:

أرسل إليهم الإمام الحارث بن مرة العبدي يدعوهم إلى الكف عن القتال، فقتلوه، وخالفوا كل شريعة وعرف في معاملة الرسول، وعدم التعرض له بسوء، وأرسل إليهم ابن عمه عبد الله بن العباس، فخاصمهم بالحجة والمنطق، وكشف عن جهلهم وأخطائهم، فأصروا على الجهالة والعماية. فكلمهم الإمام بنفسه، وذكرهم ثانية بنهيه عن قبول التحكيم، وإصرارهم عليه ثم قال لهم: لقد ركبتم عظيماً من الأمر، تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين، فلم ينجح ذلك فيهم.

القتال:

لما أبى الخوارج إلا القتال وقف الإمام بجيشه جانباً، ولم يحرك ساكناً فرموه بالسهام، فقال له أصحابه: قد رمونا، ماذا تنتظر؟ قال: كفوا عنهم، فكرروا الرمي، فقال: كفوا. فأعادوه،

حتى أتى أصحابه برجل قتيل متشحط بدمه، فقال: الله أكبر الآن حل قتالهم.

وقبل أن يحمل عليهم نصب راية مع أبي أيوب الأنصاري، ونادى من جاء هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة أو المدائن فهو آمن. وكانوا أربعة آلاف، فانصرف منهم ألف ومئتان، وبقي ألفان وثمانمائة. وكان الإمام قد أخبر أصحابه بأنه لا يفلت منهم عشرة، ولا يقتل منكم عشرة. ثم قال: احملوا على القوم، فحملوا عليهم حملة رجل واحد. وما هي إلا ساعات حتى انتهت المعركة، وكان الأمر كما قال الإمام، هرب من الخوارج تسعة، وقتل من أصحابه تسعة. وكان ذو الثدية فيمن قتل.

قال المسعودي وغيره: إن بعض أصحاب الإمام قال: قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر. فقال الإمام: كلا، والذي نفسي بيده، إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء[1].

هذا مجمل حروب الإمام مع النبي وبعده، وكلها لله وفي الله، حارب مع النبي لإحياء الدين ونشره، وحارب بعده لتثبيته والذب عنه، ورد المعتدين عليه، وكل منهما لا يقل خطراً عن الآخر، أو جزء متمم لصاحبه، ولكن في حروب الإمام بعد النبي ظاهرة تستلفت النظر، وهي أن أصحاب الجمل وصفين عملوا جاهدين على قتل عثمان، أو خذلوه ولم يناصروه على الأقل، ثم رموا الإمام بدمه، وهم يعلمون أنه بريء منه براءة الشمس من

(١) وقد وجدوا في كل عصر، ويوجد منهم الآن في طرابلس الغرب، وفي زنجبار، ووطنهم الأصلي عمان الذي تقوم الثورة فيه الآن بينهم وبين الإنكليز، ولهم كتب في الفقه والحديث.

الدنس وحاربوه على فعلتهم وجريمتهم، وكذا الخوارج أصروا على التحكيم، ثم خرجوا على الإمام يقاتلونه من أجله.

والسر في ذلك أن حروب الإمام ليست بظاهرها كحروب النبي ضد الشرك والمشركين، وإنما هي حرب ضد اللصوص وقطاع الطرق كحرب أهل الجمل وصفين، أو ضد الجهلة الذين يحرمون قتل الخنزير، ويستبيحون ذبح الأتقياء والأبرار، وبقر بطون النساء الحبالى، وماذا لدى اللص غير الاحتيال والنفاق، ورمي الأبرياء بالتهم؟! وأية حجة عند الجاهل غير التهافت والتناقض؟!

جاء في الأساطير أن موسى ابن عمران قال لإبليس:

ما رأيك أن أسأل لك الله الرضا عنك على أن تستغفر وتتوب؟

قال إبليس: أنا أتوسط بك إليه، كي يرضى، بل عليه هو أن يتوسط بك إلي، كي أرضى؟

قال موسى: ولِمَ ذاك؟

قال إبليس: أمرني أن أسجد لآدم، فقلت له: أنا أسجد لك ولا أسجد لأحد سواك، فأي شيء في قولي هذا أُعاقب عليه؟!

وهذا بالذات منطق أتباع إبليس الذين خرجوا على الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام.

الخضري والتباني

الصدفة:

حين وضعت تصميم كتابي هذا لم يخطر في بالي الشيخ محمد الخضري، وتهجماته على أمير المؤمنين وأبنائه في كتاب «المحاضرات»، ولكنها الصدفة، وكم للصدفة من فوائد ومنافع، أقول الصدفة، وأنا على يقين بأنها عون من الله سبحانه، وتيسير منه للأسباب والظروف الملائمة، وقد أبى الله إلا نشر الحق، وإعلاء كلمته، وإلا خذلان الباطل وأهله والكشف عن سوآتهم وعوراتهم، ولو بعد حين، وقد يسر لي جل شأنه الاطلاع على كتاب ضخم لم أسمع به من قبل، ولم أعرف عنه شيئاً، وهو السبب لكتابة هذا الفصل.

حكاية هذا الفصل:

من عادتي أن أنهض في الصباح الباكر، فأشرع بالكتابة إلى أن تدخل الساعة العاشرة ـ في الغالب ـ فأترك القلم، وانصرف إلى المكتبات أبحث وأنقب عما جد فيها من كتب، فإذا وقع نظري على اسم كتاب لا عهد لي به تناولته مهما يكن الاسم، وقرأت ـ قبل كل شيء ـ الفهرست وعناوين الموضوعات، فإذا رأيت عنواناً لموضوع مثمر، أستفيد وأفيد من قراءته تصفحته بصورة مجملة،

أتبين نظرة المؤلف إلى الموضوع، ومدى تفكيره، والهدف الذي يرمي إليه، فإذا بدا لي أن فيه شيئاً مما أردت اشتريته بدون تريث، وبأي ثمن، وحملته عائداً إلى غرفتي، واستأنفت القراءة أو الكتابة إلى نصف الليل أو بعده حسب ما تستدعيه طبيعة الموضوع من طول الوقت أو قصره.

وبالأمس القريب، وقبل أن أنتهي من كتابة الفصل السابق «حروب الإمام» وقع نظري، وأنا في مكتبة دار الثقافة، على مؤلف كتب على غلافه بالخط العريض: «تحذير العبقري من محاضرات الخضري. أو إفادة الأخيار ببراءة الأبرار. تأليف العلامة المؤرخ الثقة الثبت الشيخ محمد العربي التباني. المدرس بمدرسة الفلاح والحرم الملكي».

فتناولته، ونظرت في الفهرست ـ كالمعتاد ـ وإذا به يستغرق ٤٨ صفحة في أسماء الفصول والموضوعات التي حواها الكتاب، منها ـ إفتراء الخضري على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ يزيد خليفة مقدس عند الخضري وعلي بن أبي طالب ليس بخليفة ـ طعن الخضري بالحسين وكذبه على التاريخ ـ شدة شكيمة أبي طالب في حماية النبي ـ التهويش والتدليس والكذب على النبي لرفعة معاوية ـ عزل علي لمعاوية مثل عزل عمر لخالد ـ تلون الخضري وتناقضه وتمسكه بالأقوال الباطلة في بيعة علي ـ عداوة حمقاء ظاهرة لأبي الحسن وأولاده ـ ظهرت خوارق بعد قتل الحسين رواها علماء الأثر ـ ومثل ذلك كثير وكثير.

وقبل أن أنتهي من قراءة الفهرست، وقبل أن أنظر في صفحة واحدة من صفحات الكتاب دفعت الثمن دون مساومة أو مراجعة،

وذهبت به، وأنا أشعر بأني أسعد إنسان، تماماً كما يشعر البائس المحتاج إذا أتاه الرزق الواسع من غير احتساب، وهل أطمع في شيء أكثر من أن يرد عالم من علماء السنة افتراءات الخضري بالأدلة القاطعة والسنة الثابتة عندهم وعند الشيعة؟!. وهل لي من أمل ـ وأنا أكتب عن فضائل علي ـ إلا أن أفحم المعاندين بالعلم وقول الفصل؟!. فلك الحمد على ذلك يا متم الحجة على من جحد وعاند.

الخضري:

عاش الشيخ الخضري في أوائل هذا القرن العشرين، وكان من شيوخ الأزهر وكبار علمائه، وكان مؤلفاً معروفاً، ومدرساً بالجامعة المصرية، تماماً كتلميذه الشيخ أبي زهرة ـ اليوم ـ وإن كانت مؤلفات التلميذ أكثر عدداً، وأقل تعصباً.

ومن مؤلفات الخضري «المحاضرات» يقع في جزأين، وهو في التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية والدولة العباسية، وكان يدرس بالجامعة المصرية، وقد اعتمد عليه كثيرون من أساتذة التاريخ، وبعض المؤلفين وانتشر في الأوساط وطبع سبع مرات، وفي هذا الكتاب كثير من الأخطاء التاريخية، والتعصب البغيض ضد أهل بيت الرسول الأعظم، كما رأيت من العناوين، فقد تحامل عليهم وعلى شيعتهم، لا لشيء إلا لأنهم من البيت المحمدي، لا من البيت السفياني، وإلا لأن فيهم شمائل محمد بن عبد الله ﷺ، لا شمائل أبي سفيان وزوجته هند. ومضت السنون الطوال دون أن نقرأ رداً مفصلاً يكشف عن جميع تلبيسات الخضري وبدعه، حتى قام بهذه المهمة الشيخ محمد العربي التباني.

التباني

الشيخ محمد العربي التباني أصله من الجزائر، ويقيم الآن في مكة المكرمة، وهو من كبار العلماء في الحجاز، وله حلقة درس بالحرم المكي الشريف، وعدة مؤلفات منها «تحذير العبقري من محاضرات الخضري» في مجلدين كبيرين، واسم الكتاب يدل عليه، وقد نعت فيه الشيخ الخضري بأقبح النعوت، ووصف أقواله «بالخيانة والغش، والهراء والتدليس والتناقض والتلون والأكاذيب والأباطيل والوقاحة والسفاهة والنصب لعلي بن أبي طالب» وما إلى ذلك.

وقرضه جماعة من علماء مصر والحجاز، وهم الشيخ محمد يحيى أمان العضو بالمحكمة الشرعية بمكة، والشيخ حسن مشاط العضو بالمحكمة المذكورة والسيد إسحق عزوز العضو في مجلس الشورى بمكة، والسيد محمد أمين كتبي، المدرس بكلية المعلمين، والشيخ محمد نور سيف المدرس بالمسجد الحرام، والسيد علي المالكي المدرس بالمسجد المذكور، والسيد يوسف عبد الرزاق من علماء الأزهر والمدرس بكلية أصول الدين، ومما قاله هؤلاء في وصف المؤلف التباني: «العالم الجليل والعلامة الدراكة الشهير المؤرخ المحدث المفسر النحوي اللغوي الكبير، شهرته تغني عن ذكره».

تناقضات التباني

أخذ الشيخ التباني على الشيخ الخضري مآخذ كان في بعضها عادلاً وموفقاً في نصرة الحق، والذب عن الدين وأهله، ولكنه في الوقت نفسه وقع من حيث لا يشعر في أخطاء كثيرة، كمتناقضات الخضري أو تزيد:

«منها» قوله إن أبا بكر أشجع أصحاب الرسول (ص١٠٠ ج٢) ولكنه لم يذكر لنا شاهداً واحداً على هذه الشجاعة، لم ينقل هو ولا غيره أن أبا بكر قتل مشركاً واحداً، على الرغم من حضوره مع النبي في حروبه...

والغريب أن الشيخ التباني الذي زعم أن أبا بكر أشجع الأصحاب قال: سمع يوم أحد منادياً ينادي: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي» وأن النبيﷺ بعث يوم خيبر أبا بكر، فعاد ولم يفتح، وبعث عمر، فعاد، ولم يفتح، فقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار، فأعطاها علياً، ففتح الحصن، وتترس ببابه الذي عجز عن قلبه ثمانية من الأصحاب ـ كما قال التباني ـ وقتل مرحباً (ص١٦٤ ج١ وص١٠٢ ج٢).

عجز أبو بكر عن فتح الحصن، وفتحه علي، وعجز الجميع عن قتل مرحب، وقتله علي، ولم يستطع ثمانية من الأصحاب أن يقلبوا الباب، ورفعه علي بيد واحدة، وتترس به ـ كما قال التباني ـ ومع ذلك كله فأبوا بكر ـ عند التباني ـ أشجع الأصحاب بما فيهم علي.. أتدرون لماذا؟! أبداً لا لشيء إلا لأن أبا بكر كان الخليفة الأول، فيجب أيضاً أن يكون أولاً في الشجاعة، وأولاً في العلم، وأولاً في الإيمان!.

و«منها» قوله في ص٦٩ ج٣ «علي أفضل الصحابة بعد الخلفاء الثلاثة».

وهذا يناقض قوله في ص١٠٠ ج٢:

«قال الإمام أحمد بن حنبل والنسائي والقاضي إسماعيل وأبو

علي النيسابوري: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي من المناقب، ولم يرد في حق أحد منهم بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي، وتتبع الإمام النسائي ما خص به من دون الصحابة فجمع منه شيئاً كثيراً بأسانيد، أكثرها جياد، وسماها خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو مطبوع».

وأيضاً يتنافى مع اعترافه بأن النبي قال «أنا مدينة العلم، وعلي بابها» وأن عمر قال: «لولا علي لهلك عمر. أقضانا علي»[1] (ص١١ و١٦ و١٧ و١٠٤ ج٢).

يشهد لعلي بالتقدم والأفضلية النبي وأصحابه والأئمة وأصحاب الصحاح والعلماء، ومع ذلك يأتي علي في الفضل بعد الخلفاء الثلاثة، حتى كأنه قال وشهد على نفسه بأن «لولا عمر لهلك علي».. ولماذا؟! لأن الثلاثة تقدموا في الحكم، فيجب أن يكونوا مقدمين في العلم والشجاعة والسابقة، وفي كل شيء حتى في الفصاحة والبلاغة!

و «منها»: أي تناقضات التباني قوله إن معاوية وطلحة والزبير وعائشة مجتهدون ومعذورون في قتالهم علي بن أبي طالب[2] وص ٤٨ و٥١ و٧٤ ج٢).

ولا أدري: كيف يجتمع هذا الاعتذار من التباني مع ما جاء في كتابه (ص٢٣٤ ج٢) أن النبي قال: «يا علي ستقاتلك الفئة

---

(١) قال الراغب الأصبهاني في الجزء الأول من «محاضرات الأدباء» ص ٩٦ طبعة ١٩٦١ «ان أول من خاطب بأطال الله بقاءك عمر بن الخطاب قالها لعلي بن أبي طالب».

(٢) الملاحظ أن الخضري يخطيء الفريقين المتحاربين في وقعة الجمل والتباني يبرد أعمالهما معاً.

الباغية، وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني». وإذا كان المحايد الذي لم يناصر علياً ليس من النبي في شيء، فكيف بمن أعلن عليه الحرب والقتال؟! وهل لمن تبرأ منه النبي عذر؟! وهل لمن قال له النبي: لست مني، أن يجتهد ويعمل برأيه ضد الله ورسوله؟!.

ونقل الشيخ التباني عن النبيﷺ أنه قال «عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار. إن عماراً مليء إيماناً أيتكن صاحبة الجمل الأدبب؟ تخرج ـ أي عائشة ـ حتى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثير.. إنك يا علي تقاتل على تأويله، كما قاتلت على تنزيله.. اللهم أدر الحق مع علي حيث دار.. يا زبير تقاتل علياً وأنت له ظالم (ص٢٥٥ ج١ و٨ و٩ و٤٥ ج٢).

ومع اعتراف الشيخ التباني بهذه الأحاديث، وصحتها والإيمان بها فقد اعتذر عن أصحاب الجمل وصفين بأنهم مجتهدون معذورون! إن الاجتهاد مع وجود هذه الأحاديث تماماً كالاجتهاد في جواز ترك الصلاة والزكاة مع وجود الآية الكريمة: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ وكالاجتهاد في تحليل الزنا مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ﴾.

هذا، إلى أن قول الرسول الأعظم: «علي مع الحق يدور معه حيث دار» يثبت بأن محاربة علي تماماً كمحاربة النبي، ومن هنا قال: «يا عليّ حربك حربي، وسلمك سلمي» فإذا اعتذر معتذر عمن حارب علي جاز لغيره أن يعتذر عمن حارب النبي، والفرق تحكم. ولا شيء أدل على تناقضات التباني من أنه جمع في كتاب واحد

بين قوله أصحاب الجمل وصفين معذورون، وبين قوله في ص٢٠٩ ج١ «إن أصحاب صفين رفعوا المصاحف مكيدة، لأنهم أشرفوا على فضيحة الهزيمة الكبرى» إذن يصدق على أهل صفين قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾.

ومن أطرف تناقضات الشيخ التباني شكه في نسبة نهج البلاغة إلى الإمام، لأن جامعه الشريف الرضي، وهو «رافضي إمامي معتزلي» كما قال في (ص١١٢ ج٢) وصغار الطلبة يعرفون أن الإمامي غير المعتزلي، لأن الإمامية يقولون بوجود النص من النبي على خليفته، والمعتزلة ينكرون ذلك، ومن أدلة التباني على عدم الأخذ برواية الإمامي أن ابن عساكر رد بعض الرواة لأنه «رافضي ليس بثقة» وكذا ابن عدي رده، لأنه «شيعي محترق». (ص٦٢ ج٢).

ومن أدلة الشيخ التباني على إنكار نهج البلاغة أن بعض خطبه تشعر بعدم رضا الإمام بخلافة الثلاثة، والحال أنها كانت بقضاء الله وقدره، وعلي يرضى بقضاء الله وقدره، فهو يرضى بخلافتهم.. (ص١٢٣ ج٢). وقس على هذا المنطق بقية ما أورده من الأدلة في هذا الباب.

وفي كتاب الشيخ التباني تناقضات كثيرة من هذا النوع، وردود ضعيفة واهية، بخاصة رده على الشيعة، فإنه مجرد جهل وتعصب موروث أباً عن جد، ولا شيء أدل على ذلك من هذا الاجترار والتكرار، يردده اللاحق تقليداً للسابق، وكذا نحن رددنا أجوبة السلف مكرهين غير مختارين، ومهما يكن، فإن الرد على التباني يعرف من ردنا على الخطوط العريضة في الفصل الآتي،

ومما ذكرناه في آخر كتاب «الشيعة والحاكمون» بعنوان «كتاب السفياني».

وبالتالي، فالذي يهمنا من كتاب «تحذير العبقري» هو رد الشيخ التباني المكي على الشيخ الخضري المصري، وهو والحق أكثر نجاحاً في رده على هذا الشيخ من بقية أقواله، ولا دليل لدينا إلا إحالة القارىء إلى الكتاب.

علي والأمة

قال الخضري: لم يصف الأمر للخليفة الرابع علي بن أبي طالب، لأنه قام في وجهه نصف الأمة غير متأثر من تلك الدعوة التي قصد منها إقرار الأمر في نصابه من بيت النبوة. وكان هناك تصادم بين الرأيين، وقد غلبت القوة وحسن السياسة رأي التخصيص بالقرابة، حيث انتهى الحال بظفر معاوية بالخلافة، وهو من بني أمية، وليس من بني هاشم.

قال التباني في رده: إن قوله: قام في وجه علي نصف الأمة كذب واضح يدركه كل مسلم، فإن أهل الشام لم يكونوا ربع الأمة التي بايعت علياً (ص٢٠٨ ج١).

وقال التباني: خرج علي في سبعين ألفاً، فيهم تسعون بدرياً، وسبعمائة من أهل بيعة الرضوان، وأربعمائة من سائر المهاجرين والأنصار، وخرج معاوية في خمسة وثمانين ألفاً ليس فيهم من الأنصار إلا النعمان بن بشير، ومسلمة بن مخلد. وعلي لم يخرج إلا بجيش العراق، أما باقي رعيته كالجزيرة العربية، واليمن وحضرموت وعمان ومصر وفارس فلم يجند منها شيئاً، بينما معاوية خرج بجيش أهل الشام، ولا سلطان له على غيرها. (٢٠٨ و٢٣٤ ج١).

بين قوله أصحاب الجمل وصفين معذورون، وبين قوله في ص٢٠٩ ج١ «إن أصحاب صفين رفعوا المصاحف مكيدة، لأنهم أشرفوا على فضيحة الهزيمة الكبرى» إذن يصدق على أهل صفين قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾.

ومن أطرف تناقضات الشيخ التباني شكه في نسبة نهج البلاغة إلى الإمام، لأن جامعه الشريف الرضي، وهو «رافضي إمامي معتزلي» كما قال في (ص١١٢ ج٢) وصغار الطلبة يعرفون أن الإمامي غير المعتزلي، لأن الإمامية يقولون بوجود النص من النبي على خليفته، والمعتزلة ينكرون ذلك، ومن أدلة التباني على عدم الأخذ برواية الإمامي أن ابن عساكر رد بعض الرواة لأنه «رافضي ليس بثقة» وكذا ابن عدي رده، لأنه «شيعي محترق». (ص٦٢ ج٢).

ومن أدلة الشيخ التباني على إنكار نهج البلاغة أن بعض خطبه تشعر بعدم رضا الإمام بخلافة الثلاثة، والحال أنها كانت بقضاء الله وقدره، وعلي يرضى بقضاء الله وقدره، فهو يرضى بخلافتهم.. (ص١٢٣ ج٢). وقس على هذا المنطق بقية ما أورده من الأدلة في هذا الباب.

وفي كتاب الشيخ التباني تناقضات كثيرة من هذا النوع، وردود ضعيفة واهية، بخاصة رده على الشيعة، فإنه مجرد جهل وتعصب موروث أباً عن جد، ولا شيء أدل على ذلك من هذا الاجترار والتكرار، يردده اللاحق تقليداً للسابق، وكذا نحن رددنا أجوبة السلف مكرهين غير مختارين، ومهما يكن، فإن الرد على التباني يعرف من ردنا على الخطوط العريضة في الفصل الآتي،

ومما ذكرناه في آخر كتاب «الشيعة والحاكمون» بعنوان «كتاب السفياني».

وبالتالي، فالذي يهمنا من كتاب «تحذير العبقري» هو رد الشيخ التباني المكي على الشيخ الخضري المصري، وهو والحق أكثر نجاحاً في رده على هذا الشيخ من بقية أقواله، ولا دليل لدينا إلا إحالة القارىء إلى الكتاب.

علي والأمة

قال الخضري: لم يصف الأمر للخليفة الرابع علي بن أبي طالب، لأنه قام في وجهه نصف الأمة غير متأثر من تلك الدعوة التي قصد منها إقرار الأمر في نصابه من بيت النبوة. وكان هناك تصادم بين الرأيين، وقد غلبت القوة وحسن السياسة رأي التخصيص بالقرابة، حيث انتهى الحال بظفر معاوية بالخلافة، وهو من بني أمية، وليس من بني هاشم.

قال التباني في رده: إن قوله: قام في وجه علي نصف الأمة كذب واضح يدركه كل مسلم، فإن أهل الشام لم يكونوا ربع الأمة التي بايعت علياً (ص٢٠٨ ج١).

وقال التباني: خرج علي في سبعين ألفاً، فيهم تسعون بدرياً، وسبعمائة من أهل بيعة الرضوان، وأربعمائة من سائر المهاجرين والأنصار، وخرج معاوية في خمسة وثمانين ألفاً ليس فيهم من الأنصار إلا النعمان بن بشير، ومسلمة بن مخلد. وعلي لم يخرج إلا بجيش العراق، أما باقي رعيته كالجزيرة العربية، واليمن وحضرموت وعمان ومصر وفارس فلم يجند منها شيئاً، بينما معاوية خرج بجيش أهل الشام، ولا سلطان له على غيرها. (٢٠٨ و٢٣٤ ج١).

وقال التباني: إن قول الخضري غلبت القوة وحسن السياسة تكذيب للتاريخ ووقاحة، ولأن التاريخ نقل أن جيش معاوية رفعوا المصاحف مكيدة لما أشرفوا على فضيحة الهزيمة الكبرى، وأن القتل فيهم كان أكثر من جيش علي... ولم ينقل مؤرخ ينتمي إلى الإسلام أن علياً كان مسيئاً في سياسته، ولم ينقل مؤرخ مسلم أن معاوية ظفر بالخلافة، وتسمى بها على المسلمين عموماً مدة حياة علي، بل ولا مدة ابنه الحسن، وهذا المحاضر لا يستحي من كثرة الكذب والبهتان (ص٢٠٩ و٢٠١ ج١).

وقال الخضري: ولما جاء دور علي قام جماعة من أهل المدينة والثوار من الآفاق فبايعوه بالخلافة.. وكان معظم الأمة عليه.

قال التباني: هذا كذب وتدليس وتذبذب وتخبط ونصب لحيدرة (ص٢٢٨ ج١) فقد اجتمع على بيعة علي المهاجرون والأنصار، بل أجمعت الأمة على بيعته ورضيت بها ما عدا معاوية ومن معه، أما سعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة فلم يتخلفوا عن بيعته، وإنما تحرجوا من قتال المسلمين، وقد صح عن سعد وابن عمر أنهما ندما عن نصرته لما قتل عمار، وقال ابن عمر: ما آسى على شيء ءلا على أن لا أكون قاتلت الفئة الباغية، هذا إلى أن أبا بكر وعمر وعثمان لم يبايعهم إلا أهل المدينة (ص٣٢٨ و٢٣٥ ج١ وص٦ و٧ و١٣ ج٢).

قال الخضري: حين بويع علي اضطرب الحبل في جميع الأمصار الكبرى الإسلامية.

قال التباني: هذا كذب مكشوف، فلم يقل أي مؤرخ مسلم،

ولو ناصبياً: إن حبل الأمة اضطرب في جميع الأمصار الكبرى، لا قبل بيعة حيدرة، ولا بعدها. (ص٣٥ ج٢).

قال الخضري: لم يكن المراد من حرب صفين الوصول إلى تقرير مبدأ ديني، أو رفع حيف حل بالأمة، وإنما كانت لنصرة شخص على شخص، فشيعة علي ينصرونه لأنه ابن عم رسول الله ﷺ وأحق بولاية الأمر.

قال التباني: هذا كذب على التاريخ، لأن الذين نصروا علياً نصروه أولاً لأنه إمام عادل قد لزمتهم بيعته وطاعته، فوجب عليهم نصره والمدافعة عنه بمقتضى ذلك، وكونه ابن عم رسول الله وأحق الناس بالولاية أمر ثانوي مفروغ منه مؤكد لاستحقاقه الإمامة. (ص٦٩ ج٢).

علي وأصحاب الجمل

قال الخضري فيما يتعلق بوقعة الجمل: «لم يكن عند علي بن أبي طالب من الأناة ما يمكنه من المصابرة حتى يلتئم هذا الصدع.. والنتيجة أن تبعة حرب الجمل تقع على الفريقين» أي على علي وأصحاب الجمل.

وقال التباني في رده: إن قوله «لم يكن عند علي من الأناة» وقاحة وتكذيب للتاريخ، كأنه يريد منه أن يقعد في بيته، ويترك رعيته في الفوضى يضرب بعضها بعضاً، ولا ينظر فيما أوجبه الله عليه من مصالحها، وقد تأتى بإرسال السياسي المحنك أحد أبطال الإسلام القعقاع ابن عمرو إلى طلحة والزبير وعائشة، فناظرهم حتى أقنعهم بالحجة، وتبين لهم وجه الخطأ (ص٥١ ج٢).

وقد ثبت بدليل الدين أن علياً كان إماماً عادلاً، وأن من خرج عليه باغ، وأن قتاله واجب، حتى يفيء إلى الحق (ص٣٨ ج٢). وثبت أن النبي ﷺ قال للزبير: تقاتل علياً وأنت له ظالم (ص٤٥ ج٢).

وقال الحافظ ابن حجر: أخرج الطبري بسند صحيح أن الأحنف ابن قيس قال: لقيت طلحة والزبير فقلت: إني لا أرى عثمان إلا مقتولاً، فمن تأمراني به؟ قالا: علي. فقدمت مكة فلقيت عائشة فقلت لها: من تأمرني به؟ قالت: علي. قال الأحنف فرجعنا إلى المدينة، فبايعت علياً، ورجعت إلى البصرة فبينما نحن كذلك إذ أتاني آت، فقال هذه عائشة وطلحة والزبير يستنصرون بك، فأتيت عائشة فذكرتها بما قالت لي، ثم أتيت طلحة والزبير فذكرتهما. (ص٥٣ ج٢).

علي وأهل صفين

قال الخضري: ممن يترقب الخلافة، ويرى نفسه أهلاً لها معاوية، فقام بأهل الشام معلناً أنه مخالف لعلي، لأن بيعة علي ليست بصحيحة.

وقال التباني: قد ثبت عن الفاروق الذي يقدسه الخضري دون سائر الصحابة أنه قال إن الخلافة لا تحل للطلقاء، ولا لأبنائهم، وإنما هي لأهل السبق إلى الإسلام من قريش، ومعاوية وأبوه من الطلقاء... ومعاوية لم يقل لعلي بيعتك غير صحيحة، ولم ينازعه فيها (٢٢٩ ج١).

وقال الخضري: في نظرنا أن خلافة معاوية وبيعته لم تنقص الشكل عن بيعة علي.

قال التباني: هذا نظر فاسد، وكذب على التاريخ، وغش للقراء.. لقد انعقدت خلافة علي باتفاق أهل الحل والعقد، ودلت عليها الأحاديث منها قول النبي لعلي: أنك تقاتل الناكثين، والمارقين والقساطين ومنها قوله لعمار تقتلك الفئة الباغية. وقال أحد شيوخ البخاري، وهو يحيى بن سليمان الجعفي: إن أبا المسلم الخولاني قال لمعاوية: أنت تنازع علياً في الخلافة؟!. أأنت مثله؟!. قال: لا، وإني أعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن عثمان قتل مظلوماً. (٢٣٢ و٢٣٣ ج١).

ولو كان معاوية صادقاً في طلب دم عثمان لطلبه من ابن العاص، فقد نقل التباني في ٥٤ ج٢ عن ابن الأثير والطبري أنه لما عزل عثمان عَمْراً بن العاص عن مصر، قدم المدينة، وجرت بينه وبين عثمان محاورة افتخر فيها بأبيه على عثمان، وغضب عليه، وصار يحرض الناس عليه، ثم خرج إلى منزله بفلسطين، وهو دائب على تأليب الناس عليه، حتى قال عن نفسه: والله إني كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان، ولما بلغه حصره سره ذلك، وقال كلاماً لا يليق ذكره.

علي يحاسب ومعاوية يتساهل

قال الخضري: كان معاوية يتساهل بعض الشيء لرؤساء أجناده، ويفيض عليهم من العطاء ما يجعل رقابهم خاضعة له.. وعلي يحاسبهم على النقير والقطمير في وقت هو محتاج إليهم.

قال التباني: إن كان هذا العطاء من الجود بماله الخاص فعلي أسخى منه، وإن كان هذا التساهل من العدل فعلي عنده منه أضعاف ما عند معاوية، وإن كان من المداراة من نمط ما يعطي

لمن يغضب بالنهار، ويرضى بالليل فليس عند علي. كان مالك بن هبيرة الكندي من كبار قواد معاوية، ولما أراد معاوية قتل حجر استشفع مالك لابن عمه فلم يشفعه، فغضب مالك، فلما جاء الليل أرسل له معاوية مئة ألف فرضي، وليس عند علي شيء من ذلك.

وإذا حاسب علي عماله فقد حاسبهم من قبله رسول الله والخلفاء، فالطعن فيه طعن فيهم (ص١٣٧ و١٣٨).

ابن عباس

قال الخضري: تغير قلب ابن عباس على علي، فترك البصرة ـ وكان والياً عليها ـ وذهب إلى مكة، لأن علياً يحاسب على النقير والقطمير.

قال التباني: هذا غير صحيح، فقد جزم الحافظ ابن حجر في ترجمة ابن عباس بكتاب الإصابة بأنه لم يزل والياً على البصرة، حتى قتل علي.. وكذلك ابن كثير في بدايته قال: لم يزل ابن عباس على البصرة، حتى مات علي. (ص١٣٩ ج٣).

إذن حديث اختلاس ابن عباس ما تحت يده من المال، وذهابه إلى مكة كذب وافتراء.

ثم قال الشيخ التباني: ثبت في الصحيح أن النبي دعا لابن عباس، وقال اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل. وقال المهاجرون لعمر: ألا تدعو أبناءنا لمجلسك كما تدعو ابن عباس؟! فقال: ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول، وقلب عقول. وقال ابن مسعود: لو أدرك أبناءنا ما عاشره منا أحد، ولنعم ترجمان القرآن ابن عباس. وقال مسروق: إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل

الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس.

واستعمله عثمان أميراً للموسم، فخطب الناس، وجعل يفسر سورة النور فقال رجل: لو سمعت هذا فارس والروم لأسلمت. وحضر غزو إفريقيا فتكلم مع ملكها، فقال الملك لابن عباس: ما ينبغي إلا أن تكون حبر العرب فلقب الحبر، ويلقب أيضاً، ترجمان القرآن.

وشتمه رجل، فقال له: إنك تشتمني، وفي ثلاث: إني أسمع بالحاكم يعدل، فأحبه، ولا حاجة لي عنده أبداً، وأسمع بالغيث يصيب البلاد، فأفرح به، وما لي بها سائمة ولا زرع، وآتي على آية من القرآن فأحب أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم. (ص١٤٣ ج٢).

الأمويون

يحاول الخضري أن يساوي بين الهاشميين والأمويين في المكانة، وأن يوجد شيئاً من لا شيء، وأن يطفىء نور الله بالأقوال والتلاعب بالألفاظ، فمن أقواله كان أبو طالب كبير بيته (أي لا سيد قريش).

وكان أبو سفيان رجلاً عظيماً في نفسه ذا شرف، قال رسول الله يوم فتح مكة: من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فسوى بين بيته وبيت الله، وهذا شرف عظيم لم ينل أحد مثله للآن.

وقال التباني في جوابه: هذا تهويش وتلبيس قصد من ورائه

أن يرفع مقام معاوية.. إن أبا طالب لم يكن كبير بيته، بل كان سيد قريش مرموقاً من إشرافهم بعين الإجلال والتوقير، مع كونه فقيراً، وقد قال معاوية بن أبي سفيان يخاطب عمراً بن العاص:

نجوت وقد بل المرادي سيفه من ابن شيخ الأباطح طالب

وقد زاد شرفه، وشدة شكيمته على قريش دفاعه عن الرسول الأعظم، ثم ذكر التباني قصيدة أبي طالب التي يقول فيها:

كذبتم وبيت الله نبذي محمدا ولما نطامن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وقال التباني: وقول الخضري كان أبو سفيان رجلاً عظيماً في نفسه تهويش لا معنى له، لأن الشرف والعظمة لا تكون إلا بالتقوى والتفقه في الدين، وقال المفسرون: إن هذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ نزلت بالأفجرين بني مخزوم وبني أمية، فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، وأما بنو مخزوم فأهلكوا يوم بدر.

أما قول النبي من دخل دار أبي سفيان فهو آمن فلا دلالة فيه على الشرف والمكانة، فالنبي قال أيضاً: من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن أغمد سيفه فهو آمن، بل أوصى جيشه أن لا يقاتلوا أحداً إلا من قاتلهم، وهذا أمان لكل مشرك قرشياً كان أو غير قرشي، ولو لم يدخل بيتاً، فأي شرف إذن لبيت أبي سفيان؟! هذا، إلى أن أبا سفيان من المؤلفة قلوبهم، حيث ساوى النبي بينه وبينهم في غنائم هوازن يوم حنين (ص١٦٤ إلى ١٨٠ ج٢) وقال

التباني في الجزء الأول ص١٦٨: كان أبو سفيان جالساً في المسجد، فقال في نفسه: ما أدري بم يغلبنا محمد؟! فأتاه النبي، وضرب صدره وقال: بالله نغلبك ومرة ثانية قال أبو سفيان في نفسه بعد أن أظهر الإسلام: لو عاودت هذا الرجل القتال، وجمعت له جمعاً. فضرب النبي صدره وقال: إذن يخزيك الله.

ورأى النبي في منامه بني أمية على منبره، فساءه ذلك، فنزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ والمراد بألف شهر مدة حكم الأمويين. (ص٢٤٤ ج١).

وقال التباني في ج٢ ص١٩٧: إن أبا هريرة قال:

لدي علم لو بثثته لقطع مني هذا الحلقوم. قال العلماء: لما فيه من الأخبار عن أمراء السوء من بني أمية الذين بدلوا سنة الرسول، ويؤيد قولهم هذا ما جاء في الصحيح «هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش» فقال مروان: غلمة!.. فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول: بنو فلان وفلان لفعلت ـ أي بنو سفيان وبنو مروان ـ.

وقد أطال التباني الحديث في مثالب مروان كما نفاه من صحبة الرسول، ونقل قصة أبيه الحكم، وإيذائه رسول الله ﷺ ونفيه من المدينة، ومما قاله عن مروان أنه ابتدع في الدين، فقدم خطبة العيد على الصلاة وكان النبي يؤخرها، وإنما قدمها مروان، لأنه كان يلعن الإمام علياً على المنبر في خطبته، فكان الناس ينصرفون بمجرد أن يفرغ من الصلاة، كي لا يسمعوا هجره، فقدمها ليحبس الناس، ويسمعهم التشهير واللعن (ص٢٨٣ ج٢) ثم نقل التباني

مذبحة كربلاء، ووقعة الحرة وغيرها. وعقد فصلاً خاصاً فيما جاء من الأحاديث في ذم يزيد بن معاوية ولعنه على لسان الأئمة والعلماء.

العلويون

عقد التباني فصلاً في شجاعة الإمام، وآخر في علمه، وثالث في فضائل الحسنين وأمهما بنت الرسولﷺ، ويجد متتبع الكتاب في صفحاته التي تجاوزت ٦٥٠ أحاديث متفرقة هنا وهناك في فضائل الإمام، كحديث: من كنت مولاه فعلي مولاه، وحديث الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان، إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ فقال: لا. فقال عمر: أنا يا رسول الله: قال: لا، ولكنه خاصف النعل، وكان قد أعطى علياً نعله ليصلحه، إلى كثير من الأحاديث وأقوال العلماء والأئمة والخلفاء، بخاصة الخليفة الثاني.

وذكر التباني طرفاً من المعاجز وخوارق العادات الدالة على عظمة آل الرسول، ومنزلتهم عند الله سبحانه، منها ما رواه ابن حجر في الصواعق المحرقة من أن رجلاً بالشام كان يلعن علياً كل يوم ألف مرة، وفي يوم الجمعة آلاف المرات، وأولاده معه، فرأى النبيﷺ في المنام، فبصق في وجهه، فأصبح وجهه وجه خنزير، ومنها أن السماء أمطرت دماً يوم قتل الحسين، وأصبحت جرارهم مملوءة دماً، وأن الدنيا اسودت اسوداداً عظيماً، واستمرت الظلمة ثلاثة أيام، ثم ظهرت بعدها الحمرة في السماء، وأن العدس الذي كان في عسكرهم تحول رماداً، وأنهم نحروا ناقة فكانوا يرون في

لحمها مثل الفيران، فطبخوها فصارت مثل العلقم، وأن ما من أحد من عسكر ابن سعد إلا أصابته آفة أو عاهة قبل أن يخرج من الدنيا.

ومن الأحاديث التي أوردها التباني في فضل آل البيت قول الرسول الأعظم: «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما أذاها، وينصبني ما أنصبها..

فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران.. الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما.. الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا.. من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني.. ونظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، وقال: أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم.. وقال عن الحسن: إن ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين..».

وقد أشرنا في بعض مؤلفاتنا السابقة إلى أن حديث «يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» من وضع الأمويين وأنصارهم، والغاية منه إثبات الإسلام لمعاوية ومن كان معه في صفين، لأن حديث عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار» قد أخرج قاتلي عمار من الإسلام فوضعوا في قباله هذا الحديث ليُستدل به على بقائهم مسلمين بالرغم من قتل عمار، ويزيد الوضع لفظة «عظيمتين» التي حشرت للدلالة على تساوي فئة معاوية لفئة علي في العظمة.. ولكن خاب سعيهم، فإن قول النبي: يا علي حربك حربي، وسلمك سلمي يفضح هذه الأكذوبة، ويجعل الذين حاربوا علياً في مصاف أبي جهل ومن إليه، حتى ولو تستروا بلفظ «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وهكذا كل مبطل إذا رأى فضيلة لخصمه المحق، وعجز عن جحودها وإنكارها انتحل مثلها لنفسه، وادعاها كذباً ونفاقاً، وإذا أعوزته القدرة على التأثير في عقول الناس، ولم يجد عندهم سبيلاً لتصديقه لا في إنكار ما لخصمه من مكانة، ولا في انتحال مثلها لنفسه تظاهر بالاعتراف له، لا لشيء إلا ليقال: إنه منصف لا تمنعه الخصومة من قول الحق ومن هذا الباب ما رواه التباني في الجزء الثاني صفحة ٧٧ و٧٨ قال:

إن معاوية بكى حين بلغه قتل أمير المؤمنين، فقالت له زوجته فاختة: أنت بالأمس تطعن عليه، واليوم تبكي عليه، فقال: ويحك إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره.

وإنه بكى أيضاً، وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك حين سمع ضرار بن ضمرة الكناني يصف الإمام بقوله:

كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمة من لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، كان غزير الدمعة طويل الفكرة، يقلب كفيه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب - أي تغير -.

وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع قربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله،

وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا، إلي تعرضت، أم لي تشوقت؟! هيهات هيهات غري غيري!.. قد ابنتك ثلاثاً، لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير.. آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق!..

هذا ما أردنا نقله وتلخيصه من كتاب «تحذير العبقري من محاضرات الخضري»، وهو كاف للدلالة على أخطاء الخضري وتعصبه وتحامله، وفي الوقت نفسه يدل على أن في علماء السنة من يقول ما يعتقد، ويعلنه على الناس بدون تحيز، وإذا جهل بعض الحقائق لتأثير البيئة والتربية فإن الجهل عذر بالقياس إلى التعصب، وقصد الفتنة، وتفريق الكلمة التي يهدف إليها أمثال الجبهان والحفناوي والخطيب.

ومهما أخطأ رجل العلم، وأثر عليه المحيط فلا بد أن تجد في أقواله شيئاً من الحقيقة ما دامت بوحي من إيمانه وعقيدته، أما من يقول ويكتب ما يطلب منه ويملى عليه، أما الذي يتلقى الوحي من أعداء الدين والوطن فمحال أن تجد عنده غير الكذب والدس على الأبرياء، والغش لله وللمؤمنين.

المثل الأعلى(*)

الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية

من الأخطاء الشائعة بين فئة كبيرة من الناس أنهم يقيسون الفرد بالأموال والمناصب، وبمقدرته على الضرر، وسطوته على حقوق الآخرين فيقولون: فلان عظيم لأنه غني أو وزير أو نائب أو مدير، ومن مناقبه أنه عزل زيداً، وعين عمرا، وخالف القانون، ولم يجرأ أحد على محاكمته وعقابه. فالاحترام والتقدير في منطقهم يقوم على الشخصية الفردية، وعلى أساس الرغبة والرهبة، فيعظمون الفرد إذا طمعوا في خيره، أو خافوا من شره، أما الشخصية المبدأية، أما من تتمثل فيه الصفات العليا من الإخلاص والعدل والعلم فهو في زوايا الإهمال والنسيان ما داموا من شره وضرره في أمان، وما دام عاجزاً عن تعيين زيد وعزل عمرو.

أجل، قد نجود على الطيب بكلمة «آدمي» ونعم الرجل، ولا بأس به، ولكن إذا جدَّ الجد وانبرى ضده شيطان من الشياطين ناصرنا الباطل، وخذلنا الحق، وكنا من حزب الشيطان، وهذا شأننا في كل شيء، أو أكثر المواقف، نؤمن بالمبادىء نظرياً ونكفر بها عملياً[1].

(*) تليت في احتفال أقيم لإحياء ذكرى الإمام.

(١) وأجمع كلمة تعبر عن هذا قول الفرزدق للإمام الشهيد الحسين حين سأله عن أهل الكوفة، قال الفرزدق: قلوبهم معك وسيوفهم عليك.

وليس من شك أن هذا النفاق يرفضه الدين والإسلام، ويبرأ منه العقل والوجدان، إن أهل الدين والوعي يقدرون الشخصية المبدأية، فيقدسون الجهاد والإخلاص، والعلم والعدل، فإذا ما قدروا واحترموا رجلاً؛ فلأنه يمثل هذه المبادىء المقدسة، ولأنها تتمثل في شخصه وعمله وجميع حركاته وسكناته، فتصبح محسوسة ملموسة بعد أن كانت فكرة مجردة ونظرية تسطرها الأقلام حبراً على ورق، وألفاظاً تلوكها الألسن، ثم تذهب مع الريح.

وعلى أساس المبادىء وتقديسها نحتفل بهذه الذكرى الكريمة، ونتحدث عن المعاني الفاضلة والمثل الرفيعة، والعمل الذي أنتج للإنسانية أطيب الثمار، نتحدث عن النبأ العظيم الذين هم فيه مختلفون، وعنه يتساءلون، عن أول من آمن بالله، وصدق الرسول، عن أمير المؤمنين الذي شرفه التنزيل، وعظمه الجليل.

ولكن لهذا النبأ جوانب من العظمة، لا جانب واحد، وقد شغلت عظمته أهل العصور القديمة والحديثة، وستشغلهم إلى يوم يبعثون.. فعن أي جانب منها نتكلم؟

البلاغة

هل نتكلم عن بلاغته، ونحن الذين نعصر الأدمغة ساعات وساعات، لنركب، ونزوق بعض الكلمات نتحدث عن بلاغة من سن الفصاحة لقريش، وقيل عن كلامه: إنه فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق؟!.

ويمكننا أن نتخذ من هذا الوصف قياساً لجميع صفات الإمام فنقول: إن قدرته فوق قدرة المخلوق، ودون قدرة الخالق، وكذا علمه ولطفه، وما إلى ذلك من صفات الجلال والكمال.

الشجاعة

أو نتكلم عن شجاعته، ونحن الذين نهتز ونرتجف لمجرد الوهم والخيال نتحدث عن شجاعة من قال: لو اجتمعت علي العرب على قتالي لما وليت مدبراً. وإن ابن أبي طالب لا يبالي سقط على الموت أو سقط الموت عليه. وقال: لألف ضربة بالسيف أحب إلي من ميتة على فراش، وكفى أن يشهد جبريل بشجاعته، وينادي بين السماء والأرض:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

الحلم

أو نتكلم عن حلمه، ونحن الذين تغلي قلوبنا غلاً وحقداً، ويحب أحدنا أن يأكل لحم أخيه ميتاً. نتكلم عمن سقى الماء لأعدائه بعد أن منعوه منه، وعفى عن ابن العاص، أعدى أعدائه، وبسر بن أرطاة، وطلحة الطلحات بعد أن مكنه الله من رقابهم؟!.

الزهد

أو نتكلم عن زهده، ونحن الذين ندس ونتآمر، ونكذب ونرائي، ونبيع ديننا للشيطان من أجل الدرهم والدينار نتحدث عن زهد من قال: والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وقال مشيراً إلى حذائه التي لا تساوي كسر درهم: إن هذه أحب إلي من دنياكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً!.

العلم

أو نتكلم عن علمه، ونحن الذين نقرأ الكتب، ونسهر الليالي الطوال حتى نحفظ الكلمة نتحدث عمن قال على المنبر بملأ من

الناس: سلوني قبل أن تفقدوني، وأنها لكلمة لا يجرأ على التفوه بها إلا علي، وقال: لو ثنيت لي الوسادة لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل القرآن بقرآنهم. وقال فيه الخليفة الثاني: لأبقيت لمعضلة ليس فيها أبو الحسن، وقال عشرات المرات لولا علي لهلك عمر.

وأخبر الإمام بمغيبات كثيرة أتينا على ذكرها في كتاب «علي والقرآن» مع المصادر والأرقام، منها أخباره عن الراديو والتلفزيون، حيث قال: يأتي زمان يرى ويسمع من في المشرق من في المغرب، وهذه المغيبات مدونة في كتب مضى على تأليفها أكثر من ألف سنة، وعلى طبعها ما يقرب من مئة سنة.

السياسة

وقال جاهل متحذلق يقيس الأمور بباعه، ويكيلها بصاعه، قال هذا الجاهل: إن علياً لا يعرف السياسة، لأنه عزل معاوية عن الشام، وسقى الماء لأعدائه، وعفى عنهم.

وأجيب عن هذا بأجوبة شتى، ولكن كلمة جاءت في مطاوي كلام الأستاذ جورج جرداق في كتاب «الإمام علي» عبرت عن الواقع، وهي أن الذين اعترضوا على الإمام أرادوا من علي بن أبي طالب أن يكون معاوية بن أبي سفيان، ويأبى علي إلا أن يكون علياً.

شكيب إرسلان

والكلمة الجامعة المانعة في هذا الباب نطق بها الأمير شكيب إرسلان، سمعتها من فمه، وإليك حكايتها:

في سنة ١٩٣٦، أو ١٩٣٧ لا أتذكر التعيين أقامت جمعية الإصلاح في بيروت احتفالاً بذكرى الإمام، تكلم فيه عدد من الخطباء، وكان من بينهم شكيب إرسلان، وقدمه معرّف الحفلة بقوله: «تسمعون كلمة من الأمير شكيب، وإنما سمي أميراً لأنه شبيه بالأمير في سنانه وبيانه».

فغضب شكيب من هذا التشبيه، وقال على المنبر: «والله ما اعتراني الخجل منذ خلقت، حتى الساعة، كما اعتراني حين سمعت المعرف يشبهني بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والله إن كل ما في السماء والأرض عدا الله والرسول لا يشبه الغبار الذي على حافر فرس علي بن أبي طالب.. إن الله أمر بالخير، ونهى عن الشر، ثم خلق علياً كما يشاء، وقال للناس: هذا هو المثل الأعلى فاحتذوه».

شيعة علي والمفترون

ترتفع في هذه الأيام صيحة لا شعورية، وصرخات «هستيرية» بسبب الشيعة وتكفيرهم على لسان «الجبهان» في السعودية، و «الحفناوي» و «الخطيب» في القاهرة، وترتفع هذه الصيحات والصرخات في دمشق على صفحات مجلة التمدن الإسلامي.

فما هو السبب يا ترى؟!.. وهل هناك سر لتحالف هؤلاء على عدا طائفة معينة؟! هل اعتنقوا خصومة الشيعة والافتراء عليهم في هذا الوقت بالذات لأهداف وغايات بعيدة الأثر؟!.

أجل، هناك سر تتصل خيوطه برئاسة كنيدي لجمهورية الولايات المتحدة، فلقد انتخبه اليهود بعد أن قطع على نفسه عهداً بأن ينهي مشكلة فلسطين، ويسلم الأرض العربية المقدسة لقمة سائغة لإسرائيل، وما أن دخل البيت الأبيض حتى خصص مبلغاً كبيراً من المال للذين يعملون جاهدين على صرف أنظار العرب والمسلمين عن فلسطين، وترك الحديث عنها والتفكير فيها. وقبض هؤلاء القدر المعلوم، وشرعوا بتنفيذ الخطط المرسومة من تمزيق وحدة المسلمين وتفتيت قوتهم، عن طريق الاستفزازات وبث النعرات.

فطبعوا الكتب، ووزعوا النشرات، وقالوا فيها تصريحاً

وتلويحاً: إن الشيعة أشد خطراً من إسرائيل. فيجب أن نقضي عليهم، ونترك إسرائيل آمنة مطمئنة.

لقد دعوا إلى هذا بكل سبيل، وهم على علم اليقين بأن القضاء على الشيعة لا يتم حتى لا يبقى واحد من المسلمين، وأن القضاء على المسلمين لا يتحقق حتى لا يبقى على وجه الأرض شرقي ولا غربي، إنهم على علم من هذا دون شك، ولكنهم قبضوا الأجرة، ولا بد من عمل شيء وقد عملوا..

رددت على «الجبهان» بكلمة مطولة، وعلى الحفناوي بكلمة أطول، وفي هذه السنة بالذات طلع علينا شخص، يدعى «محب الدين الخطيب» طلع بصفحات أسماها «الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية».

قال: دين الشيعة، ولم يقل مذهب الشيعة، ليوهم أنهم غير مسلمين، وإذا كان الشيعة، الذين أقاموا ويقيمون كتاب الله وحدوده وشرائعه، وسنن نبيه الكريم وآثاره ومعالمه، إذا كان الشيعة الذين قام الإسلام على جهودهم وتضحياتهم من عهد أمير المؤمنين علي إلى اليوم، إذا كانوا غير مسلمين، فليس في الكون مسلم واحد، لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل..

قال هذا الخطيب المصري في خطوطه العريضة: إن الشيعة كفرة مرتدون، وليس بينهم وبين الإسلام نسب ولا سبب، وأصولهم تخالف أصول المسلمين جميعاً، وأنهم يتلذذون بالعداء للإسلام، وهم طابور خامس في قلعة المسلمين، وأن الشيوعية وليدة التشيع، وأن المفيد كذاب، والكليني وضّاع، والشريف المرتضى والرضي مزوران، وأن الشيعة يسمون أبناءهم «تقي» من التقية لا من التقوى،

أما يزيد بن معاوية فهو من خيار الصالحين.

وليس من شك إذا كان يزيد من خيار الصالحين فجميع الأصحاب حتى البدريين والخلفاء الراشدين من شرار المفسدين والجاحدين، لا خصوص الشيعة والمتشيعين، تعالى الله والمقربون إليه علواً كبيراً.

وقرظ خطوط الخطيب وقدم لها رجل، اسمه محمد نصيف، يظهر من كلامه أنه سعودي وهابي، أما نفقات الطبع والنشر فعلى علي بن عبد الله آل ثاني أمير قطر، وقد جعلها وقفاً لله، كما هو مرسوم على الغلاف.

دار التقريب

ولندخل الآن في التفاصيل وعرض الخطوط الطويلة العريضة.

افتتح كاتب هذه الخطوط كلامه بحملة شعواء على دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ونال من الذين يعملون لوحدة الكلمة بين المسلمين، لأن هذه الوحدة قوة ضد الصهيونية والاستعمار، وهذا ما لا يرتضيه صاحب الخطوط العريضة، لأنه يرضي الله والرسول، ويقضي على جميع خطوط الاستعمار والصهيونية، إذن من أين تأتي الجنيهات والدولارات؟! فالشيء الثابت أن الصهاينة والمستعمرين لا يدفعون إذا اتفق المسلمون، ومن أجل هذا وحده بذلوا كل وسيلة لتمزيق الوحدة وتفتيت قوى العرب والمسلمين. ولكن الناس، والحمد لله، يحتقرون المخربين والمفسدين ولا يستجيبون لهم.

وبعد أن انتهى صاحب الخطوط من حملته على «دار التقريب»

شرع بالتهويش على علماء النجف الأشرف بقصد إثارة الفتن، وإحداث الشقاق بينهم وبين علماء الأزهر الشريف، فاختلق ما لم يكن في وهم ولا خيال، ولا يمكن أن يصدقه عاقل، قال في ص٦: نشر علماء النجف كتاباً اسمه الزهراء في ثلاثة أجزاء، نالوا فيه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

حاشا لله وأوليائه، وعلماء دينه وأصفيائه أن يهووا إلى هذا الدرك الذي هلك فيه من هلك، إن الكاتب يعبر بما نقل عن نفسه، ويدافع عنها بأسلوب لا يلجأ إليه إلا مبتلٍ بداء لا دواء له.

إن صاحب الخطوط، يستهدف من وراء قوله هذا، أن يحرك علماء الأزهر، ويبعثهم على معارضة القرار الذي أصدره الأستاذ الأكبر بتدريس الفقه الجعفري بعد أن رأى فيه سبيل الوحدة والتفاهم والقضاء على خطوطه الهادفة إلى التخريب لا إلى التقريب، وإلى الشقاق لا إلى الوفاق.

ولنفترض أن كتاباً اسمه «الزهراء» أو العنقاء، فيه ما فيه، فأي مسوغ لنسبة الكتاب إلى علماء النجف كافة وفيهم حفظة الدين وشريعة سيد المرسلين؟! لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. وما هو المبرر لهذا التدليس والتلبيس إلا التحامل على حماة الإسلام وحاملي لوائه؟!.

لقد أفتى الشيخ «بخيت» ـ وهو أزهري ـ بترك الصيام وجواز الإفطار في رمضان، وألف أزهري آخر، وهو الشيخ محمود الشرقاوي، كتاب «الدين والضمير» أباح فيه ترك الصوم والصلاة والحج وسائر العبادات، فهل لعاقل أن يقول: إن علماء الأزهر بقضهم وقضيضهم أباحوا المحرمات، وترك الصوم والصلاة؟!.

ونشر مصطفى محمود كتاباً أنكر فيه وجود الله، فهل نقول: إن المصريين جميعاً لا يؤمنون بالله؟! وبالأمس القريب، وبعد القرارات الاشتراكية التي أصدرها الرئيس جمال، خرج كتاب في القاهرة يحمل اسم العدالة الاجتماعية جاء فيه «عدم وجود الطبقة الفقيرة يقضي على أساس دعائم الكيان الاجتماعي والاقتصادي»، أي أن الحياة الاجتماعية مستحيلة التحقق بدون الفقر والبؤس، وإذا لم يمثل هذا الكتاب رأي الرئيس جمال وغيره من رجال الثورة، ومفكري مصر وعلماء الأزهر. فكذلك كتاب الزهراء أو العنقاء لا يمثل رأي الكبار وغير الكبار من علماء النجف.

فقه السنة

وقال في ص ٧: «الفقه عند أهل السنة لا يرجع إلى أصول مسلمة عند الفريقين والتشريع الفقهي عند الأئمة الأربعة من أهل السنة قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة».

ولا أدري ماذا أراد بالفقه والتشريع الفقهي عند السنة الذي يقوم على أسس غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة؟!.

ونحن مع الكاتب إذا أراد من فقه السنة تلك المسائل التي يستحي الإنسان من ذكرها، وأعرضت عنها في كتاب الفقه على المذاهب الخمسة وأشرت إليها في المقدمة بقولي: «وكما أن في أقوال المذاهب ما يتفق مع الحياة، ويحقق العدالة فإن فيها ما يجب ستره والإعراض عنه، لذا أعرضت ـ عن تلك المسائل ـ ضناً بكرامة الفقه والفقهاء».

أما الآن، وبعد أن فتح صاحب الخطوط العريضة ثغرة في جدار هذه المسائل فقد اضطرها إلى الظهور، أو اضطرني مكرهاً على الأصح إلى ذكر طرف منها:

اختلف الحنفية في رجل أدخل أحليله في دبر نفسه: هل يجب عليه الغسل مطلقاً أنزل أم لم ينزل، أو لا يجب إلا إذا أنزل (ابن عابدين ج١ ص١٤٤).

ومنها: أن المرأة إذا خرج منها نجس تمسح بأصبعين لأنها إذا مسحت بأصبع واحدة كالرجل تقع أصبعها ـ في ذاك المكان ـ فتلذذ فيجب عليها الغسل، وهي لا تشعر (الدرر شرح الغرر ج١ ص٤٣).

ومنها: إن التوضؤ من الحوض أفضل من النهر، لأن المعتزلة لا يجيزونه من الحياض (ابن عابدين ج١ ص١٣٠).

ومنها: إن الغلام إذا بلغ الرجال، ولم يكن صبيحاً فحكمه حكم الرجال ـ في الساتر بالصلاة ـ وإن كان صبيحاً فحكمه حكم النساء من فرقه إلى قدمه. (ابن عابدين ج١ ص٢٨٥).

ومنها: قول الحنابلة لا يحفظ المال للكلب الأسود، ولو هلك عطشاً ويحفظ لغيره (الفقه على المذاهب الأربعة. مبحث الأسباب المبيحة للتيمم).

ومنها: كراهية الصلاة خلف الأمرد (ابن عابدين ج١ ص٣٩٤).

ومنها: إذا أدخلت المرأة أصبعها في فرجها، وكانت مبلولة بماء أو بدهن أو أدخلت خشبة في فرجها، وغيبتها وجب عليها

قضاء الصوم دون الكفارة (الفقه على المذاهب الأربعة. مبحث المفطرات).

ومنها: إذا كان للميت ابن أخ لأبويه، وبنت أخ كذلك فالميراث كله للذكر دون الأنثى، كما كانت الحال في الجاهلية الجهلاء، وكذلك إذا كان له عم من الأبوين، وعمة من الأبوين فلا ترث العمة شيئاً لأنها أنثى، ومثله لو ترك جداً لأب وجداً لأم، فالميراث للأول، لأنه يتقرب بالذكر، ولا شيء للثاني، لأنه يتقرب بالأنثى (المغني ج٦ باب الميراث) وغيره من كتب الفقه للسنة، حيث أجمعت المذاهب الأربعة على ذلك، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابنا «الوصايا والمواريث على المذاهب الخمسة».

ومنها: قول أبي حنيفة: لو أن رجلاً في مصر، وكل آخر في الأندلس بأن يزوجه فلانة فيعقد له عليها، ولا يلتقيان أصلاً فيما يرى الناس، ثم تجيء المرأة بولد يكون نسبه ثابتاً للرجل الذي في مصر (جميع كتب الحنفية في الفقه. ولكن اللفظ هنا لمحمد محيي الدين عبد الحميد في كتاب الأحوال الشخصية. مبحث النسب).

ومنها: إذا غسل الميت نفسه بعد موته فلا يحتاج إلى من يغسله ثانية، كما حدث ذلك للسيد أحمد البدوي (حاشية الباجوري على الغزي على متن أبي شجاع. باب غسل الجنائز).

ونكتفي بهذا المقدار، ولو مضينا في ذكر ما نعرف من هذا الباب لاحتجنا إلى مجلد ضخم، وكنا في غنى عن هذه الإشارة لولا إحراج الخطيب ومآزقه.

وبالإجمال، فإن أراد صاحب الخطوط العريضة من الفقه عند

السنة ما كان من هذا النوع فالأمر كما قال من أن أسس الفقه عندهم غير ما هي عند الشيعة بلا ريب «ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» وإن أراد الفقه الذي يعتمد على كتاب الله وسنة رسوله الثابتة فهو فقه الإمامية بالذات كما تشهد بذلك جميع كتبهم وآثار علمائهم في الفقه والأصول والحديث والتفسير والأخلاق والعقائد دون استثناء.

تأويل القرآن

وقال في ص٨: إن أصول الدين عند الشيعة، قائمة من جذورها على تأويل آيات القرآن، وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منه الأصحاب... وأن القرآن قد زيد فيه، ونقص منه.

أنت خريج الأزهر الشريف أيها الخطيب، وبقيت أمداً غير قصير تشرف وتدير مجلة الأزهر الذي يخرج الأساتذة والعلماء الكبار، ويعطي شهادة الاختصاص في الشريعة وأصول الدين، ومع ذلك تقول هذا القول! ومتى كان التأويل أصلاً من أصول الدين؟! وعلى أي شيء اعتمدت لهذا الحكم؟! هل أخذته من أساتذة الأزهر، أو رأيته في كتب الإمامية، أو هو من نسج الخيال؟! ولماذا لم تذكر لنا المصدر؟!.

أما كتب الإمامية فتنص صراحة على أصول أن الدين هي الإيمان بالله والرسول واليوم الآخر، وأن الفروع هي الصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد في سبيل الله. إذن ليس التأويل من الأصول ولا من الفروع عندهم، ولكن جناب الشيخ الخطيب أحب أن يجتهد، ويثبت أن باب الاجتهاد مفتوح عنده لا عند الإمامية فقط، فاجتهد وأصدر هذا الحكم.

وأيضاً الأزهر يدرس التفسير بعناية يستحقها، وليس من شك أن الخطيب أخذ هذا العلم عن شيوخ الأزهر، فهل قال له أحد شيوخه أن الإمامية لا يعتمدون على ظواهر القرآن ويصرفون آياته عن معانيها، أو وجد هذا في كتب الإمامية، كلا.. إنه أحب أن يجتهد فاجتهد؟!.

أما تفاسير الشيعة المنتشرة في كل مكان فإنها تفسر القرآن بما دلّت عليه ظواهر الآيات، ولا تحيد عنها إلا بقرينه من القرآن نفسه أو من السنة الثابتة، وهذا تفسير البيان للطوسي، ومجمع البيان للطبرسي، وآلاء الرحمن للبلاغي، والميزان للطباطبائي، وغيرها مما يبلغ العشرات تشهد بذلك. وبالإضافة إلى كتب التفسير فقد عقد الإمامية فصلاً خاصاً ومطولاً في كتب الأصول بعنوان حجية ظواهر القرآن ومما قالوه في هذا الفصل أن ظواهر القرآن حجة متبعة، لأنه نزل على الرسول الأعظم بلسان عربي مبين، ليفهمه الناس كافة، ويتدبروا آياته، فيأتمروا بأوامره، ويزدجروا بزواجره، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ وقوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ثم إن القرآن تحدى البشر في كل جيل أن يأتوا ولو بسورة من مثله، والتحدي يستدعي الأخذ بالظاهر لا بالباطن، هذا، إلى أن أخبار أهل البيت التي أمرت بالتمسك بالقرآن تجاوزت حد التواتر[1]. قال الإمامية هذا وأكثر من هذا، ولكن الشيخ الخطيب مجتهد حتى في تحليل الكذب!..

(١) انظر كفاية الأصول للخراساني، ورسائل الأنصاري، مبحث حجية الظواهر، والبيان في تفسير القرآن للخوائي ص ١٨٢ وغيرها من كتب الأصول.

نسب صاحب الخطوط إلى الشيعة القول بتحريف القرآن.

وقبل أن نجيب الشيخ المصري، ونثبت عدم صحة قوله، وبراءة الشيعة من قذفه وطعنه نوجه إليه هذا السؤال:

لماذا أثرت هذا الموضوع بالذات! وما هي المصلحة من إثارته الآن؟! ولحساب من؟! أليس الحديث عن القرآن حديثاً عن رسالة الرسول الأعظم؟! أليس التشكيك بالقرآن تشكيكاً في حلال محمد وحرامه، وأقواله وأحكامه؟! وأين نجد الهدى والحق إذا أثرت ـ يا شيخ ـ الشبهات حول كتاب الله؟! وهل يبقى للإسلام من شيء؟!.

فاتق الله يا شيخ الخطوط، واعلم أن الذين يستفيدون من قولك هذا هم أعداء الإسلام والمسلمين وحدهم، هؤلاء الأعداء الذين يتشبثون بالطحلب وخيط العنكبوت، ويتذرعون بكل نقد واعتراض، ولو كان من جاهل.

ثم ما هو موقف الشيعة من إحراج هذا الشيخ الذي وضعهم أمام هذه المعضلة وجهاً لوجه؟! هل نسكت ونتغاضى، حتى لا ندع منفذاً لأعداء الإسلام والقرآن، ولكن سكوتنا معناه عند الخطيب ومن إليه اعتراف بالجريمة، أو ندافع، ونثبت بالأرقام من صحيح البخاري ومسلم، ومسند الإمام أحمد، وكنز العمال، والاتقان، والموافقات، والأحكام، وروح المعاني. نثبت من هذه الكتب وغيرها من كتب السنة بالذات أن القول بالتحريف جاء من السنة لا من الشيعة، وهذه هي الأمنية الوحيدة لأعداء الإسلام والمسلمين، والصهاينة والمستعمرين، وماذا يصنع الشيعة ومن ورائهم الشيخ محب الدين الخطيب؟! أجل، إن هذا جهر بالسوء دون شك،

ولكن الشيخ الخطيب هو السبب والبادىء أسوأ وأظلم ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

لقد تبرأ علماء الإمامية من القول بالتحريف زيادة ونقيصة منذ عهد الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ إلى يومنا هذا. وقالوا: إن القرآن هو هذا الذي بين الدفتين لا زيادة ولا نقصان صرح بذلك الصدوق في كتاب عقائد الشيعة، والمرتضى في جواب المسائل الطرابلسيات، والشيخ الطوسي في التبيان، والطبرسي في مجمع البيان، والشيخ جعفر النجفي في كشف الغطاء، والمحقق الشيخ علي الكركي في رسالته، والسيد محسن الأعرجي في شرح الوافية، والسيد محسن الأمين في نقض الوشيعة، والسيد الخوئي أستاذ العلماء في هذا العصر بكتابه البيان، وغيرهم وغيرهم.

ويستدل صاحب الخطوط على نسبة التحريف إلى الشيعة بما جاء في الكافي للكليني من أن عند علي قرآناً فيه زيادات، وأن الكافي عند الشيعة بمنزلة صحيح البخاري عند السنة؟

الجواب

إذا كان عند السنة صحاح ستة: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة فليس عند الإمامية كتاب واحد صحيح من أوله إلى آخره سوى القرآن الكريم الذي منه يستقون، وعليه يعتمدون، وبه يتمسكون، وفي سبيله يضحون بالنفس والولد والمال، أما الكافي والاستبصار والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه، أما جميع الكتب «الأرضية» ما كان منها وما يكون فهي عند الإمامية لأعبد مثلنا غير معصومين يصيبون ويخطئون، فلا يلزم أحد بما فيها من رأي أو رواية إلا من ثبتت عنده.

ولا أدل على ذلك من أن فقهاء الإمامية في كتبهم الفقهية وغيرها لا يتعبدون بأحاديث الكافي ولا التهذيب والاستبصار ولا من لا يحضره الفقيه ولا غيرها، بل لو أجمعت هذه الكتب الأربعة على صحة الأحاديث فلا يلزم به أحد إلا من قال بصحته وهذه نتيجة طبيعية لفتح باب الاجتهاد، وقد فصلت ذلك في كتاب «مع الشيعة الإمامية» فقول الشيخ الخطيب أن كتاب الكافي عندهم بمنزلة البخاري إن دل على شيء فإنما يدل على رغبته في أن تؤمن الشيعة بغير ما أنزل الله، ويأبى الله لشيعة أهل البيت أن يؤمنوا بغير كتابه.

على أن حديث الزيادة في القرآن الذي عند الإمام ـ على افتراض صحته ـ محمول على الزيادة في التأويل لا التلاوة، أي أنها تفسير للقرآن لا جزء منه، كما قال آية الله الخوئي في كتاب البيان ص١٧٣، وكما في هامش صحيح البخاري ج٥ ص٢٢٧ طبعة سنة ١٣٧٧هـ من أن الحافظ ذكر الآية ٩٥ من سورة النساء هكذا: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ـ أبي ذر من المؤمنين ـ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال كاتب الهامش على البخاري: إن «زيادة أبي ذر من المؤمنين» على معنى التفسير لا التلاوة.

أهل السنة والقرآن

وبناء على إحراج صاحب الخطوط العريضة، والدفاع عن النفس، وأن كتاب البخاري صحيح عند السنة، كما قال الشيخ الخطيب ننقل من هذا الكتاب ما نصه بالحرف الواحد عن المجلد ٨ ص٢٠٩ طبعة سنة ١٣٧٧هـ:

«جلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذن قام فأثنى على

الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها، حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليَّ، إن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، ورجم رسول الله، ورجمنا بعده فأخشى أن أطال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

هذا ما جاء على لسان الخليفة الثاني في صحيح البخاري[1]، مع العلم بأنه ليس في القرآن ما يشعر بوجوب الرجم والرغبة عن الآباء.

واكتفي بهذه الإشارة لأنها كافية وافية للتدليل على أنه، إن كان ولا بد من تهمة القول بالتحريف فغير الشيعة أحق بها وأولى من الشيعة ومن أراد التفصيل والاطلاع على ما جاء في كتب السنة من نقص الآيات المزعومة فليرجع إلى كتاب نقض الوشيعة للسيد محسن الأمين، وآلاء الرحمن للشيخ جواد البلاغي والبيان لآية الله

(١) ويذكر البخاري في أمكنة أخرى من صحيحه أنه نقص آيات أخرى غير آية الرجم، ومثله في ذلك صحيح مسلم، انظر ص ١٠٧ القسم الأول من الجزء الثاني طبعة سنة ١٣٤٨هـ وكذا في مسند أحمد، والإتقان للسيوطي، والموافقات للشاطبي؛ والأحكام للآمدي: وتاريخ دمشق للحافظ، وتفسير الطبري، وكان كنز العمال، وروح المعاني، كل هذه الكتب للسنة وفيها أحاديث التحريف.

الخوئي، وفي هذا الكتاب نقلاً عن كتب السنة أن لعائشة قرآناً جاء فيه: يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الأولى.

وكان أبو بكر يصلي الصفوف الأولى.

الحقيقة

وإذا نظرنا إلى الواقع، ووقفنا موقف المحايد، وتجردنا من بواعث الهجوم الذي شنه على الشيعة صاحب الخطوط، وبواعث الدفاع الذي اضطرنا إليه هذا الشيخ، إذا تجردنا إلى الحق وحده وجدنا كلاً من أئمة الشيعة والسنة، ومن يعتمد عليهم من العلماء القدامى والمحدثين متفقون كلمة واحدة على أن يد التحريف لم ولن تنال القرآن بزيادة أو نقصان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. وقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾.

أما القول بالتحريف فضعيف ومتروك، ذهب إليه نفر أقل من القليل من السنة والشيعة، ولا أدري لماذا مارس جناب الشيخ نشر الخلافات، وبث النعرات بين المسلمين وأخلص لهذه المهنة منذ القديم، ولعلها رابحة بالنسبة إليه، والله العالم!..

وأغرب من الغريب أن يثير صاحب الخطوط خريج الأزهر الشريف ومدير مجلته سابقاً، أن يثير مثل هذا النزاع، مع أن بعض الطوائف لا تشير إلى أي خلاف حول كتابها المقدس على ما بين فرقها من التباغض والتباعد!..

الرجعة:

قال في ص١٧: إن الرجعة من عقائد الشيعة الأساسية التي لا يرتاب فيها شيعي واحد.

وهذا تمامٌ مثل قوله التأويل من أصول الدين عند الشيعة ـ أبداً ـ. كل شيء عند هذا الكاتب من أصول الدين عند الشيعة، فالتأويل والرجعة ومفتاح الجنان، والنيل من كرامة الصحابة، والتقية والغلو، كل هذه عقائد أساسية عند الإمامية، لا يرتاب فيها شيعي واحد، بل حتى الشيوعية هي بنت التشيع، والوليد الأصيل له.. بل حتى الطابور الخامس من العقائد والأصول عند الشيعة، كما أعلن كاتب الخطوط في صفحة ١٧ و٢١ و٣٤.

وبعد، فهل أجيب أو أعرض؟.. وما زلت أغلب نفسي تارة، وتغلبني أخرى، ثم قلت: إنها محنة على كل حال، سكت أو أجبت، والجواب أقل المحذورين، والوزر على من كان السبب، على كاتب الخطوط الذي أراد أن يسود صحيفة طائفة بريئة لمآرب في نفسه.

إن الرجعة عند الإمامية يا جناب الشيخ ليست من الأصول ولا من الفروع، وأحاديثها تماماً كأحاديث الدجال عند السنة التي رواها مسلم في صحيحه، من شاء آمن بها، ومن شاء جحد، ولا بأس عليه في الحالين، لأن مسألة الدجال ليست من الأصول العقائدية ولا الفروع الضرورية.

إن دعائم الإسلام عند الإمامية يا كاتب الخطوط خمسة، كما رووها عن النبي وأهل بيته، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، وصوم شهر رمضان، فأين الرجعة والتأويل؟! أجل ورد عن أهل البيت في أكثر من حديث إضافة الولاية إلى هذه الدعائم إشارة إلى الآية ٥٥ من سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

الأصحاب:

قال في ص١٥: إن الشيعة ـ ينالون ـ من أبي بكر وعمر وعثمان.

روى الإمامية عن الإمام الرضا حفيد الإمام الصادق حديثاً يكشف النقاب عن سر هذه التهمة، قال: إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا، وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب غيرنا، فإذا سمع الناس الغلو غالوا فينا، وإذا سمعوا مثالب غيرنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ﴾.

وقال الإمام زين العابدين في الصحيفة السجادية: اللهم صل على أتباع الرسل وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا البلاء، وصل على التابعين من يومنا هذا إلى يوم الدين.

فأين السب واللعن يا كاتب الخطوط؟!. قال الدكتور زكي مبارك في المجلد الثاني من كتاب التصوف الإسلامي: «كانت أدعية زين العابدين مما اهتم به الشيعة اهتماماً شديداً، فصححوا رواياتها ونقدوها، وكتبوها بالذهب في كثير من البلدان».

يكتب الإمامية الصلاة على النبي وأصحابه والتابعين له بماء الذهب، بشهادة أديب مصري كبير، يكتب للتاريخ مجرداً عن كل غاية، ويأتي كاتب الخطوط، فيقلب الحقيقة ويحرّف الواقع، لا لشيء إلا لحاجة في نفسه، إن الذي سب ولعن الصحابة يا حضرة الشيخ، من نسب هذا السب إلى الأبرياء الأصفياء. ما ذنب الإمامية إذا تطرف مغال وتجاوز عن الحد، فهذي كتب الإمامية صريحة

واضحة بالبراءة من الغلو والمغالين، وبكفر من أعطى صفة الربوبية لمخلوق، وصفة النبوة لغير محمد من بعده.

الشيعة والشيوعية

قال في ص٣٤: إن الشيوعية التي تفاقمت في العراق وإيران هي وليدة التشيع، فالشيوعيون في ذينك القطرين من صميم أبناء الشيعة، وقد وجدوا المذهب الشيعي عريقاً في الخرافات والأوهام والأكاذيب التي لا تعقل فكفروا به. وقال في ص٢١: الشيعة طابور خامس.

إن هذا القول يذكرنا بنوري السعيد الذي كان يتهم بالشيوعية كل من يعارض سياسة إنكلترا، ومشاريعها الاستعمارية، وأيضاً يذكرنا بمبدأ أيزنهاور، الذي اعتبر القومية العربية حركة هدامة ومخربة، ويعلم الجميع، حتى الأطفال والجهال أن هذه التهمة من مخلفات الاستعمار والميراث الباقي من تركة باشا بغداد.

الشيعة طابور خامس يا حضرة الشيخ وأنت والحفناوي والجبهان وإضرابكم أداة صلاح وإصلاح، لأنكم تعملون على تنفيذ الخطوط المرسومة للقضاء على وحدة المسلمين وقوة الإسلام!..

ولماذا يا صاحب الخطوط تتسابق أنت والجبهان والحفناوي إلى بث النعرات ونشر الخلافات، وتتجاهلون الاستعمار في فلسطين، وفي الجزائر وعمان وتونس وغيرها من البلاد العربية الإسلامية؟! ثم هل الحزب الشيوعي في سوريا واندونوسيا، وأكراد العراق وليد التشيع؟!. وهل كل شيوعي في العرب والمسلمين شيعي؟! ثم من هم الذين سلموا فلسطين لليهود هل فيهم شيعي واحد؟!. ومن ألحق الدعي فاروق بن نازلي برسول الله، وأفتى بأنه

الشريف الحسيب النسيب علماء النجف أو غيرهم؟! ومن اغتال حسن البنا رئيس الإخوان المسلمين؟! ومن نكل برجال هذه الجماعة وصلبهم على الأعواد؟! ومن بارك هذه المجزرة علماء النجف أو غيرهم؟! ومن كفر الإمام المصلح محمد عبده؟!.

قال الشيخ محمد عبد الله السمان في كتاب «الإسلام المصفى» ص١٢٩: «كانت أقل عبارات شيوخ الأزهر تصف فاروقاً العربيد بالملك الصالح وناصر الإسلام ورافع لوائه ومعلي كلمته» وكتب عنه هؤلاء الشيوخ يقولون: «أصبح الناس في الخافقين ولا حديث لهم إلا أنعم الفاروق وأياديه البيضاء على العلم والدين أما رعاية جلالته للدين وحرصه على نشره فإنه شهد الله أحيا سنن السلف الصالح في الإقبال على العلم والدين، ومصر كلها بل والعالم الإسلامي أجمع يشهد».

فهل قال هذا أو بعض هذا علماء النجف لفيصل الأول أو لابنه غازي أو لحفيده فيصل الثاني؟!.. كلا، ثم كلا، بل قاطعوهم، واستنكروا عليهم أعمالهم وسيرتهم مع أنهم خير ألف مرة من فاروق العربيد وأبي فاروق!.. وما فعل علماء النجف ذلك لا عملاً بعقيدتهم التي تفرض عليهم محاربة الظلم والفساد.

وكيف نسبت يا شيخ الخطوط الشيوعية في العراق وإيران إلى مذهب التشيع، وسكت عن جامعة النجف وقم والمعاهد الدينية في همدان وطهران وغيرها؟!.. لماذا تجاهلت ما قدمته النجف من خدمات للإسلام طوال عشرة قرون كاملة؟! إنك لا تذكر إلا ما يراد منك أن تذكره.

لقد كان الشيعة وما زالوا القوة والدعامة الأولى للإسلام في

شتى الميادين، حملوا السيف وجاهدوا لنصرة الدين والوطن ضد الإنكليز في العراق وقتل منهم عشرات، ويوم الاعتداء على بور سعيد تظاهر الشيعة العراقيون ضد الحكومة التي كانت معادية يومذاك للرئيس جمال، وسقطت القتلى، ومنهم حفيد أحد المراجع الكبار في النجف.

وأفتى الإمامية في جميع كتبهم الفقهية بوجوب الجهاد والتضحية بالنفس والنفيس للدفاع عن المسلمين وكلمة لا إله إلا الله، فمنذ مئات السنين وطلاب الشيعة يدرسون ويحفظون هذه الجملة «يجب الجهاد إذا هجم عدو على المسلمين يخشى منه على بيضة الإسلام»، كما ألفوا العديد من المجلدات في مختلف العلوم الإسلامية، من التفسير والحديث، إلى العقائد والتشريع والفلسفة، إلى التراجم وعلم الرجال والأدب والتاريخ الإسلامي، ولولا الشيعة لم يكن للأزهر عين ولا أثر، ولا كان للفقه هذه المكانة والعظمة قال الفيلسوف المصري عبد الرحمن بدوي في كتاب «دراسات إسلامية»:

«للشيعة أكبر فضل في إغناء المضمون الروحي للإسلام، وشاعة الحياة الخصبة القوية العنيفة التي وهبت هذا الدين البقاء قوياً عنيداً» أما تآليفهم في الدفاع عن الإسلام، وإثبات فضله وتفضيله عقيدة وتشريعاً وأخلاقاً على جميع العقائد والشرائع الوضعية وغير الوضعية فهي فريدة في نوعها، وقد سبقوا إليها الجميع، حتى هذه الدراسات الإسلامية الحديثة التي نجدها في كتب العقاد والغزالي وسيد قطب وابن نبي وغيرهم، فكتاب الهدى إلى دين المصطفى للشيخ البلاغي، والدين والإسلام لكاشف الغطاء هما حجر الأساس في هذا البناء.

أما كتاب الرحلة المدرسية في ثلاثة أجزاء لحبر الأمة الشيخ جواد البلاغي فقد أسدى إلى دين محمد خدمة لا يؤدي شكرها المسلمون مجتمعين ناقش المؤلف الأديان غير الإسلامية على الأسس العلمية، والأصول المسلمة عند أربابها بحيث يشعر القارىء بعظمة الإسلام وتفوقه دون أن يجد في الكتاب ذكر الإسلام، ولو أن أمثال الخطيب والحفناوي تركوا الشيعة وشأنهم، ولم يشغلوهم بالدفاع عن النفس والردع عن الباطل لزادت المكتبة الإسلامية أضعافاً عما هي عليه الآن في شتى العلوم.

أما قول صاحب الخطوط بأن الشيوعية وليدة التشيع فهو تصديق وتطبيق لنظرية باشا بغداد، كما قدمنا، وأشبه بقول القائل بأن وجود الشيء تعبير عن عدمه، وأن الموت يرادف الحياة، أن أصاغر الطلبة يا جناب الشيخ يعرفون أن الشيوعية التي عنيتها تنبت من بيئة الفقر والبؤس والأوضاع الفاسدة، والظلم والكبت، وفي البلاد التي فيها شيوخ منافقون ومأجورون، أما مذهب التشيع فيقوم بعد الإيمان بالله والرسول واليوم الآخر على محاربة الفقر والطغيان، وأن التاريخ ليشهد على أن الشيعة كانوا وما زالوا الحزب المعارض لحكام الجور الذين يعملون على إفقار الناس واستعبادهم، ومن أجل هذا تألبت عليهم قوى الطغيان على مر الأجيال ـ إقرأ كتاب الشيعة والحاكمون ـ وقد أخذوا ذلك عن إمامهم الأعظم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، حيث قال: لو كان الفقر رجلاً لقتلته. وعن سيد الشهداء الذي أعلن شعاره يوم الطف بقوله: لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً.

هذا إلى أن الإمامية انفردوا عن سائر المذاهب حيث أوجبوا على كل مكتسب وعامل أن يدفع ٢٠ بالمئة إلى المحتاجين عما زاد

عن مؤونة سنته، كما حرموا على أي إنسان أن يحتفظ بالفائض عن حاجته إذا وجد فرد أو نفس محترمة تتوقف حياتها على هذا الفائض.

الخرافات

أما قوله مذهب التشيع عريق بالخرافات والأوهام والأكاذيب فإنما يصح ويصدق على من قال بأن الله لا يقبح منه شيء ولا يجب عليه شيء، فيجوز أن يدخل النمرود وفرعون وأبو جهل في الجنة، والأنبياء إلى النار، وأنه يكلف بما لا يطاق ويعذب العبد على ما يفعل، وأن الله يصدر عنه كفر الكافرين، وإلحاد الملحدين، والزنا والسرقة والمظالم والآثام، وشرب الخمر، وجميع أنواع الشرور والمعاصي، وإنه يأمر بما لا يريد، وينهي عما لا يكره، وأيضاً يصدق على من أجاز نسبه الحكم إلى النبي إذا دل عليه القياس، فيقال: قال رسول الله، وإن لم يكن قد قاله[1]، وتصدق الخرافات والأكاذيب على مذهب الذين أجازوا الذنوب الصغائر على النبي عمداً وسهواً، والكبائر سهواً لا عمداً[2] ونسبوا إليه ما لا يليق.

وأيضاً تصدق على من آمن بحديث الجساسة الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي، وفيه أن السيد المسيح يقيم

---

(١) أبو العباس القوطبي شرح مسلم، والحافظ العراقي في الفيئة. نقلاً عن كتاب أضواء على السنة المحمدية لأبي رية ص ٨٣ طبعة أولى ١٩٥٨.

(٢) المواقف وشرحه ج ٨ ص ٢٦٣ وما بعدها، وقد حرف شيخ الخطوط بعض أقوالي كما هي عادته حينما يتكلم عن الشيعة، ومن أراد معرفة الأحاديث الموضوعة في توهين الأنبياء عن طرق السنة فليرجع إلى الجزء الثالث من كتاب دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر فإنه سيجد أرقاماً واضحة لا تقبل التأويل.

في جزيرة بدير مكبلاً بالحديد من عنقه إلى ركبتيه، وإنه سيخرج ويهبط كل قرية إلا مكة والمدينة، فكلما حاول دخولهما استقبله ملك بيده سيف.

وأيضاً تصدق الخرافات على من قال بأن لملك الموت سبعين ألف رجل، وأربعة آلاف جناح، وأنه لا شيء من الأحياء إلا وله وجه وعين ويد في جسم عزرائيل (دقائق الأخبار للإمام عبد الرحيم القاضي. الباب الخامس في أحوال الموت) إلى غير ذلك من الأساطير الموجودة في الصحاح وغير الصحاح. وأقف عند هذا القليل من الأمثلة، لأنه كاف واف في التعبير عن الكثير.

الحقيقة:

والحقيقة أن الخرافات والأوهام والأكاذيب توجد في عدد من كتب السنة والشيعة على السواء، فما هي من خصائص فرقة دون أخرى. ومن هنا اتفقوا جميعاً على وجوب الوضع في الأحاديث النبوية، والجهل والهوى في بعض المؤلفات السنية والشيعية. وقد تصدى الصفوة من الطرفين لمحاربة تلك الخرافات، وبرأوا منها الإسلام، ووضعوا في ذلك عشرات الكتب، إذن فلا يحق لسني أن يعترض بشيء من تلك الخرافات على الشيعة ما داموا يعترفون بكذبها وبطلانها، وكذلك لا يحق لشيعي مثل هذا الاعتراض إلا دفاعاً عن النفس وردعاً عن الباطل.

ومعلوم أن موقف الشيعة كان وما زال موقف المدافع لا المهاجم، لأنهم يؤمنون بالجماعة الإسلامية، ويتطوعون جنوداً في سبيل وحدة المسلمين وقوتهم.

التحريض على الشيعة:

قال في ص١٤: الحقيقة التي نلفت إليها أنظار حكوماتنا الإسلامية أن مذهب الشيعة قائم على اعتبار الحكومات الإسلامية حكومات غير شرعية. وأن مفتاح الجنان سب الجبت والطاغوت.

هنا تظهر نيَّات الشيخ جلية على حقيقتها، أن هدفه الأول أن تقوم المعركة بين الحكومات الإسلامية والشيعة، وعندها يتم تنفيذ الخطوط المرسومة للشيخ والجبهان اللذين حرضا على إفناء الشيعة.. إن الشيعة يا كاتب الخطوط أصلب وأقوى من أن تنالهم يد سوء، فلقد تظاهر عليهم المستبدون من قبل ومن بعد، وما استطاع مستبد ولا طاغية أن يحني لهم رأساً، بل ما زادهم ذلك إلا قوة ومنعة وانتشاراً.

أما الحكومات الإسلامية فهي في شغل شاغل عنك وعن أقوالك، ثم كيف نوفق بين تحريضك على الشيعة الذي هو تحريض على الإسلام بالذات، وبين ادعائك بأنك مسلم؟!..

أما قول صاحب الخطوط بأن الشيعة يعتبرون جميع الحكومات الإسلامية غير شرعية فجوابه إن الإمامية لا يحكمون على أية سلطة بأنها شرعية إلا بعد أن ينظروا باسم من تحكم هذه السلطة، وماذا تدعي لنفسها، هل تدعي أنها تحكم باسم الله، أو باسمها هي أو باسم المحكومين؟!.

فإن ادعت أنها تحكم باسم الله، وأنه هو الذي اختارها وسلطها على دماء الناس وأموالهم وأعراضهم، سواء أرضوا أم كرهوا كما فعل الأمويون والعباسيون من قبل، فإن كانت هذه هي الحال فالإمامية لا يعترفون بهذه الحكومة ولا بشرعيتها إلا إذا

ترأسها نبي يوحى إليه أو من اختاره النبي لذلك، ونص عليه صراحة.

وإن حكمت باسمها لا باسم الله، ولا باسم المحكومين فذاك هو الاستبداد والظلم بعينه.

وإن حكمت باسم المحكومين لا باسم الله، ولا باسمها أقرها الإمامية واعترفوا بها إذا اختارها لذلك المحكومون بملء إرادتهم واختيارهم، وحققت أمانيهم ورغباتهم[1].

أما مفتاح الجنان الذي نقل عنه هذا الشيخ، فلا تعترف به علماء الإمامية، لأن جامعه غير معلوم، وهو لذلك لا يحمل اسماً لأحد، ثم لماذا تركت يا شيخ الخطوط المرسومة الصحيفة السجادية، والإقبال لابن طاووس، وغيرهما من كتب الأدعية والأوراد المعتبرة عند الإمامية وتشبثت بهذا الكتاب المجهول؟!. على أن في كتاب مفتاح الجنان أدعية تتجسم فيها المثل العليا ومكارم الأخلاق، لكن الشيخ الخطيب أعرض عنها واتبع الجبت والطاغوت...

هل يرضى الله؟!

وبالتالي، هل يرضى الله والرسول أن يشتم بعضنا بعضاً، وأن نلهو بهذه السفاسف والسخافات؟! أفي هذا الظرف الذي تحتل فيه

---

(١) فصلنا ذلك في كتاب «الشيعة والحاكمون» واثبتنا بالأرقام أن السنة لا يجيزون الخروج على الحاكم الجائر، وإن فعل ما فعل. أما الإمامية فمن مبدئهما لثورة على الظلم والفساد بجميع مظاهرهما وصورهما، ومن أجل هذا قال أحمد أمين وأضرابه بأن التشيع كان ملجأ لمن أراد هدم الإسلام. لأن الإسلام في منطق أحمد أمين وشيخ الخطوط يتمثل في الحاكم، وإن كان جائراً، فمن خرج عليه فقد خرج على الإسلام بالذات.

إسرائيل أرضنا المقدسة، ويقتل الفرنسيون والإنكليز إخواننا في الجزائر وعمان، ويرسل كنيدي مبعوثه الخاص جنسون إلى البلاد العربية ليساوم ويعمل على تثبيت إسرائيل، ودفن قضية العرب اللاجئين نهائياً تكتب وتنشر وتنفذ الخطوط المرسومة يا شيخ؟!.

كان البسطاء يتساءلون: لماذا تأخر المسلمون، وذهبت هيبتهم وأصبحوا أكلة لكل طامع؟!. وكيف انتصرت شرذمة من اليهود على العرب مجتمعين!. ولماذا حقق الاستعمار أهدافه في البلاد العربية والإسلامية، ولماذا أعرض النشء عن الدين، حتى اعتنق بعضهم مبادىء لا تمت إلى الإسلام بصلة؟!.

وبعد أن كتب الخطيب والحفناوي والجبهان اتضح كل شيء، ولم يعد هناك من سر.

إن الناس اليوم يجرون في سباق مع الزمن، ويهتمون بالعلم وأخباره، بانتصار الشعوب المتقدمة على مستقبلها ومصيرها، ويتسابق الحفناوي والخطيب والجبهان إلى توزيع السباب واللعنات على الأحياء والأموات، وبث الفتن، وإحداث الفجوات، وإثارة النعرات بين المؤمنين والآمنين. والله سبحانه المسؤول أن يعصمنا من الإتجار بالعواطف والدين.

من أقوال الإمام

نقلنا فيما سبق جملة من أقوال الإمام وحكمه. ونذكر هنا جملة ثانية لمناسبة ما سنذكره من أقوال الأئمة الأحد عشر من أولاده وأحفاده عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام. قال:

• اليأس إحدى الراحتين، وقلة العيال إحدى اليسارين، والعلم إحدى الحياتين، والمودة إحدى القرابتين، والذكر الجميل أحد العمرين، والجهل إحدى الميتتين، والزوجة الصالحة إحدى الراحتين. والهم أحد الهرمين، والشهوة إحدى الغوايتين.

الراحة الثانية التي تقابل اليأس تتحقق ببلوغ المطلوب، واليسار الثاني يكون بوجود المال، والحياة التي تقابل العلم هي الحياة الأخروية، والقرابة الثانية قرابة النسب، والعمر الثاني هو عمر الإنسان الذي عاشه، والراحة الثانية المقابلة لراحة الحياة الزوجية هي الراحة من تكاليف الزواج ومتاعبه. والغواية الثانية غواية الجهل، لأن الإنسان يحيد عن طريق الحق إما لعدم معرفته وإما لشهوة في نفسه.

• الناس بأمرائهم أشبه منهم بآبائهم.

لأن الإنسان بأخلاقه وعاداته يقلد أصحاب الثراء والجاه والسلطان.

• أسوأ الناس حالاً من لم يثق بأحد لسوء ظنه، ولم يثق به أحد لسوء فعله.

• الإيمان أن تؤثر الصدق، حيث يضرك على الكذب، حيث ينفعك.

• لا تقولوا قوس قزح، وقولوا قوس الله، وأمان من الغرق. وهذا من علومه التي سبق بها زمانه.

• ربما أخطأ البصير قصده، وأبصر الأعمى رشده.

• نعم الناصر الجواب الحاضر.

إذا كان الجواب بعد النظر والتفكير لم يكن بشيء، قال عمرو بن العاص: ما اتقيت جواب أحد من الناس غير جواب ابن عباس لبداهته.

• من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء لو غص بغيره لأساغ الماء غصته.

• من طلب الدين بالجدل تزندق.

• المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلا خائفاً، وإن كان محسناً، لأنه بين أمرين: بين وقت قد مضى لا يدري ما الله به صانع، وبين أجل قد اقترب لا يدري ما يصيبه من الهلكات.

• أدنى الإنكار أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة.

• ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، نفس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم، مغتاظ على من لا ذنب له، بخيل بما لا يملكه.

• يظهر في آخر الزمان، وهو شر الأزمنة نسوة كاشفات عاريات، متبرجات من الدين، داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مشرعات إلى اللذات، مستحلات للمحرمات في جهنم خالدات.

وهذا إخبار بالغيب، لأنه صورة طبق الأصل عن نساء هذا العصر.

• لا تزال هذه الأمة بخير ما لم يلبسوا لباس العجم، ويطعموا أطعمة العجم، فإذا فعلوا ذلك ضربهم الله بالذل.

وصدقت نبوءة الإمام علي عليه السلام فقد ضربت الذلة والمسكنة على أمة محمد صلى الله عليه وآله منذ تخلفت بأخلاق الأجانب.

• مسكين ابن آدم، مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، وتقتله الشرقة، وتنتنه العرقة.

إن في الإنسان قوة تجعله «يشارك السبع الشداد»، يسخرها لحاجاته وأغراضه، ويواجه بها أهم الأحداث بكل بساطة، وإن فيه ضعفاً يعجز معه عن مقاومة الأشياء التافهة، كالبقة والشرقة، أما الحكمة من وجود هذا الضعف إلى جنب تلك القوة فهي أن لا يطمئن الإنسان إلى قوته فيطغى، ولا يستسلم لضعفه فينصرف عن الجهاد والعمل، والعاقل من يناضل في هذه الحياة، وهو على حذر من المخبآت والمفاجآت.

وهذه النظرة العميقة الصائبة إلى الإنسان لا تكون إلا بتعلم من ذي علم، أو بوحي من عقل معصوم عن الزلل والأخطاء[1].

---

(١) انظر صفحة ٥١ من هذا الكتاب.

• قال الراغب الأصبهاني في الجزء الأول من «محاضرات الأدباء» ص٢١٦ طبعة ١٩٦١: روي عن أمير المؤمنين علي أنه قال: ما أحسنت لأحد قط، ولا أسأت إلى أحد. فرفع الناس رؤوسهم تعجباً!.. فقرأ قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

الإمام الحسن

ولد بالمدينة ليلة النصف من رمضان المبارك سنة ثلاث من الهجرة، وهو أول ولد علي وفاطمة عليهما السلام.

كنيته أبو محمد، ولقبه الزكي، سماه وكناه جده رسول الله صلى الله عليه وآله.

صفته:

كان ربعة ليس بالطويل، ولا بالقصير، أبيض اللون مشرباً بحمرة، أدعج العينين[1]، كث اللحية، كأن عنقه إبريق فضة، كعنق جده وأبيه بعيد ما بين المنكبين، وكان جعد الشعر حسن البدن، ويخضب بالسواد.

أولاده:

كان له خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى، وهم زيد، وأم الحسن وأم الحسين، وأمهم أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية، والحسن، وأمه خولة بنت منصور الفزارية، وعمر، والقاسم، وعبد الله، وأمهم أم ولد، والحسين الملقب بالأثرم، وطلحة، وفاطمة، وأمهم أم إسحق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، وأم عبد الله، وأم

(١) الدعج شدة سواد العين مع سعتها.

سلمة، ورقية، لأمهات شتى، ولم يعقب منهم غير الحسن وزيد[1].

وفاته:

دس معاوية له السم على يد زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس[2] فانتقل إلى ربه مسموماً في السابع من صفر سنة خمسين من الهجرة.

قال المسعودي: توفي الحسن، وهو ابن خمس وخمسين سنة.

من أقواله:

قال في وصف أخ له.

• كان لا يقول ما لا يفعل، ويفعل ما يقول.

وإذا عرض له أمران لا يدري أيهما أقرب إلى ربه نظر أقربهما من هواه فخالفه.

ولا يلوم أحداً على ما قد يقع العذر فيه.

قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢] وقال بعضهم: إن الرجال كالأشجار، منهم من يقول ولا يفعل، وكذلك الصفصاف يحمل الزهر ولا يثمر. ومنهم من يقول ويفعل، كالتفاح والرمان يحمل الزهر ويثمر، ومنهم من يفعل ولا يتكلم، كشجرة التين تثمر، ولا تحمل الزهر.

---

(١) أعيان الشيعة ص ٩ ج ٤ طبعة ١٩٤٨.

(٢) قال الإمام الصادق: اشترك الأشعث في دم أمير المؤمنين؛ وجعدة ابنته سمّت الحسن وابنه محمد اشترك في دم الحسين.

ومن أبرز صفات المؤمن أن يؤثر مرضاة الله سبحانه على هواه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]. وقد رأيت من يتظاهر بالدين ويؤثر هواه في كل شيء، ثم يكيف الدين حسب أغراضه، ويقول: هذا تكليفي الشرعي بموجب ما أدى إليه نظري وكل ما أدى إليه نظري فهو حكم الله في حقي فهذا حكم الله في حقي..

ومن صفات المؤمن أن يعذر أخاه المؤمن، ولا يسارع إلى اتهامه وإساءة الظن به. قال أمير المؤمنين: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها من الخير محملاً».

• بالعقل تُدرك الداران جميعاً، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً.

أراد بالعقل العلم والعمل، فإن أهل البيت كثيراً ما يطلقون لفظ العاقل على العالم العامل، وقد جاء في الحديث: «قسم العقل ثلاثة أجزاء، فمن كن فيه كمل عقله، ومن لم يكن فيه فلا عقل له: حسن المعرفة لله، وحسن الطاعة لله، وحسن الصبر على أمر الله».

• إذا أردت عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان فأخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته جل وعلا، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة، فأصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمتك صانك، وإذا أردت معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك، وإن صلت شد صولك، وإن مددت يدك بفضل مدها، وإن بدت منك ثلمة سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك، وإن نزلت بك إحدى الملات واساك، لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرك.

الإمام الحسين

ولد في الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة، وبين ميلاده وميلاد أخيه الحسن عشرة أشهر وعشرون يوماً.

صفته:

جاء في الجزء الرابع من أعيان الشيعة أنه لم يرد في وصفه شيء مفصل، وإنما ورد كلام مجمل علمنا منه أنه كان ذا حسن باهر، ونور زاهر، وطلعة غراء، لم يغير الموت والقتل شيئاً من جمال طلعته، وكمال هيئته، وزاهر وجهه، وباهر نوره، حتى أخذ ذلك بقلب عدوه ابن مرجانة، وحمله على أن يقول: ما رأيت مثله حسناً.

أولاده:

كان له من الأولاد ستة ذكور، وثلاث بنات: علي الأكبر شهيد كربلاء، وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وعلي الأوسط، وعلي الأصغر زين العابدين، وأمه شاهزنان بنت كسرى، ومحمد، وجعفر مات في حياة أبيه، وأمه قضاعية، وعبد الله الرضيع ذبح في حجر أبيه، وسكينة أمها، وأم عبد الله الرضيع الرباب بنت امرىء القيس، وفاطمة، وأمها أم إسحق التميمية،

وزينب، ونسل الحسين عليه السلام من الإمام زين العابدين عليه السلام.

استشهاده:

قتل في عاشر المحرم سنة ٦١ من الهجرة، وكان عمره الشريف ٥٦ سنة وأشهراً، عاش منها مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله ست سنين، ومع أبيه ٣٦ سنة، ومع أخيه الحسن ٤٦، وبقي بعد أخيه نحو عشر سنين.

من أقواله:

• من دلائل العالم انتقاده لحديثه، وعلمه بحقائق فنون النظر.

الجاهل يستصوب رأيه، ويخطىء سواه، والعالم بالعكس يتهم نفسه. ويحتمل الصواب في رأي غيره، فيبحث ويدقق، ويهتم بكل رأي مخالف له، حتى يكون على بينة مما يقول، قال الإمام الصادق: المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل. أما العلل بحقائق فنون النظر فهو التمييز بين أسباب المعرفة التي تثبت الحق وتكشف عن الواقع، وبين الأدلة الخطابية الجدلية التي لا تثبت حقاً، ولا تزيل شكاً، وهذا بالذات ما ذهب إليه بعض الفلاسفة الجدد، من أن الفلسفة ليست بشيء سوى البحث عن أسباب المعرفة.

• المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق كل يوم يسيء، ويعتذر.

• رب ذنب أحسن من الاعتذار منه.

• من أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك.

وقد اشتهر بين الشيعة أن سيد الشهداءعليه السلام كان يدعو يوم عرفة بدعاء طويل، وهو واقف على قدميه في ميسرة الجبل تحت السماء، وما زال شيعة أهل البيت يداومون على الدعاء به في نفس الموقف، وما قرأه قارىء وتأمل معانيه، وما يهدف إليها إلا خشع قلبه، واستيقظ عقله، وشعر بالقرب من الله سبحانه، والتعلق به ونقطف منه الجمل التالية:

لو حاولت واجتهدت مدى الإعصار والأحقاب ـ لو عمرتها ـ أن أؤدي شكر واحدة من نعمك ما استطعت ذلك إلا بمنك الموجب علي شكراً جديداً[1].

اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك[2].

اللهم اجعل غناي في نفسي، واليقين في قلبي، والإخلاص في عمل، والنور في بصري، والبصيرة في ديني.

اللهم حاجتي التي إن أعطيتنيها لم يضرني ما منعتني، وإن منعتنيها لم ينفعني ما أعطيتني، أسألك فكاك رقبتي من النار[3].

إلهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري؟!..

---

(١) في مقدور الإنسان أن يؤدي شكر نعمة أنعمها عليه إنسان مثله، بل في مقدوره أن يرد الإحسان أضعافاً، فيصبح هو المنعم المستوجب للشكر. أما تأدية الشكر لله فمحال، لأن منحه القدرة على الشكر نعمة تستدعي الشكر أيضاً، وهكذا إلى ما لا نهاية.

(٢) هذا مبدأ هل البيت الذي لا يحيدون عنه في قول أو فعل، فهم أبداً ودائماً كأنهم ينظرون إلى الله عز وجل وجهاً لوجه.

(٣) وهذا مبدأ آخر من مبادئ آل الرسول، فمثلهم الأعلى مرضاة الله، والنجاة في دار البقاء، أما هذه الحياة فليست عندهم بشيء ما لم تكن وسيلة لهذه الغاية.

وأنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي[1]؟!.

إلهي مني ما يليق بلؤمي، ومنك ما يليق بكرمك.. إلهي كلما أخرسني لؤمي، انطقني كرمك، وكلما آيستني أوصافي اصمعني مَنّك.

كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟!.. أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك؟!.. متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟!. ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟!.. عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيباً..

ماذا وجدك من فقدك؟!. وما الذي فقد من وجدك؟!..

يقول الإمام سيد الشهداء: إن معرفة الله تحصل بالضرورة والبديهة، لا بالاستدلال والنظر، لأن الاستدلال إنما يكون بالمعلوم على المجهول، ولا شيء أوضح وأظهر من وجود الله، حتى يستدل به عليه عز وعلا.

وقد أخذ الصوفية هذا المعنى من الحسين، وأطالوا فيه الشرح والتفصيل، وتفننوا في عرضه، وعبروا عنه بأساليب شتى، وقال قائل منهم: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه، وقال آخر: ما رأيت شيئاً غير الله.

وهنا سؤال يفرض نفسه، وهو أن الضرورة يشترك في معرفتها العالم والجاهل ولا يمكن أن ينكرها منكر، لأنها تماماً كالقول أن

---

(١) ليس في وسع الإنسان أن يعرف كل شيء، ومهما بلغت درجته من العلم لا بد أن تخفى عليه أشياء وأشياء لا يبلغها الإحصاء، بل ان كثيراً من معارفه تكون مجرد أوهام، فهو إذن جاهل في علمه، ولكنه جاهل معذور.

الاثنين أكثر من الواحد، مع أن الإيمان بوجود الله قد تعرض لكثير من الهجمات، لا من الجهال فحسب، بل ومن بعض العلماء والفلاسفة.

ونجد الجواب عن ذلك في قول الحسين عليه السلام «إلهي ماذا وجد من فقدك؟! وماذا فقد من وجدك؟!» أي أن من لا يرى الله لا يمكن أن يرى شيئاً على حقيقته، ما دام جاهلاً بسببه وعلة إيجاده، فإن كل ما لديه من «المعارف» ليست في الواقع إلا جهلاً ووهماً، حتى الضرورات والبديهيات، وإني على علم اليقين أنه ما أنكر من أنكر وجود الله إلا لأنه معرض عن الله. أما من يتجه إليه فإنه وأجده لا محالة.

وقرأت في بعض الكتب موعظة بالغة نسبها صاحب الكتاب إلى إبراهيم بن أدهم، ولأهمية تلك الموعظة وتأثيرها في نفوس الغافلين وقساوة القلوب نقلتها في كتاب «الآخرة والعقل» وحين باشرت بكتابة هذا الموضوع بحثت ونقبت عن كلمات الحسين عليه السلام فوجدتها بين حكمه ومواعظه في المجلد السابع عشر من كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي صفحة ٢١١ طبعة ١٢٩٧، فأيقنت أن ابن أدهم أخذها من الإمام الحسين عليه السلام وحمدت الله سبحانه على الهداية والتوفيق إلى تصحيح هذا الخطأ:

جاء رجل إلى الحسين، وقال له:

أنا رجل عاص، ولا أصبر عن المعصية، فعظني بموعظة يا ابن رسول الله.

قال الإمام: افعل خمسة أشياء، واذنب ما شئت.

«قال الرجل: هات يا ابن رسول الله».

قال الإمام: لا تأكل رزق الله، واذنب ما شئت.

«قال الرجل: كيف؟! ومن أين آكل، وكل ما في الكون من رزق الله. هات الثانية».

قال الإمام: الثانية اخرج من أرض الله، واذنب ما شئت.

«قال الرجل: هذه أعظم من تلك، فأين أسكن؟! هات الثالثة».

قال الإمام: الثالثة أطلب موضعاً لا يراك الله فيه، واذنب ما شئت.

«قال الرجل: كيف؟! ولا تخفى على الله خافية».

قال الإمام: الرابعة إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك، فادفعه عن نفسك، واذنب ما شئت.

«فاضطرب الرجل، وقال: بقيت الخامسة، عساها أهون الجميع».

قال الإمام: الخامسة إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل فيها، واذنب ما شئت.

«قال الرجل: حسبي حسبي!.. لن يراني الله بعد اليوم فيما يكره».

الإمام زين العابدين

ولد بالمدينة في شهر شعبان سنة ٣٨هـ، وتوفي سنة ٩٥ في أيام عبد الملك. ودفن بالبقيع عند عمه الحسن عليه السلام.

كنيته أبو محمد، وأشهر ألقابه زين العابدين، والسجاد، وأمه شاهزنان بنت كسرى[١] ولم أجد فيما لدي من المصادر شيئاً في وصفه وملامحه سوى أنه كان له في موضع سجوده آثار ثابتة كثفنات البعير، وأنه لذلك سمي ذا الثفنات.

أولاده:

كان له خمسة عشر ولداً، أحد عشر ذكراً، وأربع بنات؛ وهم: محمد الباقر، وأمه فاطمة بنت الحسن السبط عليهما السلام، والحسن، والحسين الأكبر، والحسين الأصغر، وزيد، وعمر، وعبد الله، وسليمان، وعلي، ومحمد الأصغر، وخديجة، وفاطمة، وعلية، وأم كلثوم من أمهات شتى.

من أقواله:

- قيل له: من أعظم الناس خطراً؟.

قال: من لم يكن للدنيا خطر في نفسه.

---

(١) قال الراغب الأصفهاني في «محاضرات الأدباء» ج ١ ص ٣٤٧: أن أمير المؤمنين قال لولده الحسين: خذها فستلد لك سيداً في العرب، سيداً في العجم، سيداً في الدنيا والآخرة.

فقياس العظمة عند الله تحقير الدنيا وحطامها، وتعظيم الآخرة ونعيمها، أما منطق الناس، أي شرار الناس فبالعكس تحقير هذه، وتعظيم تلك.

- لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يقبل؟!.
- كفى بنصرك أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك.
- أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام، ولا يقتدي بأعماله.
- كم من مفتون بحسن القول فيه؟!. وكم من مغرور بحسن الستر عليه؟! وكم من مستدرج بالإحسان إليه؟!.
- خف الله لقدرته عليك، واستحي منه لقربه منك، ولا تعادين أحداً، وإن ظننت أنه لا يضرك، ولا تزهدن بصداقة أحد، وإن ظننت أنه لا ينفعك... ولا يعتذر إليك أحد إلا قبلت عذره، وإن علمت أنه كاذب.
- الكريم يبتهج بفضله، واللئيم يفتخر بملكه.
- هلك من ليس له حكيم يرشده، ولا سيفه يعضده.
- أكبر ما يكون ابن آدم في اليوم الذي يلد من أمه.

لأن حياته تبتدىء من هذا اليوم، فكلما تقدمت به السن كلما قلت ونقصت، تماماً كقاطع المسافة كلما تقدم خطوات كلما قصرت.

قال الحكماء: ما سبقه إلى هذا المعنى أحد.

ثلاث ساعات:

قال: أشد ساعات ابن آدم ثلاث.

الساعة التي يعاين فيها ملك الموت.

والساعة التي يقوم فيها من قبره.

والساعة التي يقف فيها بين يدي ربه، إما إلى جنة، وإمَّا إلى نار.

هذه الساعات الثلاث آتية لا ريب فيها، ولا شيء أشد منها، قال الغزالي في الجزء الرابع من «إحياء العلوم»: لما جاء النزع إلى رسول الله ﷺ اشتد كربه، وظهر أنينه، وترادف قلقه، وارتفع حنينه، وتغير لونه وعرق جبينه، واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه، حتى بكى لمصرعه من حضره، وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره.

وقال بعض العارفين: من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته، فإنه ينتبه انتباهاً لا يوصف، ويقلق قلقاً لا يحد، ويتلهف على زمانه الماضي، ويود لو ترك، كي يتدارك ما فاته، ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف، ولو وجدت ذرة من تلك الأحوال في أوان العافية حصل كل مقصود من العمل بالتقوى.

وأما الساعة الثانية قد جاء الحديث في وصفها «يبعث الناس حفاة عراة قد ألجمهم العرق، وبلغ شحمة الآذان».

وقال الإمام زين العابدين: يا ابن آدم إنك ميت، ومبعوث، وموقوف، ومسؤول، فأعد جواباً. ومن دعائه:

أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري.

وجاء في وصف الساعة الثالثة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤] وقوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال الإمام زين العابدين: إن الله عند الحساب لا يصدق كاذباً، ولا يكذب صادقاً، ولا يرد عذر مستحق، ولا يعذر غير معذور.

خطوتان وجرعتان ودمعتان

وقال رواية عن جده رسول الله ﷺ:

ما خطوة أحب إلى الله من خطوتين: خطوة يسدي بها صنعاً في سبيل الله، وخطوة إلى ذي رحم قاطع يصلها.

وما جرعة أحب إلى الله من جرعتين: جرعة غيظ يردها مؤمن بحلم وجرعة جزع يردها مؤمن بصبر.

وما من قطرة أحب إلى الله من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمع في سواد الليل من خشية الله.

المناجاة:

أما مناجاة الإمام زين العابدين، وأدعيته، وتضرعه لله سبحانه فهي نوع خاص مستقل في ذاته لا يشبه في عظمته شيئاً، ولا يشبهه شيء من كلام الناس، ويحتاج الحديث عنه إلى كتاب ضخم، وقد تكلمت عن تلك المناجاة بشيء من التفصيل في كتاب «مع الشيعة الإمامية» وكتاب «أهل البيت» وكتاب «الإسلام مع الحياة» وكتاب «الآخرة والعقل» وكتاب «المجالس الحسينية» ولا جديد لدي الآن، لذا أكتفي بنقل الفقرة التالية من بعض أدعيته:

«سيدي ارحمني مصروعاً على الفراش تقلبني أيدي أحبتي، وارحمني مطروحاً على المغتسل يغسلني صالح جيرتي، وارحمني محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي، وارحم في ذلك البيت المظلم وحشتي وغربتي ووحدتي».

ما هذه الزفرات المضطربة، وهذا الاحتراق العميق الذي يلهب القلوب والأفئدة؟! هل هذا تأمل وتفكير، وخوف من العذاب والعقاب أو أن الإمام شاهد ورأى ما لم نر ونشاهد، أو هذا ضرب من عباده الصفوة الأخيار، أو درس وموعظة؟!.

أجل، إنه عبادة العارفين بالله حقاً؛ والعاملين وحده، والراغبين إليه دون سواه، وهو في الوقت نفسه درس، ولكنه ليس من نوع الدراسات اللفظية، والشطحات الخيالية التي لا تمت إلى الحياة بصلة، وهو عظة، ولكن ليس من نوع العظات التي يلقيها الشيوخ من على منابر المساجد، وفي محطة الإذاعة والتي لا تتجاوز الحناجر والألسن، إنه درس عملي يحول هذا المخلوق من شيطان مجرم إلى ملاك طاهر، وهل في الدنيا نفع وخير لولا هذا الإحساس! وهل هذه المعامل والمصانع، تساوي شيئاً لولا هذا الشعور الطاهر؟!.

وبالتالي، فقد رأينا وشاهدنا، تماماً كما رأى الإمام وشاهد أن الإنسان إذا بلغ هذه الحال انقطعت صلته من كل شيء إلا من رحمة الله وحدها، أما السبيل إلى هذه الرحمة فقد بينها الإمام بقوله ثلاث من كن فيه كان في كنف الله، وأظله في ظل عرشه يوم القيامة، وأمنه من الفزع الأكبر، وهي:

من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه.

ولا يقدم يداً ولا رجلاً، حتى يعلم أنه في طاعة الله قدمها، وعن معصية الله أخرها.

ولم يعب أخاه بعيب، حتى يترك ذلك العيب من نفسه، وكفى بالمرء شغلاً بعيبه لنفسه عن عيوب الناس.

الإمام محمد الباقر

ولد بالمدينة في رجب سنة ٥٧ من الهجرة، وتوفي بالمدينة أيضاً سنة ١١٤، عاش منها مع جده الحسين أربع سنين، ومع أبيه ٣٩، وبعده ١٨ سنة، ودفن بالبقيع مع أبيه علي بن الحسين، وعمه الحسن عليهم السلام.

وكنيته أبو جعفر، ولقبه الباقر، وأمه فاطمة بنت الحسن بن علي.

صفته:

كان ربع القامة، رقيق البشرة، جعد الشعر، أسمر، له خال على خده، ضامر، حسن الصوت، مطرق الرأس.

أولاده:

كان له سبعة أولاد: الإمام جعفر الصادق، وعبد الله، وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وإبراهيم وعبيد اللّه، وأمهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية، وعلي وزينب، وأمهما أم ولد، وأم سلمة، وأمها أم ولد.

من أقواله:

• كم من رجل لقي رجلاً، فقال له: كبت الله عدوك، وما له

من عدو إلا الله.

• عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد.

• لا يكون العبد عالماً، حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه، ولا محتقراً لمن دونه.

يريد الإمام أنه لا يكون عالماً من علماء أهل البيت عليهم السلام بدليل ما ذكره في وصف الشيعة بالفقرة التالية:

• والله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع، والتخشع وأداء الأمانة، وذكر الله والصوم والصلاة، والبر بالوالدين، وتعهد الجيران من الفقراء، وذوي المسكنة، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس.

• لا يقبل عمل إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، ومن عرف دلته معرفته على العمل، ومن لم يعرف فلا عمل له.

• أعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك.

• إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، من كسل لم يؤد حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حق.

• والإيمان ما كان في القلب، والإسلام ما عليه التناكح والثورات وحقنت به الدماء.

وقد أفتى المحققون من علمائنا بأن من قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» حقن دمه، وجاز عليه التناكح والثورات، حتى ولو علمنا بكذبه وعدم اعتقاده.

• إن لله عباداً مياميين، مياسير يعيشون، ويعيش الناس في أكنافهم وهم في عباده مثل القطر، ولله عباد ملاعين مناكيد، لا يعيشون ولا يعيش الناس في أكنافهم، وهم في عباده بمنزلة الجراد لا يقعون على شيء إلا أتوا عليه.

• قال لشيعته: إنا لا نغني عنكم من الله شيئاً إلا بالورع، وأن ولايتنا لا تدرك إلا بالعمل، وإن أشد الناس يوم القيامة حسرة من وصف عدلاً، وأتى جوراً.

أي أن من يدعي التشيع لآل الرسول، ثم يعصي الله فهو كمن يقول ولا يفعل، ويأمر ولا يأتمر.

• لا تذوقن بقلة ـ أي نبتة ـ ولا تشمها، حتى تعلم ما هي؟ ولا تشرب من سقاء حتى تعلم ما فيه؟ ولا تسير إلا مع من تعرف.

تشرب من سقاء حتى تعلم ما فيه؟ ولا تسير إلا مع من تعرف.

العلم:

قال: تعلموا العلم، فإن تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وبذله لأهله قربة.

وهو ثمار الجنة، وأنس الوحشة، وصاحب في الغربة، ورفيق في الخلوة، ودليل على السراء، وعون على الضراء.

ودين عند الإخلاء، وسلاح على الأعداء، يرفع الله به قوماً، فيجعلهم في الخير سادة، وللناس أئمة، يقتدى بأفعالهم، ويقتص آثارهم ويصلي عليهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه.

فالعالم عند أهل البيت كالأنبياء إذا نفع الناس يعلمه، تصلي عليه سكان الأرض والسماء، حتى حيتان البحر، وسباع البر، أما العالم في هذا العصر فلا قيمة له إلا إذا صنع القنابل الذرية والهيدروجينية، والمدمرات والمهلكات للدول الاستعمارية، يخوفون بها الشعوب الآمنة، ويستعبدون المستضعفين، وإلا إذا استغله واستعبده أرباب الثراء والمصانع، مثل فورد وروكفلر.

وقد أشار أهل البيت إلى علماء هذا العصر بقولهم: «من العلماء من يضع علمه عند ذوي الثروة والشرف، أولئك في دركات الجحيم» وفي حديث آخر هم أضر على الإسلام من جيش يزيد على الحسين بن علي.

الإمام جعفر الصادق

ولد بالمدينة في رجب سنة ٨٠ من الهجرة، وتوفي سنة ١٤٨ ودفن في البقيع مع أبيه وجده زين العابدين، وعمه الحسن عليهم السلام.

وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وهذا معنى قول الصادق ولدني أبو بكر مرتين، وفي ذلك يقول الشريف الرضي.

وحزنا عتيقاً وهو غاية فخركم بمولد بنت القاسم بن محمد

وكنيته أبو عبد اللّه، ولقبه الصادق.

صفته:

كان ربع القامة، أزهر الوجه، جعد الشعر، أشم الأنف، رقيق البشرة، على خده خال أسود.

أولاده:

كان له عشرة أولاد، سبعة ذكور، وثلاث أناث، وهم: إسماعيل، وعبد اللّه، وأسماء، وتكنى بأم فروة. وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين، والإمام موسى الكاظم، ومحمد المعروف بالديباج، وإسحق وفاطمة الكبرى، وأمهم حميدة البربرية، والعباس، وعلي، وفاطمة الصغرى لأمهات شتى.

من أقواله:

• المؤمن أشد في دينه من الجبال الراسية، لأن الجبل قد ينحت منه، والمؤمن لا يقدر أحد أن ينحت من دينه شيئاً، لضنه بدينه وشحه عليه.

وفي حديث آخر: المؤمن أشد من زبر الحديد، إن الحديد إذا دخل النار تغير، وأن المؤمن لو قتل، ثم نشر، ثم قتل لم يتغير قلبه.

• يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغفر للعالم ذنب واحد.

• من استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن كشف حجاب غيره انكشفت عورات نفسه، ومن سلّ سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً سقط فيها.

• إذا بلغك عن أخيك ما يسوؤك فلا تغتم، فإن كان كما يقول، كانت عقوبة عجلت، وإن كانت على غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها.

من أعقد المشاكل الاجتماعية التي لم يجد المشترعون، وواضعو القوانين لها حلاً، الخصومة التي تقع بين الناس بسبب الغيبة، وانتقاص بعضهم بعضاً، فلقد وضع القانون حداً للاتجار بالخمر والبغاء، وما إليهما، وعجز أن يضع حداً للغيبة، حيث لا سبيل إلى منعها إلا بوازع من النفس ورادع من الداخل، وكلنا يعلم ما للغيبة من أسوأ اجتماعية.

لذلك اهتم أهل البيت أن يثيروا آثامها في ضمير الإنسان، كما أغروا في الوقت نفسه الذي تبلغه الغيبة في أن يتجاهل ويصفح ويقبل المعذرة، سداً لباب النزاع والخصومة بين الناس، وبثاً للألفة

والوئام.

ولا شيء أروع وأنجع من هذا الأسلوب الذي استعمله الإمام الصادق مع الذي تبلغه الغيبة، حيث جعلها خيراً بالنسبة إليه في سائر الأحوال، فإن كانت حقاً أذهبت السيئات، وإن كانت باطلاً زادت في الحسنات.

• لا يتم المعروف إلا بثلاث خلال: تعجيله، وتقليل كثيره، وترك الامتنان به.

• من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله.

• الرجل يجزع من الذل الصغير، فيدخله ذلك في الذل الكبير.

وقد رأيت ألف شاهد وشاهد على هذه الحقيقة، يبتلى الإنسان بمصيبة فلا يصبر عليها، فيقع بما هو أشد وأعظم.

• لا تنسب أحداً إلى الصداقة إلا إذا جمع خمس خصال:

(١) أن تكون سريرته وعلانيته واحدة (٢) أن يرى زينك زينة، وشينك شينة. (٣) أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال. (٤) أن لا يمنعك شيئاً يقدر عليه. (٥) أن لا يسلمك عند النكبات.

• ثلاثة أشياء يحتاج إليها جميع الناس: الأمن، والعدل، والخصب.

وقد ذكرت هذه الكلمة وشرحتها في كتاب «مفاهيم إنسانية في كلمات الإمام جعفر الصادق» وأعدتها هنا، لأنها تعبر عن أمنية الناس في كل زمان ومكان، وعما فيه قوام الحياة.

الإمام موسى الكاظم

ولد بالأبواء، وهو مكان بين مكة والمدينة في شهر صفر سنة ١٢٨ من الهجرة، واستشهد في بغداد بالسم في سجن هارون الرشيد سنة ١٨٢ من الهجرة، ودفن في الجانب الغربي من بغداد، وتعرف المدينة التي فيها قبره الشريف بالكاظمية، نسبة إليه، وهي متصلة ببغداد، وأمه حميدة البربرة وكنيته أبو إبراهيم، ولقبه الكاظم، والعبد الصالح.

صفته:

كان ربعة، أسمر شديد السمرة، كث اللحية.

أولاده:

كان له سبعة وثلاثون ولداً، ١٨ ذكراً، و ١٩ أنثى، وهم: الإمام علي الرضا، وإبراهيم، والعباس، والقاسم، وإسماعيل، وجعفر، وهارون، والحسن، وأحمد، ومحمد، وحمزة، وعبد اللّه، وإسحق، وعبيد اللّه، وزيد، والحسن، وسليمان، وفاطمة الكبرى، وفاطمة الصغرى ورقية، وحكيمة، وأم أبيها، ورقية الصغرى، وكلثم، وأم جعفر، ولبابة، وزينب، وخديجة، وعلية، وآمنة، وحسنة، وبريهة، وعائشة، وأم سلمة، وميمونة، وأم كلثوم، من أمهات شتى.

من أقواله:

• رأى قبراً يحفر، فقال: إن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله، وإن شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف من آخره.

للإنسان حياتان، بينهما من البعد والتباين ما بين الوجود والعدم، فهو حين يخرج إلى حياته الأولى يجد فضاء شاسعاً واسعاً، وشمساً وقمراً وطعاماً وشراباً، وأماً وأباً وأهلاً يهتمون بشأنه، ويكونون له عوناً في أموره، كما أنه يستطيع أن يختار لنفسه، فيفعل ويترك ويحترس، أما في حياته الثانية فأول ما يستقبله القبر وظلمته ووحشته، وربما كان خيراً من سائر مواقفه الأخرى في المحشر وبين يدي الله سبحانه حيث لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

• قال: ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى.

• إذا كان يوم القيامة ينادي المنادي: إلا من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا من عفا، وأصلح، فأجره على الله.

• لا تكن أمعه، فتقول: أنا مع الناس، ان رسول الله قال: إنما هما نجدان: نجد خير، ونجد شر، فلا يكن نجد الشر أحب إليك من نجد الخير.

يقول الإمام: إن الله سبحانه بين لك طريق الخير، وطريق الشر، وأمرك بفعل الخير، وإن تركه الناس، وبترك الشر، وإن فعله الناس، ونهاك عن التقليد، ولا يقبل منك الاعتذار بأن الناس قد فعلوا أو تركوا ما دام الحق واضحاً بيناً.

• رأى الإمام رجلاً فقيراً ذميم المنظر، فسلم عليه، وطايبه، وحداثه طويلاً، ثم قال له: إن كانت لك حاجة فأنا أقوم بها.

فقال له قائل: يا ابن رسول الله أنت تتواضع لهذا، وتسأله عن حاجته؟!

فقال: هذا عبد من عبيد اللّه، وأخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله، يجمعنا وإياه خير الآباء آدم، وأفضل الأديان الإسلام، ولعل الدهر يرد حاجتنا إليه، فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه.

• المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان.

لقد تكرر هذا المعنى في كلمات أهل البيت عليهم السلام، واهتموا به اهتماماً كبيراً، والهدف من وراء هذا الاهتمام أن يخففوا عن الناس آلامهم ويبعثوا القوة والأمل في النفوس، فيجابهوا الأحداث بصبر وجلد، ويحلوا المشكلات بروية وتعقل.

• أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به، وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عنه.

• إن لله عرشاً لا يسكن تحت ظله إلا من أسدى لأخيه معروفاً، أو نفس عنه كربة، أو قضى له حاجة.

الإمام علي الرضا

ولد بالمدينة في شهر ذي الحجة سنة ١٥٣ من الهجرة، وتوفي في صفر سنة ٢٠٢، ودفن بطوس من أرض خراسان، وأمه أم ولد[١] تسمى الخيزران.

وكنيته أبو الحسن، وأشهر ألقابه الرضا، ولم أجد شيئاً في صفته سوى أنه كان معتدل القامة.

أولاده:

عن الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن شهرآشوب في المناقب، والطبرسي في أعلام الورى أنه لم يترك ولداً إلا الإمام محمد الجواد.

من أقواله:

• لا يتم عقل امرىء، حتى تكون فيه عشر خصال: الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، ويستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه، ولا يسأم من طلب الحوائج إليه، ولا يمل من طلب العلم طول دهره، والفقر في الله أحب إليه من الغنى، والذل

(١) أم الولد هي الأمة إذا وطأها المالك وحملت منه، فتصبح بحكم الحرة لا يجوز بيعها، ولا هبتها.

في الله أحب إليه من العز، والخمول أشهى إليه من الشهرة، والعاشرة أن لا يرى أحداً إلا قال: هو خير مني واتقى.

ورب قائل: أن هذه الصفات لا توجد إلا في أهل البيت، وعليه ينبغي أن لا يكون في الناس عاقل غيرهم.

الجواب:

إن الإمام لم يسلب العقل كلية عمن لا يجمع هذه الخصال وإنما ففي عنه العقل من جهة خاصة، أي أن من يسيء، ولا يحسن، ويستقل من غيره ما يستكثره من نفسه فهو ناقص العقل من هذه الجهة، وإن كان كاملاً من جهات أخرى، وبديهة أن النقص من جهة لا يستدعي النقص من كل الجهات، كما أن كمال الإنسان في صفة لا يستلزم كماله في جميع الصفات.

• سئل عن معنى التوكل، فقال: إن لا تخاف أحداً إلا الله.

• يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء تسعة في اعتزال الناس، وواحد في الصمت.

• أحسن الناس معاشاً من حسن معاش غيره في معاشه.

أي أن من تحيا الناس بوجوده حياة طيبة، وتعيش بفضل جهوده عيش الأمن والهناء فهو أسعد الناس، وأحسنهم حالاً، حتى ولو لم يملك شيئاً من حطام الدنيا، تماماً كما كانت الحال بالنسبة إلى الرسول الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام.

• من صدق الناس كرهوه.

• المؤمن إذا غضب لم يخرج عن حق، وإذا رضي لم يدخل في باطل، وإذا قدر لم يأخذ أكثر من حقه.

• من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل.

وأخشى إذا اطلع على هذه الكلمة الذين كتبوا وألفوا في «الاشتراكية في الإسلام» أن يجعلوها مستنداً للاشتراكيين الذين قالوا: «لكل حسب عمله».

• إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، ونشاطاً وفتوراً، فإذا أقبلت بصرت وفهمت، وإذا أدبرت كلت وملت، فخذوها عند إقبالها ونشاطها، واتركوها عند إدبارها وفتورها.

الإمام محمد الجواد

ولد بالمدينة في شهر رمضان سنة ١٩٥ من الهجرة، وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٢٠، ودفن مع جده الإمام موسى الكاظم في الكاظمية.

وأمه أم ولد، واسمها سكن.

كنيته أبو جعفر، ولقبه الجواد.

صفته:

جاء في صفته أنه شديد الأدمة معتدل القامة.

أولاده:

قال المفيد، كان له أربعة أولاد: ذكران، وهما الإمام علي الهادي وموسى، وبنتان، وهما فاطمة، وإمامة.

من أقواله:

• أوحى الله إلى بعض أنبيائه: أما زهدك في الدنيا فيعجل لك الراحة، وأما انقطاعك إلي فيغرزك بي ـ أي أن عبادتك تقربك مني ـ ولكن هل عاديت لي عدواً، أو واليت لي ولياً؟!.

أشرنا فيما تقدم أن كثيراً من الناس يؤمنون نظرياً، ويجحدون عملياً، ومن ذلك أنهم يعتقدون أن زيداً على حق، وأن عمراً على باطل، ولكنهم لا يناصرون المحق، ولا يؤاخذون المبطل، بل لا

يجاهرون بعقيدتهم حذراً من غضب المبطلين. ولو كانوا مؤمنين حقاً لعملوا بما يعتقدون مهما تكن النتائج.

- من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للهلكة.
- كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة.
- نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر.
- لا يضرك سخط من رضاه الجور.
- من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.
- القصد إلى الله بالقلوب أبلغ من أتعاب الجوارح بالأعمال.
- من أطاع هواه أعطى عدوه مناه.
- من لم يعرف الموارد أعيته المصادر.

حين كنت طالباً من النجف الأشرف خرجت للنزهة مع بعض الرفاق مساء إحدى الجمع إلى وادي السلام ـ كما هي عادة الطلاب آنذاك ـ وبينا نحن نسير بين القبور التي تعد بالألوف وإذا بمعدي من سواد العراق يسألنا: أين قبر جدتي؟!

وكان مفروضاً أن نجيب بالإيجاب على كل حال، وإلا أسمعنا ما نكره، لأن من يلبس العمة في مفهوم هذا السائل وأمثاله يجب أن يعرف كل شيء: لا تخفى عليه كبيرة ولا صغيرة.

فقلت له: أمامك هذه المقبرة.

فقال صاحبي: وماذا فهم من جوابك؟!

قلت: ما فهمته أنت من قبر جدته.

وهذا بالذات حال من يبحث عن مصدر مسألة عرضت له قبل أن يعرف من أي علم هي.. ومن أي باب من أبوابه..

الإمام علي الهادي

ولد بقرية في ضواحي المدينة تسمى صريا في شهر ذي الحجة سنة ٢١٤؛ وتوفي ودفن في سامراء في شهر رجب سنة ٢٥٤، وأمه أم ولد واسمها أم الفضل.

كنيته أبو الحسن، وأشهر ألقابه الهادي والنقي، وجاء في صفته أنه كان أسمر اللون.

أولاده:

كان له أربعة ذكور، وبنت واحدة، وهم الإمام الحسن العسكري، والحسين، ومحمد، وجعفر[1]، وعلية.

من أقواله:

- إن المحق السفهي يكاد يطفى نور حقه بسفهه.
- من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق.
- من رضي عن نفسه كثر عليه الساخطون.
- بئس العبد عبد يكون ذا وجهين، وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً، ويأكله غائباً.

---

(١) ويلقب بجعفر الكذاب، لأنه ادعى الإمامة بعد أخيه الحسن العسكري.

• أورع الناس من وقف عند الشبهة، أعبد الناس من أقام الفرائض. أزهد الناس من ترك الحرام.

• رياضة الجاهل، ورد المعتاد عن عادته كالمعجز.

• من كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا، ولو قرض ونشر.

الإمام حسن العسكري

ولد بالمدينة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٣١ من الهجرة، وتوفي ودفن بسامراء سنة ٢٦٠، وأمه أم ولد، وتسمى سوسن.

كنيته أبو محمد، ولقبه العسكري، لأنه كان يسكن في محلة تعرف بالعسكر.

صفته:

كان أسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، له جلالة وهيبة.

أولاده:

ليس له من الولد غير محمد بن الحسن، وهو الحجة المنتظر.

من أقواله:

- من التواضع السلام على كل من تمر به، والجلوس دون المجلس.
- بغض الفجار للأبرار زين للأبرار.
- خصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله، ونفع الإخوان.
- من مدح غير المستحق فقد قام مقام المتهم.
- أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته.
- من كان الورع سجيته، والعلم حليته انتصر من أعدائه بحسن الثناء عليه.

الإمام الحجة محمد بن الحسن

قال العلامة المجلسي في المجلد الثالث عشر من كتاب البحار:

ولد للنصف من شعبان سنة ٢٥٥ من الهجرة، وأمه نرجس، وحين وضعته تلقى الأرض بمساجده، وهو نظيف منظف.

ونقل في صفحة ١١٥ من المجد المذكور أن إبراهيم بن مهزيار اجتمع بالإمام في مكة، ووصفه بقوله:

ناصع اللون، واضح الجبين، أبج الحاجب[١] مسنون الخد[٢] أقنى الأنف[٣] أشم أروع[٤]، كأنه غصن بان، وكأنَّ غرته كوكب دري، في خده الأيمن خال، كأنه فتات مسك على بياض الفضة، وله وفرة[٥] سمحاء تطالع شحمة أذنه، ما رأت العيون أقصد منه، ولا أكثر حسناً، وسكينة، وحياء.

ومما قاله لابن مهزيار:

---

(١) مفترق الحاجبين.

(٢) طويل.

(٣) مستوي.

(٤) الأشم مرفوع الرأس، والأروع من يعجبك بحسنه.

(٥) الوفرة ما سال من الشعر على الأذن.

إن الله لا يخلي الأرض من حجة، يستعلي بها، وإماماً يؤتم به، ويقتدى بسننه، ومنهاج قصده.

قال عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر» صفحة ٥٦ مطبعة السعادة بالقاهرة.

«إن الله لا يخلي الأرض من قائم له بالحجة، جامع بين العلم والعمل عارف بحقوق الله تعالى، خائف منه، فذلك قطب الدنيا، ومتى مات أخلف الله عوضه، وربما لم يمت، حتى يرى من يصلح للنيابة عنه في كل نائبة، ومثل هذا لا تخلو الأرض منه، فهو بمقام النبيﷺ في الأمة.

وهذا الذي أصفه يكون قائماً بالأصول، حافظاً للحدود.

شيعة علي والمنصفون

كان مفروضاً لهذا الكتاب أن تنتهي صفحاته مع الفهرست برقم ٢٤٨، لأن المواد التي سلمتها للمطبعة لا تتجاوز هذا الرقم، ولكن بعد الانتهاء من طبع المواد بكاملها ووضع الفهرست قرأت في جريدة «الجمهورية المصرية» تاريخ ٢ آذار سنة ١٩٦٢ مقالاً قيماً بعنوان: «حاجتنا إلى نظرة جديدة في التراث» للأستاذ أحمد عباس صالح، وهو من كبار الصحفيين في القاهرة، والأدباء المعروفين في البلاد العربية، والمقال على إيجازه بالغ الخطورة، كثير الفوائد، فلقد كشف الغطاء عن حقائق أخفاها مدونو التاريخ القديم، أو حرفوها عن مواضعها، تبعاً لأهواء الساسة والحكام، وتجاهلها المتأخرون من حملة الأقلام وقادة الفكر، لأنها من الموضوعات الدينية الشائكة التي يثير النظر فيها رجال الأزهر، وغيرهم من المحافظين على كل قديم، ولو كان بدعة وضلالة.

قرأت هذا المقال فوجدت أفكار كاتبه وآراءه تتفق تماماً مع ما سجلته في كتاب «الشيعة والحاكمون» الذي صدر في العام الماضي، وأثرت فيه التساؤل حول إسلام بعض الصحابة، وأثبت بالأرقام أن الخلاف الذي حصل بين علي وشيعته من جهة، وبين خصومه وأتباعه من جهة، لم يكن خلافاً شخصياً، ومن أجل الحكم والسلطان، بل كان خلافاً مبدئياً وصراعاً بين مبادىء

الإسلام، والعمل على كتاب الله وسنة نبيه الذي دعا إليه علي وأبناء علي، ومن أجله استشهدوا وشردوا، ونكل بهم وبشيعتهم، وبين أعداء الإسلام الذين حاولوا أن يطفئوا نور الكتاب والسنة، ولا يبقوا للدين من باقية إلا الاسم، صراعاً بين من يريد الحكم للسلب والنهب، والتحكم بمصير الناس، وبين من يريد أن يسود العدل والإصلاح اجتماعي.

رأيت كاتب المقال الأستاذ صالحاً يتفق معي في الفكرة والشعور والهدف، فشعرت بالغبطة، وحمدت الله سبحانه على أن فتح طريق النظر في تراثنا الذي يحتاج إلى كثير من التعديل والتصحيح، حمدت الله الذي فتح هذا الطريق بيد نزيهة مجردة من كل غاية، وتترفع عن كل شائبة من شوائب الجهل والتقليد، وتأثير التربية والمحيط.

لقد أخذني هذا المقال بحقائقه وآرائه، وخشيت أن ينطوي مع الصحيفة التي نشرته، ويذهب دون أن يُنتفع به، ودون أن يحقق الهدف الذي يرمي إليه، فرأيت أن أقتطف منه الجمل التي تنسجم مع أهداف هذا الكتاب، وأسجلها مع ما تستدعيه من التعليق والتوضيح، فطلبت من صاحب المطبعة أن يتوقف عن طبع الفهرست بعد أن كمل، وتهيأ للطبع، لأضيف هذا الفصل إلى الفصول التي من جملتها فصل مطول في الرد على منفذ «الخطوط العريضة» الذي أسفر عن وجهه، وأعلن التحدي السافر للحق وأهله، وتمنيت لو أن الأستاذ صالحاً نشر مقاله قبل أن تنتهي المطبعة من الكتاب لأنشد هذا الفصل إلى جانب فصل «شيعة علي والمفترون» دون أن يكون بينهما أي فاصل، على أنهما قد جمعا في كتاب واحد، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنه إذا وجد

في مصر عملاء، أهل للازدراء والاحتقار، كمحب الدين الخطيب منفذ «الخطوط العريضة» ومحمد السباعي الحفناوي صاحب «أبو سفيان شيخ الأمويين»[1]، فإن فيها أيضاً منصفين يستحقون الاحترام والتقدير: كالأستاذ أحمد عباس صالح، وفي هذا يجد القراء السر لاختيار «شيعة علي والمنصفون» عنواناً لهذا الفصل بعد أن اخترت «شيعة علي والمفترون» عنواناً للفصل الذي رددت به على محب الدين الخطيب.

قال الأستاذ صالح:

إن إذاعة صوت العرب بالقاهرة كلفته بكتابة برنامج تمثيلي عن الصحابي الكبير أبي ذر[2] وأنه لم يكن يعرف عنه إلا أنه كان صحابياً جليلاً زاهداً يحض المسلمين على عدم كنز المال.

وقال الأستاذ صالح معتذراً عن جهله بأن رجال الأزهر يفرضون الحراسة العاتية على البحث في الأصول الأولى للإسلام، وأن الكتاب المحدثين تحرجوا عن النظر فيها، لأن الذين حاولوا ذلك من أمثال علي عبد الرزاق اشتبكوا في معارك دامية مع رجال الأزهر تركت أعظم الأثر في نفوسهم، ثم في نفوس الأجيال التي تلتهم، فلم يعد أحد يخوض فيها إلا من بعيد[3].

---

(١) رددت على هذا السفياني في فصل مطول من كتاب «الشيعة والحاكمون» بعنوان «كتاب السفياني».

(٢) كلفته إذاعة صوت العرب بذلك ترويجاً للقرارات الاشتراكية التي أصدرها الرئيس جمال عبد الناصر، فكان من نتيجة تكليفها هذا المقال اليتيم:

(٣) يشير إلى كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرزاق الذي صدر سنة ١٩٢٦، وقال فيه المؤلف فيما قال: «إن التاريخ يثبت بالأرقام أن كل خلافة وجدت بعد الرسول ـ بما في ذلك خلافة أبي بكر وعمر ـ قامت على القوة والرهبة، وعلى أساس المادة المسلحة، فلم يكن للخليفة ما يحيط مقامه إلا =

ثم قال الأستاذ صالح:

«قرأت كتاباً صغيراً ولكنه ذو قيمة كبيرة للأستاذ العقاد عن مصرع الحسين بن علي، وفيه نقطة هامة تخطاها العقاد بمهارة عن الصراع بين بيت أبي سفيان، وبين بيت النبي من قبل الإسلام، وامتد هذا الصراع بين البيتين بعد الإسلام ممثلاً في الانقلاب الأموي الذي وثب فيه معاوية على الحكم، ولكن هذه النقطة العامة لم تأخذ مداها في كتاب العقاد لأنها تجر إلى إثارة الشكوك حول إسلام بعض بني أمية[1] وأنه لم يكن ـ أي إسلام بعض الأمويين ـ إلا الانتهازية، الغرض منها التمكن من قيادة التحول الجديد الذي أتى به الإسلام...» أي أن بعض بني أمية أبطن الكفر، وأظهر الإسلام طمعاً أن يتولوا الحكم بعد الرسول، تماماً كما يفعل الانتهازيون في عصرنا حين يسايرون الحركات الوطنية، ويحملون شعاراتها على أمل أن يتولوا السلطة، حتى إذا وصلوا تنكروا لمبادئها، وانقلبوا على أصحابها أعداء ألدَّاء.

وقال الأستاذ صالح:

«لم يكن الخلاف بين علي وخصومه خلافاً على الإمامة، بل خلافاً على المبادىء الأساسية للإسلام، بخاصة الإصلاح

= الرماح والسيوف» فثار شيوخ الأزهر على صاحب كتاب «الإسلام وأصول الحكم» وأنزعوه العمة، وجردوه من وظائفه الشرعية، ونفوه من مصر، ويقول الكاتب: إن هذا كان سبباً لسكوت العقاد عن كثير من الحقائق في كتاب «أبو الشهداء» وسكوت طه حسين في كتاب «الفتنة الكبرى»:

(١) في ص ٢١٨ من كتاب «أصول الفقه» للخضري الطبعة الثالثة: «قال جمهور المسلمين ـ يريد السنة ـ إن أصحاب الرسول جميعهم عدول لا يسأل عنهم، ولا تطلب تزكيتهم»: وفي عقيدتي أن هذا المبدأ من وضع الأمويين وأمثالهم، والغاية منه أن يصونوا أنفسهم عن النقد والجرح.

الاجتماعي.. وكان وراء خلافة علي رجال كبار من الصحابة يوازون في المرتبة رسل المسيح من حيث روحهم الدينية، وشدة إيمانهم، وقوة مراسهم مثل أبي ذر وسلمان الفارسي وغيرهما من الذين لم تذكر عنهم المدونات التي كتبت في العصر الأموي إلا الشيء القليل، أو التجريح المدقع الذي أخمد حقيقتهم وأوشك أن يلغي وجودهم من تاريخنا الديني والسياسي».

ولكن الشيعة أيها الأستاذ الصالح قد أثبتوا وجود أبي ذر وسلمان وعمار والمقداد وعبد الله بن عباس وغيرهم، ورفعوهم فوق رسل السيد المسيح، فهذه كتبهم المطبوعة والمنتشرة كالبحار للمجلسي، والإرشاد للمفيد، ودلائل الصدق للمظفر، وأعيان الشيعة للأمين وغيرها قد أنصفت الذين وصفتهم بأنهم يوازون رسل المسيح إلا أن الأستاذ صالحاً وغيره كثير من الشباب لم يعرفوا شيئاً عن هذه المؤلفات الشيعية التي بحثت التراث الإسلامي الديني والسياسي على أساس العلم، ونطقت بالصدق وكلمة الحق. ومهما يكن فإن هذه الشهادة من الكاتب الصالح تؤيد ما قاله الشيعة في التمييز بين الذين ثبتوا على الإسلام من أصحاب الرسول، وبين الذين انقلبوا على أعقابهم خاسرين.

وقال:

«الذي حدث أن المؤرخين الذين كتبوا تاريخنا العربي القديم كتبوه في عهد الدولة الأموية، ثم في العهود التي تلت ذلك العهد بعد أن أصبح الحكم مدنياً لا دينياً. والمحاولات التي بذلت لدمغ التيار الذي كان يقوده علي بالشعوذة وبالانحراف عن جادة الإسلام كانت من الحذق والمهارة بحيث نفرت المسلمين منه.. ولقد ظلت

هذه النقطة بالذات أخطر النقاط، وأصبح محرماً على أي إنسان أن يخوض فيها، لأن الخوض فيها معناه إدانة دول كثيرة لم تأخذ من الإسلام إلا العبادات، وتجنبت كل ما عدا ذلك، أو أغلب ما عداه».

أي أن المؤرخين في العهد الأموي والعهود الأخرى نسبوا إلى الشيعة أشياء وأشياء لا يعرفون منها شيئاً، ولكن البسطاء من المسلمين صدقوا تلك الافتراءات والأكاذيب، لأنها من صنع حاذق ماهر في فن التلفيق والتزوير، و «ظلت هذه النقطة» وهي تزوير التاريخ والافتراء على الأبرياء مجهولة حتى الآن، لأن الكشف عنها يؤدي حتماً إلى إدانة دول كانت تتظاهر بالإسلام لا لشيء إلا لتحتفظ بالسلطة والعبث بدماء الناس ومقدراتهم.

وهذا ما أثبته بالأرقام في كتاب «الشيعة والحاكمون»، والحمد لله الذي هدانا إلى الحق، وثبتنا على الولاء لأهله، وأتاح لنصرته أقلاماً لا يرقى إليها الشك. وصلى الله على محمد وآل محمد، وهو سبحانه المسؤول أن يحشرنا في زمرتهم، إنه أرحم الراحمين.

الإمام علي وخطبة البيان

بتاريخ ١٤/ ١٢/ ٧٢ قرأت في الصفحة التاسعة من جريدة النهار كلمة بعنوان «قصيدة للإمام علي رؤياها نبوية عاصفة» موقعة باسم الأستاذ صبحي حبشي، وفيها يقول: «إن عبد الرحمن بدوي ذكر في كتاب «الإنسان الكامل في الإسلام» خطبة للإمام علي بن أبي طالب.. نقتطف منها ما يتصل بالشعر مباشرة».

وجاء في مقطتفه على لسان الإمام: «أنا سابق الرعد، أنا محرك العواصف أنا سبب الأسباب، أنا جوهر القدم، أنا الأول والآخر، والباطن والظاهر، أنا مبعوث بني إسرائيل، أنا سر الأسرار، أنا وجه الله.. إلى آخر ما يهتز له العرش، ولا يستقيم معه كون ولا سماء ولا أرض.

ومنذ القديم تعرض علماء الشيعة الإمامية لخطبة البيان هذه، ومنهم العلامة المجلسي في البحار والشيخ القمي في السفينة، ونفوا هذه الخطبة المغالية عن الإمام نفياً قاطعاً، وأثبتوا بالأرقام أنها من وضع الغلاة، وقالوا كلمة واحدة: كل من نسب صفة من صفات الخالق للمخلوق فهو مغال، (وأن الغلو مرفوض كتاباً وسنة وإجماعاً). قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١] وقال الرسول الأعظم: لا نصيب للغلاة في الإسلام. وقال الإمام جعفر الصادق؛ حذروا

شبابكم من الغلاة، إنهم شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدعون الربوبية لعباد الله.

أما الأدلة القاطعة على براءة الإمام من خطبة البيان وأنها كذب وافتراء فهي:

١ ـ إن هذه الخطبة تحمل ألفاظها السبب الكافي للدلالة على كذبها، ولا تحتاج إلى أية وسيلة من الخارج لإثبات زورها وبهتانها تماماً كمن يدعي على غيره ويقول: أخذ مني مبلغاً من المال، أو سرق متاعي في يوم ٣٠ شباط!. وقد نشرت في مجلة الهادي السنة الثانية، العدد الرابع. نفى الإمام عن نفسه علم الغيب المختص بالله سبحانه في الخطبة ١٢٦ من خطب النهج، وأيضاً نزه الباري في العديد من خطبه عن الرؤية وعن كل ما يتصل بالمادة من قريب أو بعيد، وأيضاً اشتهر في كتب التاريخ والسير أن الإمام أحرق الذين نسبوه إلى الربوبية بعد أن استتابهم وأصروا على الشرك.

٢ ـ قال الإمام في خطبة ١٢٥ من خطب النهب ما نصه بالحرف الواحد: «سيهلك في صنفان: محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس في حال النمط الأوسط فالزموه» وقال في الحكمة رقم ١١٧ من النهج: هلك في رجلان: محب غال، ومبغض قال.

٣ ـ تواتر عن الأئمة من أولاد علي وأحفاده أن الغلو شرك، وأن كل من نسب الربوبية أو النبوة بعد محمد إلى علي أو إلى واحد من ذريته أو غير ذريته فهو كافر ضال.

وبعد، فإن خطبة البيان عليها مسحة صهيونية، أو كما قال الشاعر القديم: «عليها منها شواهد» وهي ما جاء فيها: «أنا مبعوث

بني إسرائيل (!..) أنا سر الأسرار، أنا وجه الله» ويشبه هذا إلى مدى بعيد ما نقلوا عن كتاب التلمود «إن اليهود من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه وأن من يصفع يهودياً كمن يصفع الله، وأنه تعالى قد سخر لليهود نوعين من الحيوانات: نوع أعجم كالدواب ونوع كسائر الأمم من أهل الشرق والغرب».

وهكذا يأتي الكلام في كتاب التلمود منسجماً كل الانسجام مع خطبة البيان.. وأيضاً تنسجم خطبة البيان مع التوراة سفر التثنية الإصحاح ٧ الآية ٦ التي خاطبت شعب إسرائيل، وقالت له: قد اختارك الرب لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض«.. وآية أخرى من السفر المذكور الإصحاح ١٠ تقول لليهود: «أنتم فوق جميع الشعوب». ولا أعرف اسم الشخص الذي وضع خطبة البيان.. ولكنها بالإسرائيليات أشبه.

الدنيا عند علي عليه السلام
هي الدين، والدين هو دنياه

بقلم: عبد الرحمن الشرقاوي

عانى علي بن أبي طالب في سبيل إقرار مبادىء الحكم الشريفة ما لا يطيقه بشر... كانت الدولة تتحول إلى مملكة تجري السياسة فيها على الأصول الملكية وتتضخم طبقة وتتسلط، وتجد من تأويل القرآن والأحاديث ما يسند نظام الطبقات وما يحبذ لها سيرتها في امتلاك الثروات والتمتع بزينة الحياة الدنيا. كانت الحياة قد أفسدتها الامتيازات ولم يعدلها رونقها القديم أيام سيادة المساواة قبل عثمان.

أما علي فقد كان يريدها إمامة.. وكان اتصاله بنبع النبوة ـ منذ كان غلاماً ـ يتيح له أن يقول الرأي الصواب.. فقد رباه النبي ﷺ، وشكلته تعاليم الإسلام وهو بعد غلام في السابعة ـ وصاحب النبي طيلة حياة النبي. وشهد معه ساعات الردع... وعندما همت قريش بأن تقتل النبي، تقدم علي بن أبي طالب ليفتديه فنام في فراشه.

كانت له عوارف على الإسلام، وكان للإسلام عليه فضل التكوين منذ بداية الوعي فخالطت تعاليم الإسلام منه الروح والدم والأعصاب.

ولهذا رفض علي أن تتحول حكومة ـ الإسلام إلى ملكية.. وكان يقول دائماً إنها ـ الإمامة لا الملك.. إمام يقود المسلمين في ـ الصلاة

في شؤون الدين والدنيا... الدنيا عنده هي الدين، والدين هو دنياه..

ومضى الإمام يضرب بنفسه المثل ويسير في الناس مسيرة الورع الزاهد والراعي ـ المسؤول عن رعيته.. فهو يمشي في الأسواق يراقب بنفسه البيع والشراء...

وهو يمسك بقبضة فولاذية كل من يعبث بتجارة الأقوات.. ويضرب المحتكرين.. فالاحتكار في الإسلام حرام..

هكذا كان علي يفهم البيع والشراء وهو لكي يضرب المثل بنفسه، يهجر القصور ويسكن في دار فقيرة مطلة على جامع الكوفة، بحيث لا يكون في المحكومين من يسكن في دار أفقر.. فقد كان يرى أن الراعي المسؤول عن الرعية يجب عليه أن يعيش كما يعيش أدنى فرد في الرعية.. وهذه هي مسؤوليته أمام الله.. فإذا ضاق بهذا العيش الشظف فعليه أن يرفع مستوى حياة أدنى فرد في رعيته.. لتكون الحياة ألين على الحاكم والمحكوم..

إنّ الحاكم ليأثم إن ذاق طيب المأكل ومن رعاياه من هم جياع، وإن أمثلك ما لا حاجة له منه في رعاياه محتاجون.

ومن المحتوم بعد هذا، أن يأخذ علي بن أبي طالب أهل بيته بمثل الشدة التي أخذ بها نفسه.. وأن يكون في حسابه لأهل بيته ولأصدقائه والمقربين منه، أكثر تحرياً للدقة، وأشد استقصاء لأسباب التصرفات وأدق استجلاء لما تخفي الظواهر.. وأعظم تحرزاً وتحرجاً.

وهكذا ضاق بعدالته بعض ذوي قرابته وانضموا إلى معاوية طمعاً في الدنيا وزخرفها، وإشباعاً لحاجات الثراء التي كانت تتفجر في عدد ممن كانوا يحسبون أنهم بسبقهم إلى الإسلام يجب أن يتمتعوا بامتيازات من الثراء والمناصب على حساب الأمة.. ولكن الإمام لم يسمح لهم بهذا ونبذهم لا يخشى في الحق لومة لائم.

عزل علي بن أبي طالب الولاة الذين استباحوا أموال الأمة... ورد الإمام كل القطائع التي وزعها عثمان على الأقارب والأتباع.. وامتحن الإمام في سبيل ذلك ببلاء كثير، وبغضب المقربين منه، وإيذاء ذوي القربى.. وقد بدأ عهده بأن ولى رجالاً يعرف فيهم تقوى الله والتحرج من الإثم..

وأعلن أنه سيحصي عليهم أموالهم يوم يوليهم، ثم يحصيها عليهم بعد ذلك، فمن وجد عنده زيادة صادر الزيارة وعاقب الوالي الذي أباح لنفسه الإثراء على حساب المسلمين، أو التمتع بما ليس له، أو ذلك الذي يسلك مسيرة السفهاء حتى لو أنفق من حر ماله.. لأن ملكية المال كما كان يفهمها الإمام مشروطة بتحقيق المنفعة العامة.. فالمالك وكيل في ماله عن الأمة.. له أن يعيش منه وأن يتمتع في اعتدال، أما ما فاض عن حاجته مما يكنز، فليس من حقه.. والذين يكنزون الذهب والفضة وفي الأمة محتاجون تتحول كنوزهم إلى مكاو تكوى بها جباههم وجنوبهم.. يوم القيامة.. هكذا كان إيمان الإمام علي.. وهكذا حرص على ألا يوجد في الأمة أغنياء واسعو الثراء يكنزون ما لا حاجة لهم به، وفي الأمة فقراء في حاجة إلى الطعام والكساء والمأوى..

إن العمل هو الذي يحدد مكان الإنسان وقيمته، فما بال رجال يعملون ولا ينعمون كما ينبغي بثمرات عملهم، وآخرون مدللون يكنزون ما فوق حاجتهم؟!.

قرر أن يتخلص من هذه الآفة، فوجد أن الذي خلق هذه الآفة في الأمة، هو حب استغلال القرابة أو الصلة بولي الأمر. والحرص على الاستفادة من السبق إلى الإسلام.

وفي هذا الصدد كانت قد نشأت مدرسة بأسرها من الفقه

والتأويل، تتأول الآيات والأحاديث لمصلحة الطبقة الجديدة التي شاءت أن تصوغ الدولة في نسق ملكي، لا بد أن تنسق هي معه..

وكان من أفراد هذه الطبقة رجال مشهود لهم بالفضل والسبق والعام وكان هذا يحرج الإمام.

ولكن الإمام بجسارة ثورية، ودفاعاً عن مبادىء الإسلام، ولكيلا يكون لأحد سبيل على الإسلام بتأويلات غريبة عن روح الإسلام.. واجه الموقف بلا تردد فأنزل عقابه بلا هواد بمن تأول ليحصل على ما ليس له.

تربصت الطبقة الجديدة بعلي بن أبي طالب؛ ذلك أنهم خافوه على ما كسبوه فقد كانوا يريدون أن يحولوا الإسلام إلى نصوص تدعم ما يحصلون عليه من امتيازات.

وكانت المدينة بعد مقتل عثمان تزخر بأمواج من الثائرين من أهل التقوى ومن فقراء العرب ممن حمل لهم الإسلام كل الأمل في الخلاص.. يقودهم بعض الورعين الذين ضاقوا بسياسة حكامهم في أمور المال..

وطالبت الطبقة الجديدة من علي أن يقنص من هؤلاء المحرضين والثائرين لمقتل عثمان فقال «.. كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟. ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهلا ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟».

كان اضطراب الأمر هو الحصاد الوحيد لسياسة تجميع الثروات التي سار عليها بعض الولاة أيام خلافة عثمان..

كان بعض أفراد الطبقة الجديدة يرصع داره بالعقيق وبين أفراد الأمة من ينهكهم الفقر والمرض.. وكان هذا كله غريباً على الإسلام.

ومن أجل ذلك وجد علي بن أبي طالب، أن مسؤوليته هي القضاء على أسباب الثورة، والعودة بالحياة إلى نقائها في عهد الرسول.

وبدأ علي فحاسب الولاة الذين أثروا، وصادر أموالهم وأعادها إلى بيت المال، ووجه بعض هذه الأموال للإنفاق على المنافع العامة، ووزع الكثير على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل.

وولى على آخرين، وشرع نظاماً لمراقبتهم ومحاسبتهم.. وما كان أسرع ما ينزل بالواحد منهم عقابه إذا أخطأ..

وعلى عكس ما كان يصنع عثمان من حسن الظن وبعض أصحابه وأهله كان علي بن أبي طالب أكثر تحرزاً مع أهله وأصحابه. وقد أرسل إلى أحد عماله: «إن صلاح أبيك غرني فيك.. بلغني أنك تدع عملك كثيراً وتخرج لاهياً متنزهاً متصيداً. وأنك قد بسطت يدك في مال الله لمن أتاك من إعراب قومك كأنه تراث عن أبيك وأمك. وأن اللعب واللهو لا يرضاهما الله، وخيانة المسلمين وتضييع أموالهم مما يسخط ربك. ومن كان كذلك فليس بأهل لأن يسد به الثغر، ويجبى به الفيء؛ ويؤتمن على مال المسلمين. وأقبل حين يصل كتابي هذا إليك»..

فلما أقبل إليه وحقق معه، تبين علي بن أبي طالب أن على هذا العامل ثلاثين ألفاً، فسجنه فيها حتى ردها..

وقد ألح عليه الزبير وطلحة أن يوليهما على البصرة والكوفة ولكنه رفض كيلا يغريهما المال وتفتنهما أبهة الإمارة..

وهكذا سار مع كبار الصحابة جميعاً.

وقد تجشم علي كثيراً من العناء والمشقة لكي يثبت هذه السياسة، وواجه سخط الطامعين وحقد المتطلعين».

عن جريدة «الأخبار» المصرية العدد ٦٠٥١ ـ ٦٠٥٢ ـ ٦٠٥٣.

ختامه

قال نصير الدين الطوسي الفيلسوف الشهير صاحب مرصد مراغة، والذي ظلت كتبه تدرس في جامعات أوروبا مئات السنين، وكتب عنها علماء الغرب والشرق:

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً ... وود كل نبي مرسل وولي
وصام ما صام صوام بلا ضجر ... وقام ما قام قوام بلا ملل
وحج ما حج من فرض ومن سنن ... وطاف ما طاف حاف غير منتعل
وطار في الجو لا يأوي إلى أحد ... وغاص في البحر مأموناً من البلل
يكسو اليتامى من الديباج كلهم ... ويطعم الجائعين البر بالعسل
وعاش في الناس آلافاً مؤلفة ... عار من الذنب معصوم من الزلل
ما كان في الحشر عند الله منتفعاً ... إلا بحب أمير المؤمنين علي

الفهرست

فضائل الإمام علي عليه السلام علمُه ـ جُودُه ـ شجَاعتُه صَلاتُه ـ بَلاَغَتُه ـ حُرُوبُه وغير ذلك ٥
مقَدّمة ٧
لماذا نوالي أهل البيت؟ ١١
أبناء الرسول ١٧
علي وفاطمة ٢٣
شجاعة الإمام ٣١
جود الإمام ٣٧
دنيا علي ٤١
صلاة الإمام ٥١
الإمام والتنبوات العلمية ٥٧
الحمزة أسد الله وأسد رسوله ٦١
الغدر ٦٩
نهج البلاغة ٧٧
مساجدنا ٩٥
لا اشتراكية، ولا رأسمالية في الإسلام ٩٩
حروب الإمام ١٠٣
أُحد ١٠٧
الأحزاب ١١٧
خيبر ١٢٢
حنين ١٢٨

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٣٧٠ ح
٢٠٠٥/١/٢٥

الجمل ١٣٤
صفين ١٤٧
النهروان ١٥٧
الخضري والتباني ١٦٣
المثل الأعلى ١٨٥
شيعة علي والمفترون ١٩١
من أقوال الإمام ٢١٧
الإمام الحسن ٢٢١
الإمام الحسين ٢٢٥
الإمام زين العابدين ٢٣١
الإمام محمد الباقر ٢٣٦
الإمام جعفر الصادق ٢٤٠
الإمام موسى الكاظم ٢٤٣
الإمام علي الرضا ٢٤٦
الإمام محمد الجواد ٢٤٩
الإمام علي الهادي ٢٥١
الإمام حسن العسكري ٢٥٣
الإمام الحجة محمد بن الحسن ٢٥٤
شيعة علي والمنصفون ٢٥٦
الإمام علي وخطبة البيان ٢٦٢
الدنيا عند علي عليه السلام هي الدين، والدين هو دنياه ٢٦٥
ختامه ٢٧٠
الفهرس ٢٧١

تم تصويره
٣